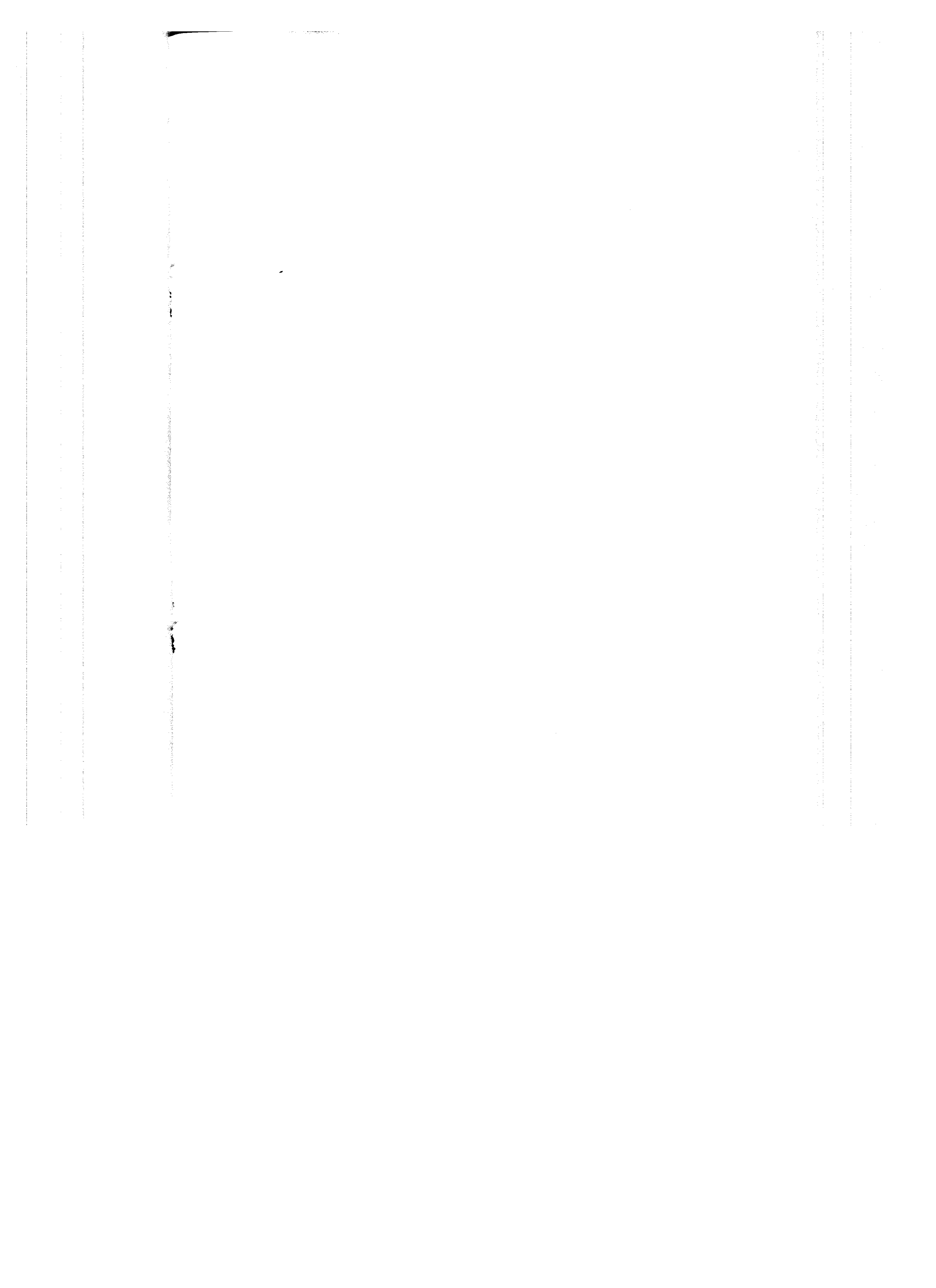
الإسلام والتنمية البشرية

تأليف
الدكتور عبد الرحمن العيسوي
أستاذ علم النفس
بجامعتي الإسكندرية - وبيروت العربية

المكتب العربي الحديث

الإسلام والتنمية البشرية



إهداء

إلى روح أبي الطاهرة

تلك الروح الوثابة التي طالما حفزت همتي ونشاطي

لاكتساب العلم والتزود بزاد الإيمان والكفاح



بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله العظيم

تقديم

تمثل قضية التنمية، في بلادنا في الوقت الحاضر، محور اهتمام الأفراد والجماعات، وتلقى هذه القضية الإهتمام الأكبر من جانب الدول العربية ومن جانب الأفراد كذلك.

ذلك لأن ظروف التحديات التي نتعرض لها تجعل قضية التنمية والإسراع بها قضية حتمية لا مناص منها. ويتفق الأفراد والحكومات حول الأهداف التي تسعى لتحقيقها خطط التنمية ومشاريعها. فالفرد، مثله مثل الدولة، يسعى لتنمية موارده ومدخولاته الإقتصادية، كما يسعى لتنمية مواهبه ومعارفه وقدراته واستعداداته.

وعلى ذلك فقضية التنمية هي، بحق، قضية الفرد والمجتمع في الوقت الحاضر. وقضية التنمية قضية معقدة وليست بسيطة حيث تتداخل فيها الكثير من العوامل السياسية والإقتصادية والاجتماعية والتربوية والإدارية والعلمية والخلقية. ففي الوقت الذي نجد فيه أن الإنسان هو الصانع الأول لحركة التنمية ومحركها وموجهها، نجده أيضاً موضوعاً لهذه الحركة حيث تستهدف صقل شخصيته وتنمية مواهبه وقدراته وزيادة كفاءته الإنتاجية ووعيه الوطني والتنموي والخلقي. فالإنسان هو هدف التنمية وغايتها وهو أيضاً أداتها

ووسيلتها ودرعها ومحركها والمخطط لها ومنفذها ومتابعها وجاني ثمارها أو مردو ـ ـا .

لا شك أن العالم يسير من حولنا بخطى سريعة في مضمار التنمية والتقدم والتطور ، ومن هنا فلا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي أمام حركات التطوير العالمية السريعة والمتلاحقة . ولا يمكن أن نعتمد على حركة التطور الطبيعي التلقائي لأن ذلك يوسع من الهوة التي تفصلنا عن العالم المحيط بنا . فلا بد إذن من أن نتدخل في مسار حركة الوطن الإقتصادية والاجتماعية والبشرية ، ونعمل على الإسراع بهذه الحركة وذلك بالأسلوب العلمي والموضوعي المدروس القائم على أساس من الدين والعلم والتكنولوجيا والخلق، والتنبؤ باحتياجات المجتمع وبالظروف العالمية والإقليمية المحيطة بنا .

وعالمنا العربي تنمو سكانه بصفة مضطردة ومستمرة ومن هنا كان لا بد من تنمية مواردنا لكي تفي بالإحتياجات المتزايدة لأبناء المجتمعات العربية ، تلك الزيادة الناتجة من الزيادة العددية في السكان أو الناتجة من التوسع في مطالب الأفراد وتنوعها مع التطور الحضاري الراهن .

يضاف إلى هذه العوامل السابقة في حتمية حركة التنمية وتنميتها ظروف التأخر التي كتبت على مجتمعاتنا بسبب ظروف الإستعمار ، ذلك الإستعمار الذي جعل من بلادنا سوقاً رائجة لترويج منتجاته ، وجعل منها مزرعة لتوريد المواد الخام لتشغيل مصانعه ، يضاف إلى ذلك ظروف الحروب التي خاضتها مجتمعاتنا والتي ألهت جهودها ، وشغلتها عن الإتجاه نحو العمل والإنتاج والتطوير والتنمية . من هنا تصبح قضية التنمية قضية ضرورية وحتمية بل أننا لسنا بحاجة إلى التنمية وحسب ، ولكننا بحاجة إلى التنمية السريعة والمضاعفة لنعبر الهوة ونلحق ركب حضارة العصر ، ثم لكي نساير التطور العالمي ونحتل مكانتنا تحت الشمس في عالم سريع التطور .

وإذا كنا نقرر الأهمية التاريخية لحركتنا في التنمية فإن تنمية العنصر البشري تحتل مكان الصدارة في جهود التنمية، ذلك لأن العنصر البشري هو أغلى الثروات جميعاً وأكثرها قيمة وتصبح كل جهود التنمية الإقتصادية عديمة الجدوى إذا لم تلق الإنسان النامي المتطور المؤمن الذي يحتضن جهود التنمية ويرعاها وينميها ويستفيد منها ويسهم فيها.

فالإنسان هو محور الإرتكاز في معركة التنمية. ومع إيماننا بأن تكون التنمية شاملة في بلادنا فلا بد أن يكون الاهتمام الأكبر نحو الإنسان نفسه والكتاب الذي أشرف بأن أضعه بين يدي القارىء الكريم يتناول موضوع التنمية البشرية بالذات وأساليبها وذلك في الإطار الإسلامي وفي ضوء الثقافة الإسلامية التي حرصت على تربية أبنائها بصورة متكاملة وغرست فيهم قيم الإيجابية والجدية وتحمل المسؤولية والتعاون وحب العمل والجد والاجتهاد والكسب من كد اليد والحرص على الصالح العام والإيثار والتضحية والفداء والعمل والإنتاج. فالمؤمن القوي ولا شك خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف يهتم الكتاب بصفة خاصة بإبراز دور الإسلام في تنمية العنصر البشري أي الإنسان وسوف يتضح للقارىء الكريم أن لإسلامنا الحنيف فضل السبق في الاهتمام بالإنسان الذي كرمه الله وجعله خليفة على أرضه وأنه يصون كرامته ويحفظ عليه صحته الجسمية والعقلية والنفسية والخلقية والروحية ويسعى لجعل المؤمن قوياً في الحق قادراً على الإنتاج وعلى العطاء وعلى الدفاع عن حقوق الله وعن الحق وبذلك يتسم الإسلام في تربيته للمواطن بالاهتمام بالجانب الإيماني الروحي والخلقي وإن كان لا يهمل الجانب الجسدي أو البدني فكل حقه على الإنسان فالتربية الإسلامية تتصف بالشمول والتكامل وبخلق المواطن المؤمن بربه ووطنه والقادر على إسعاد نفسه وغيره من أبناء المجتمع. فالإسلام يحض على اكتساب العلم والمعرفة والتفقه في الدين كما يحض على العمل والإنتاج والجهاد والكفاح والنضال ويعلم الفرد الإيجابية والرجولة والشهامة ويعوده على الطهر والطهارة والنظافة ويشجعه على

وقاية نفسه من الأخطار المادية والمعنوية فالإسلام مدرسة جامعة في التنمية البشرية الشاملة. فما أحرانا أن نعود إلى حظيرة الإسلام الحنيف. والله ولي السداد، والتوفيق.

عبد الرحمن العيسوي

الفصل الأول

تعريف التنمية وخصائص العمل التنموي

التنمية لغة :

التنمية لغة مشتقة من الفعل «نمى» كما في قولنا «نمى المال» وغيره ينمي بالكسر نماء بالفتح والمد. وربما جاء من باب سما. وفي الحديث «لا تمثلوا بنامية الله» يعني الخلق لأنه ينمي. و (نمى) الحديث إلى فلان أسنده له ورفعه. «ونمى» الرجل إلى أبيه نسبه وبابهما رمى. «وأنتمى» هو انتسب. قال الأصمعي: «نميت» الحديث مخففاً أي بلغته على وجه الإصلاح والخير و (نميته تنمية) أي بلغته على وجه النميمة والإفساد. ورمى الصيد (فأنماه) إذا غاب عنه ثم مات ومن الحديث «كل ما أصحيت ودع ما أنميت»[1].

وفي اللغة الإنجليزية يأتي المصطلح تنمية development من الفعل

---

(١) ـ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الإمام، مختار الصحاح، دار القلم، بيروت، لبنان، ص ٦٨١.

develop ومن معانيه يوسع، أو يوضح، أو يظهر، أو يكشف عن، أو يطور أو ينمى، أو ينمو، أو يبسط تدريجياً، أو يكتسب تدريجياً، أو يتجلى أو ينشىء. وعلى ذلك فاصطلاح التنمية يعني، لغوياً، التوسيع أو التطوير أو الإنماء أو النشوء[1]. فنما ينمو نمواً أي زاد، ونمى النار أي رفعها وأشبع وقودها ونما الرجل أي سمن.

مفهوم التنمية لغة وإصطلاحاً:

التنمية من أكثر المفهومات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبشرية إتساعاً في عصرنا الحالي، ولا سيما في دول العالم الثالث التي اتخذت منها منهجاً للتقدم والرقي والتخلص من وهدة التخلف، واللحاق بركب حضارة العصر.

والتنمية لغة معناها «النماء» أي الإزدياد التدريجي من الأجسام الحية ويقال نما المال نمواً. ويستخدم إصطلاح التنمية بمعنى الزيادة من رفع مستوى المجتمع إقتصادياً وإجتماعياً. وهناك أنواع أو أبعاد مختلفة من التنمية، منها التنمية الإقتصادية economic development، ويختلف مدلول التنمية الإقتصادية عن النمو الإقتصادي economic growth الذي يشير إلى: التقدم الإقتصادي التلقائي أو الطبيعي أو العفوي. ويختلف مفهوم التنمية أو النماء عن مفهوم التغير، لأن التغير لا يؤدي بالضرورة إلى التقدم والإرتقاء في المجتمع، كما هو الحال في حالة الحرب الذي يؤدي إلى تغيير أوجه الحياة في المجتمع، ولكن إلى الأسوأ. أما النمو فيختلف عن مفهوم التنمية، لأنه قد يحدث بصورة تلقائية دون التدخل المتعمد من قبل المجتمع. والتنمية يقصد بها التدخل المقصود لتحقيق النمو بصورة سريعة

---

(١) - منير البعلبكي، المورد، قاموس إنجليزي، عربي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ ص ٢٦٧.

الخطى في حدود فترة زمنية معينة تحددها خطط التنمية . فزيادة السكان في مجتمع ما قد تنمو وتتزايد دون تدخل من قبل الدولة أو المجتمع . والحقيقة أن الفرق بين مفهوم النمو والتنمية كالفرق بين التطور وعملية التطوير المقصودة .

«وبينما يحدث النمو من خلال تطور تدريجي بطيء ، فإن التنمية تحتاج إلى دفعة قوية تحركها قدرات إنسانية خبيرة ، تخرج المجتمع من حالة الركود إلى التقدم ، كما أن الفرق بين التغير والتنمية يتمثل في أن التنمية يفترض سيرها من خطا مستقيم صاعد يميزها عما كان ، كما تفترض حكماً تقويماً يصفها بأنها تسير إلى الأفضل ، بعكس التغير الذي لا يفترض فيه الأحسن على طول الخط ، وإنما قد يكون تغيراً إلى الأسوأ»[1] .

«والحقيقة أن التنمية عملية شاملة متكاملة تتضمن كافة الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والبشرية والقانونية والتعليمية والسياسية[2] والأخلاقية» . وعلى ذلك فالتنمية لا تقتصر على مجرد تقديم الخدمات الإجتماعية . ويذهب بعض المفكرين إلى جعل موضوع التنمية من مهام العديد من العلوم الإنسانية كعلم الإجتماع والإنتربولوجيا وعلم السياسة والإدارة والطب الإجتماعي والزراعة وتخطيط المدن والدين والتربية ، ويغفلون بذلك فرعاً هاماً من العلوم الإنسانية ألا وهو علم النفس والدراسات النفسية التي تقوم بالنصيب الأكبر في إعداد أهم عنصر من عناصر العملية الإنمائية ألا وهو الإنسان نفسه . فيسعى هذا العلم للتعرف على طبيعة نموه ، وأساليب تفكيره ، وطرق إعداده ، وتعليمه ، وأساليب علاجه ، وتحريره من

---

(١) ـ د. زكي محمد إسماعيل ، التنمية بين المفاهيم الإجتماعية والقيم الأخلاقية ، مجلة كلية العلوم العربية العدد الرابع ١٤٠٠ جامعة الإمام بن سعود الإسلامية الرياض ص ١٥٠ .

(٢) ـ المرجع السابق .

المشكلات والأزمات وتنمية قواه العقلية والنفسية والصحية، وصقل شخصيته وتنمية سماته. ولذلك فإن لعلم النفس دوراً لا يقل عن العلوم الأخرى في معارك التنمية وفي تحقيق أهدافها ما لم يكن أكثر منها.

- تعريف هيئة الأمم للتنمية :

ومهما تعددت مفهومات التنمية، فإنها تتفق في الهدف العام منها وهو تحقيق سعادة الإنسان، ورفاهته، فالتنمية، وفقاً للمفهوم الذي تتبناه هيئة الأمم المتحدة، يشير إلى العمليات التي تؤدي إلى تقدم المجتمع إقتصادياً وإجتماعياً، وذلك عن طريق تضافر الجهود الحكومية والشعبية. ويشار، أحياناً، إلى التنمية development على أنها التغير الإجتماعي social change الذي يتضمن إضافة أفكار جديدة إلى النظام الإجتماعي social system بهدف تطوير أحوال الناس، وتوفير الخير الإجتماعي social well being، بينما يرى بعض مفكري التنمية أن التنمية عبارة عن زيادة فرص الحياة أمام الناس. ويهتم الفكر التنموي الحديث بتحقيق الرفاهة البشرية أو تحقيق الحياة الجيدة. وهناك أبعاد كثيرة لهذه السعادة منها البعد المادي، والبعد الإقتصادي، والبعد البشري والبعد الإنساني، والبعد الإجتماعي، والبعد البيئي.

ومؤدى هذا أن العملية التنموية عملية متعددة الأبعاد، حيث تتضمن البعد السياسي والإجتماعي والإقتصادي والبيئي.

- التنمية بمعناها الشامل : -

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى مفهوم التنمية في إطار الفكر التنموي الشامل فالتنمية «هي النمو المدروس على أسس علمية، والذي قيست أبعاده بمقاييس علمية سواء كانت تنمية شاملة ومتكاملة أو تنمية في أحد الميادين الرئيسة مثل الميدان الإقتصادي أو الإجماعي أو السياسي، أو الميادين

الفرعية كالتنمية الصناعية أو التنمية الزراعية . . . إلخ[1] .

ومن التعاريف التي قبلتها الأمم المتحدة في عام ١٩٥٦ للتنمية ، ذلك التعريف الذي يعتبر التنمية «العملية التي بمقتضاها توجه الجهود لكل من الأهالي والحكومة لتحسين الظروف الإجتماعية والإقتصادية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الإندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأفضل ما يمكن»[2] .

والحقيقة أن مفهوم التنمية بمعناها الشامل لا ينتمي إلى علم واحد من العلوم ، ولكنه يتطلب تضافر مجموعة مختلفة من العلوم والتخصصات الحديثة . ويعتبر الإنسان الهدف الرئيس للتنمية الإجتماعية . كذلك فمما لا شك فيه ، أن العنصر البشري هو أقوى العناصر المؤثرة في التنمية الإقتصادية والإجتماعية فهو العنصر الذي يساعد على تحقيقها ، وهو أيضاً الهدف الذي توجه التنمية من أجله[3].

ومن تعاريف التنمية ، بصفة عامة ، أنها التحريك العلمي ، المخطط لمجموعة من العمليات الإجتماعية والإقتصادية من خلال أيدولوجية معينة لتحقيق التغير المستهدف من أجل الإنتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب الوصول إليها . وترتبط التنمية من حيث أهدافها وتصوراتها وعملياتها بالإطار الفكري للمجتمع[4].

وعلى الرغم من أن التنمية عملية موحدة تسعى لإحداث تغير كمي

---

(١) د. عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الإجتماعية «مدخل إسلامي» مكتبة نهضة الشرق «القاهرة» ١٩٨٢م.

(٢) د. عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الإجتماعية «مدخل إسلامي» مكتبة نهضة الشرق القاهرة ١٩٨٢م.

(٣) ـ الجوهري، المرجع السابق.

(٤) ـ المرجع السابق.

ونوعي في المجتمع على مراحل زمنية مخطط لها، إلا أنه قد جرى العرف على تقسيمها إلى تنمية إجتماعية وتنمية إقتصادية. ويمكن إضافة أقسام أخرى كالتنمية البشرية.

- قصور التنمية الإقتصادية : -

والحقيقة أن مفهوم التنمية هو نفسه قد نما وتطور واتسعت آفاقه. والمأمول أن تزداد دائرة هذا الإتساع. فلقد نشأت الدراسات التنموية أول ما نشأت في الإطار الإقتصادي، حيث استهدفت التعرف على الأساليب التي أدت إلى تغير شكل الحياة في المجتمعات الأوروبية من نظام الإنتاج التقليدي المتخلف إلى نظام الإنتاج الراقي والمتطور.

ولقد كان، في الماضي، يسود الإعتقاد بأن التنمية الإقتصادية التي تتمثل في رفع مستوى دخل الأفراد، كفيلة وحدها لتحرير الناس من مشاكلهم الإجتماعية والسياسية والتعليمية.. إلخ وكان مما يساق في تأييد هذا الرأي الإستشهاد بالثورة الصناعية الأوروبية التي أدت إلى إنخفاض معدلات الوفيات، وارتفاع مستوى عمر الفرد، وتحسين الغذاء، وارتفاع مستوى الدخل الفردي، وزيادة عدد المساكن الصحية وما إلى ذلك.

والحقيقة التي كشفت عنها دراسات كثيرة، أن التكنولوجيا فشلت في حل مشكلة الإنسان الأوروبي. فلقد حدث تطور كبير في جانب واحد من حياة المجتمع، وهو الجانب المادي أو التكنولوجي، ولم يواكبه تقدم في الجوانب المعنوية والقيم الأخلاقية. ومن ذلك أن انتشار الآلة أدى إلى انتشار البطالة التي أدت، بدورها، إلى العديد من الأمراض الإجتماعية الخطيرة. ونتج عن الثورة الصناعية، كذلك، ضعف الروابط الأسرية، وضعف سلطان الرجل، ونزول المرأة لميدان العمل الخارجي، ومن ثم قلت الرعاية الوالدية للأبناء مما كان له أسوأ الأثر فى التنشئة الإجتماعية.

ومن هنا يتضح ضرورة مواكبة التنمية الإجتماعية للتنمية الإقتصادية، فالتنمية الإقتصادية، وحدها، تشبه الآلة التي لا تجد من يديرها من القوى البشرية، كما تشبه التنمية الإجتماعية التي لا تجد سنداً إقتصادياً المخبز الذي لا يوجد به دقيق[1].

بل إن تضافر العناصر الإقتصادية والإجتماعية لا يكفي لتحقيق التنمية الشاملة «إلا إذا كان المجتمع النامي نفسه متمتعاً بالحساسية الأخلاقية النابعة من أداء الواجب للواجب، ومراعاة الضمير، والبعد عن السلبيات العديدة التي تنخر في عملية التنمية نخر السوس في العظام المتهالكة، كالإنتهازية، والأنانية، والوصولية، والرشوة، وعدم تقدير المسؤولية، والبحث عن الثراء الحرام، فتلك سلبيات لا يمكن أن تتحقق معها تنمية مجتمع ما مهما توافرت له سائر العناصر الإقتصادية والإجتماعية»[2].

فالتنمية الإقتصادية، مهما بلغت دقة الأدوات المستخدمة فيها، لا بد لها من تحريك النظم الإجتماعية والإدارية وترشيدها، ولا بد من الوعي، ونشر روح تحمل المسؤولية وتنمية قدرة الأفراد على استيعاب التكنولوجيا ومستحدثاتها الجديدة، وحسن استخدامها.

ولا بد من توفر العلاقات الإنسانية، والعدالة الإجتماعية، التي تكفل إشراك الناس في التخطيط التنموي، والتنفيذ والمتابعة، واتخاذ القرارات والإشراف، ثم الإنتفاع الأمثل بثمرات التنمية.

«ومهما اختلف العلماء حول أهمية العنصر الإقتصادي والإجتماعي، فإنه يمكن القول بأن قيمة العنصر البشري في التنمية لا يماثلها أية قوة

---

(١) - د. زكي محمد إسماعيل، التنمية: المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، مجلة كلية العلوم الإجتماعية، العدد الرابع ١٤٠٠هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ص ١٥٣.

(٢) - المرجع السابق ص ١٥٣. د. زكي محمد إسماعيل.

أخرى، لأن الإنسان هو صانع التنمية، وليس العكس، والإنسان المشار إليه هنا هو ذو الكفاية الإنتاجية والأخلاقية المرتفعة، والذي ينال قسطاً وافياً من التعليم، ويتمتع بصحة جيدة، وتتوفر له وسائل الحياة الآمنة في حاضره ومستقبله»[1].

ولقد بلغ من تقدير أهمية العلم في التنمية أن قال أحد علماء الإقتصاد وهو «مارشال» إن فئة متعلمة من الناس لا يمكن أن تعيش فقيرة، ذلك لأن الإنسان بالعلم والمعرفة والوعي والطموح والقدرة على العمل والإنتاج والإبداع، يستطيع أن يسخر كل قوى الطبيعة ومصادرها، وكل ما في باطن الأرض، وما فوقها لصالحه، والإرتفاع بمستوى معيشته، وتوفير الحياة الكريمة له[2]!!

وإذا كان علماء الإقتصاد يركزون، في عملية التنمية، على الإقتصاد والتكنولوجيا، إلا أن علماء الإجتماع «يرون أن أساس العملية التنموية ينبع من العنصر الإنساني أساساً، من حيث المهارات والخبرة، والمستوى التعليمي، وإعداد البرامج وتخطيط الأهداف، وتقدير الحاجات، والإحتياجات، من منطلق موضوعي مدروس»[3].

ويشاركهم في ذلك رجال الدين الذين يرون أن التنمية الإجتماعية يجب أن تهتم أولاً بالمحافظة على كرامة الإنسان، باعتباره خليفة الله في الأرض. ويرون أن أساس التنمية هو التعاون المثمر لخير المجتمع ونفعه. ومن هنا كان لا بد للتنمية، في نظرهم، أن تقوم على أساس المشاركة والشورى. وتستهدف التنمية استخلاص ما في الأرض من خيرات وثمار،

---

(١) - المرجع السابق ص ١٥٤ - د. زكي محمد إسماعيل.
(٢) - المرجع السابق ص ١٥٤ - د. زكي محمد إسماعيل.
(٣) - المرجع السابق ص ١٥٤. د. محمد زكي إسماعيل.

وتؤمن أن العمل التنموي يقوم على الإتقان والتحسين والتجويد والإجادة.

ومن خصائص العملية التنموية أنها مستمرة ومتصلة ومتجددة، ذلك لأن طموحات الإنسان لا تعرف الحدود. وإذا كانت التنمية ضرورية في كل المجتمعات، فهي أكثر ضرورة في المجتمعات الفقيرة حتى تتخلص من الفجوة التي تفصل بينها وبين دول العالم المتقدم.

- أهداف التنمية:

للتنمية أهداف متعددة، وتؤدي هذه الأهداف إلى نجاح التنمية. ويمكن تحديد أهداف تنمية المجتمع فيما يلي:

١ - إستثمار الموارد البشرية أو القوى البشرية في المجتمع وتنميتها.

٢ - تحسين المستوى المادي للمجتمع وأفراده[١].

المنهج التنموي:

على أن المنهج الأمثل في حركة التنمية هو المنهج التكاملي، الذي يستهدف الإرتفاع بمستوى الحياة في كل من القرية والمدينة على حد سواء، والتنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية معاً، وذلك نظراً للتداخل والتفاعل القائمين بين جوانب الحياة في المجتمع، فلا يمكن تصور الارتقاء بالجانب المادي دون الجانب الإنساني. ولا تسير خطط التنمية سيراً عشوائياً، وإنما تخضع لعملية تقويم تحدد مقدار ما أحرزته من نجاح، وما أخفقت في الوصول إليه من الأهداف المرسومة لكل خطة. وبطبيعة الحال، تختلف الأساليب التنموية باختلاف الزمان والمكان، فالتنمية في الريف تختلف عنها في الحضر، والتنمية في مجتمع إشتراكي تختلف عنها في مجتمع رأسمالي.

(١) -د. عبد الهادي الجوهري واخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية «مدخل إسلامي» مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

والوضع الأمثل في العمليات التنموية هو عدم الاعتماد على الحكومة وحدها، وإنما لا بد من إسهام الأفراد إسهاماً إيجابياً في دفع عجلة التقدم إلى الأمام، عن طريق الجهود الذاتية، واستخدام رؤوس الأموال الخاصة.

كذلك من بين المبادىء السيكولوجية الهامة في نجاح مشروعات التنمية والتطوير ضرورة اقتناع أهالي البلاد المحلية بجدوى هذه المشروعات وفائدتها، ومن ثم احتضانهم لها، ودفاعهم عنها، وحرصهم على نجاحها.

ويخطىء من يظن أن التنمية عملية سهلة أو بسيطة، ولكنها في الحقيقة، عملية معقدة، ويقف في سبيلها معوقات كثيرة، ولذلك فهي تحتاج إلى الخبراء والمخططين، والقادة وإلى التشريعات المشجعة، وإلى احتضان الدولة لمشروعاتها وتعاون الأهالي معها.

ومن الخصائص الأساسية لعملية التنمية أنها عملية مستمرة ومتصلة، ولا ينبغي أن تقف عند حد معين، وإلا كتب على المجتمع الجمود والتأخر والتخلف، ذلك لأن المجتمعات الأخرى لا تقف عند مستوى معين من التطور، وإنما تسير في سلسلة متلاحقة من التطوير والتقدم. ويخطىء من يظن أن التنمية عملية اقتصادية، وحسب، ولكنها في الحقيقة عملية اجتماعية، في المحل الأول، تتطلب تضافر الجهود الحكومية والشعبية وتعاونها. وبالطبع تتناول عمليات التنمية كل من الإنتاج، فتطوره كماً وكيفاً، وكذلك الخدمات، فتحسن من جودتها، وتوسع من آفاق انتشارها، وتزيد من أعداد المنتفعين بها، وذلك بقصد تحقيق الرفاهة الاجتماعية للغالبية العظمى من أفراد المجتمع.

ولا شك أن التنمية الحقيقية هي التي تقوم على الجهود الذاتية للمجتمع، ولا تعتمد على تقبل المعونات والعطايا من الدول الأخرى، ومن

هنا كانت ضرورة الإسهام الشعبي في مشاريعها، واكتشاف الخبرات والقيادات والمهارات الوطنية، مع ضرورة العمل على تعديل اتجاهات المجتمع لتصبح إيجابية نحو مشاريع التنمية.

ولا شك أن هناك كثيراً من المعوقات النفسية والاقتصادية والسياسية والثقافية والإدارية والروتينية والأخلاقية التي تحول دون تحقيق أهداف التنمية، من ذلك انعدام التخطيط المتكامل في التنمية، بحيث ننمي الصناعة مثلاً ونترك التعليم، أو ننمي المدينة دون القرية، ذلك لأن المجتمع وحدة عضوية متماسكة الأطراف، متكاملة العناصر، يؤثر بعضها ويتأثر بالبعض الآخر.

- الأبعاد التنموية:

ومن الدعائم الأساسية للتنمية وحدة المجتمع واتحاده وتماسكه وتضامنه، وللتنمية أبعاد أو مستويات ثلاث هي:

أ - المستوى التكنولوجي.

ب - المستوى الاقتصادي.

ج - المستوى الاجتماعي.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأبعاد البعد الإنساني، وهو أكثرها أهمية على الإطلاق. ويتمثل في تعلم المهارات واكتساب الخبرات والمعارف، والقدرات الجديدة، ثم إيجاد الفرص المؤاتية لاستغلال هذه المهارات واستثمارها، ولا بد أن يرتد عائد هذه المهارات على أصحابها، بحيث يرقى المجتمع كله. ومن هنا كانت أهمية الزكاة كعامل أساس في تحقيق الأمن الاجتماعي من خلال قانون سماوي مفروض وواجب الأداء.

ويلعب العلم والتدريب دوراً رئيساً في عملية التنمية في بلادنا النامية،

فإذا كان من الممكن الحصول على الآلات والمعدات التكنولوجية المعقدة، فإنه لا يكفي قيام العامل بمجرد تشغيلها، ولكنه مطالب بأن يفهم طبيعة الآلة وخصائصها، وأن يحسن إدارتها وإصلاحها، عندما تقتضي الحاجة ذلك، وأن يكون قادراً على صيانتها، ومعرفة دقائقها. ولذلك كثيراً ما تستجلب المجتمعات النامية الآلات الدقيقة والمعقدة وتبقى هذه الآلات حبيسة المخازن والمستودعات لعدم وجود الأيدي العاملة الماهرة والمدربة اللازمة لتشغيلها. وكثيراً ما تحال مثل هذه الآلات، رغم ما ينفق في أثمانها الباهظة؛ إلى «التقاعد» عند حدوث أول عطب بها، لعدم وجود من يستطيع إصلاحها. بل إن استقدام عناصر الثقافة الوافدة لا بد وأن يخضع للتدقيق، بحيث يقتصر على العناصر الصالحة والملائمة فقط لتراثنا الثقافي وقيمنا الدينية والخلقية.

الفصل الثاني

مؤشرات التنمية والتقدم

ـ مفهوم التقدم ومؤشراته :

في حديثنا عن المؤشرات الدالة عن التنمية نقول إن مفهومي التقدم والتخلف يختلفان باختلاف الزمان والمكان ، فما كان يعد تقدماً في عصر من العصور ليس من الضروري أن يعد كذلك في هذا العصر، فاستخدام البخار كان يعد تقدماً ملحوظاً إلى أن تم اكتشاف الكهرباء ، فأصبح مجرد حقيقة تاريخية . ولكن يعتبر كثير من الكتاب أن التقدم عبارة عن تطور الحياة العقلية للإنسان ، بمعنى أنه قدرة الإنسان المتزايدة على التحكم في الطبيعة ، كما يعتبر التقدم عبارة عن تبني أنماط جديدة من الفكر والسلوك يتقبلها المجتمع ، ويرى فيها سبيلاً لتحقيق آماله نحو حياة أفضل .

وبهذا المفهوم الواسع يتضمن التقدم كثيراً من الجوانب ، منها الجوانب الطبيعية والاقتصادية والمادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والنفسية والتربوية ، ويستهدف التقدم تحقيق الحرية الاقتصادية والرفاهة الاجتماعية ، واضطراد التقدم والرقي . أما التخلف فهو الفشل في تحقيق هذه الأنماط.

وهناك مؤشرات عديدة للدلالة على التقدم، منها المؤشرات:

أ - السكانية .

ب - الاقتصادية .

ج - الاجتماعية .

د - الثقافية .

ه - السياسية .

وعلى الرغم من هذا التصنيف، فإن هذه المعايير متداخلة ويؤثر بعضها في البعض. وعلى ذلك يعد من معايير التقدم، في المجتمع العربي، انخفاض معدلات المواليد، انخفاض معدلات الوفيات لدى الكبار والأطفال، ارتفاع المستوى الغذائي، ارتفاع المستوى الصحي. ومن المؤشرات الاقتصادية كفاية الموارد الطبيعية، وحسن استغلالها، ووفرة رؤوس الأموال، ووجود الصناعات الكبرى، واستخدام أساليب متطورة في الإنتاج، والعدالة الاقتصادية بين قطاعات المجتمع، وقلة البطالة، سواء الكلية أو الجزئية، وارتفاع مستوى الدخل الوطني، مع عدالة توزيعه، وارتفاع مستوى الدخل الفردي، وكثرة المدخرات ونمو الاتجاه نحو الاستثمار، والبعد عن أنماط الإنفاق الاستهلاكي، وتصدير الصناعات الثقيلة، واتساع آفاق الأسواق الداخلية والخارجية، وزيادة الصادرات عن الواردات، وتقدم النظم المصرفية، والاستقلال الاقتصادي، والاعتماد على الذات، مع تقديم المعونات للغير.

ومن المعايير الاجتماعية ارتفاع مستوى المعيشة، وانخفاض نسبة انتشار الأمية، وإتباع أساليب التربية الحديثة في كل من التعليم والتدريب، والبعد عن تشغيل الأحداث الصغار، عدم الجمود الاجتماعي، وكبر حجم

الطبقة الاجتماعية المتوسطة بالقياس إلى الطبقتين العليا والدنيا، وتوفر أساليب الرعاية الاجتماعية، وتشمل التعليم والصحة والإسكان ووسائل الاتصال ووسائل الترفيه، والأخذ بالأساليب العلمية، وتطبيق نتائج البحوث في كافة المجالات.

ومن المؤشرات الثقافية ارتفاع المركز الاجتماعي للمرأة، والتحرر من سيطرة العادات والتقاليد الضارة، وانتشار العلاقات الاجتماعية الإيجابية إلى خارج نطاق الأسرة، والانفتاح العقلي على الأفكار والثقافات الجديدة، والاتصال بالعالم الخارجي، واندماج الوحدات الاجتماعية الصغري في المجتمع الكبير.

ومن المؤشرات السياسية، إقامة حياة سياسية تسمح بالتقدم، وتوفر الأمن والأمان والإطمئنان لجميع أفراد المجتمع، وتمتع المجتمع بالقيم الديمقراطية في الحرية والعدالة وتكافؤ الفرص والمساواة، والبعد عن أساليب القهر والتسلط، وإتاحة الفرصة أمام جميع أبناء المجتمع للمشاركة الإيجابية في الحياة الاجتماعية، وتحقيق أهداف الجماعة.

هذه بعض المؤشرات الدالة على التقدم، وفقاً للمفهوم الغربي أما عكسها أو انعدامها فيعبر عن التخلف.

ولكن كيف يمكن قياس التقدم؟

- طرق قياس التقدم:

وعند قياس مقدار التقدم الذي يتمتع به مجتمع ما نجد أن هناك من ينتهج «منهج البعد» الواحد، حيث يركز على أمور كنسبة التعليم وحدها أو نسبة الأطباء إلى عدد السكان أو نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء أو الماء. بينما هناك من يأخذ بالاتجاه «متعدد الأبعاد» حيث يعتمد على عدة

عوامل لتحديد مدى التقدم أو التخلف، ويعتبر الاتجاه الثاني أكثر قبولاً لدى رجال الفكر التنموي.

وإذا كنا نركز في هذا البحث على تنمية العنصر البشري، فإننا نركز على مؤشرات النمو في هذا القطاع الحيوي من قطاعات التنمية، ولذلك نجد من بين هذه المؤشرات الدالة على النمو عدم انتشار أمراض سوء التغذية، وارتفاع المستوى الصحي للسكان، وكفاية المؤسسات الصحية، وعدم انتشار البطالة، ووفرة المدخرات لدى الأفراد، وارتفاع نسبة التعليم، وبالتالي قلة نسبة الأميين. وتركز المفهومات الغربية في التنمية على إدخال الجانب التقني في حياة المجتمع والاعتماد على الآلات ووفرة الإنتاج. ومن الأبعاد الإنسانية في تحديد التنمية انتشار ما يلي: -

١ - الثقة والحب والاحترام المتبادل.

٢ - وفرة وسائل الاتصال.

٣ - العدل والمساواة وتكافؤ الفرص والحريات المختلفة والإخاء.

٤ - احترام القانون والدستور.

٥ - المشاركة الجماعية.

٦ - تدعيم السلطة الشعبية.

ومن المعايير البيئية ضرورة المحافظة على بقاء البيئة نقية ونظيفة، أي عدم تلوث البيئة. وهناك من يضع تمتع الأفراد بالصحة العقلية كأحد مؤشرات التنمية حيث تقل مثلاً نسبة الانتحار، وكذلك انتشار الأمن العام، وعدم وجود ما يعرف باسم «التفرقة العنصرية أو التمييز العنصري». ومن المؤشرات كذلك زيادة عدد السنوات التي يقضيها الفرد في مراحل التعليم، ومن ذلك أيضاً قلة أو انعدام تعاطي المخدرات بين أفراد المجتمع. ومن

المعايير الهامة للتنمية في جانبها البشري، «نسبة التطور في الموارد البشرية. وهنا ينظر إلى الكم والكيف معاً، ويفترض أن هذه القوى البشرية تتكون من تشكيلات متعددة خبيرة وعادية. وفي مثل هذا الوضع، فإنه ينتظر لهذه القوى أن تنمو «كيفياً» وتتقدم عن طريق التعليم والتدريب وغير ذلك من الأساليب المطورة للبشر، وبحيث ينتظر أن تصبح في فترة زمنية لاحقة أفضل منها في فترة زمنية حالية أو سابقة[1].

وفيما يتعلق بمعيار انتشار التعليم، فإنه لا يكتفي بالكم، ولكن لا بد وأن يؤخذ في الاعتبار الكيف، أي مقدار جودة التعليم. ومن المؤشرات السياسية الهامة التكامل الوطني، والشعور بالوحدة والاتحاد والتماسك، وكذلك الشعور بالانتماء للوطن، والاعتزاز به والولاء له.

ويدخل الاستقرار السياسي، مأخوذاً بمقدار بقاء الحكام في الحكم، ضمن المؤشرات السياسية للتقدم، ويدخل في ذلك أيضاً مقدار ثبات القوانين واستمراريتها[2].

ومن استعراض هذه المؤشرات الدالة على التقدم والتنمية يتضح أن التنمية عملية واسعة الآفاق، يشترك فيها رجال الوعظ والإرشاد والقادة والمصلحون والمفكرون والدعاة والعلماء والمخترعون والمبدعون، وأهل الاختصاص الطبي والتربوي والنفسي والاقتصادي والاجتماعي والصناعي والتجاري والزراعي والسياحي والإعلامي... إلخ.

- المجتمعات التي تحتاج للتنمية السريعة:

وتميل الدراسات الأنتروبولوجية (علم دراسة الإنسان) إلى تصنيف

---

(١) - د. عبد الهادي وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية «مدخل إسلامي» مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

(٢) - المرجع السابق.

المجتمعات إلى مجتمعات حديثة تمتاز بالتقدم التكنولوجي بها، ومجتمعات تقليدية لوجود اقتصاد زراعي مستقر، ومجتمعات نامية، وتمثل النموذج المرحلي بين هذين الخطين من المجتمعات، وتسعى للانتقال إلى النمط الحديث، وذلك عن طريق عمليات كعمليات التحديث modernization، ويخلق هذا التحديث أنواعاً جديدة من العمل تقل أعداد المدربين عليه في المجتمعات النامية. وتهتم الدراسات الأنثروبولوجية بدراسة التنمية في المجتمعات الجديدة التي تقام في الصحراء والتي أدت التنمية فيها إلى تحويل شكل الحياة من البداوة والارتحال إلى التحضر والاستقرار، كما حدث ذلك بالمملكة العربية السعودية حيث ساعد النفط في التعجيل بعملية التوطين الزراعي، ثم الحضاري، وذلك في حقول النفط، أو على امتداد خطوط الأنابيب، أو في مصانع التكرير، أو في موانىء الشحن والتفريغ. وكان للنفط دور يماثل دور الماء في المناطق الزراعية، حيث يساعد على إنشاء العديد من المدن والتوسع العمراني والنمو الثقافي والتعليمي والاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي. يقودنا هذا الحديث إلى البحث في كيفية تحديث الحياة على أرضنا.

كيفية تحديث الحياة:

والطريق لحل مشاكل البشرية، في نظر الغرب، تحديث الحياة modernization ويؤدي هذا التحديث إلى زيادة الطاقة البشرية، وزيادة القدرة على التخصص، والقدرة على جمع المعارف والمعلومات، والقدرة على تنظيم العمل، وتنظيم المواد الخام، وعلى تقويم الآراء والحكم عليها. ومن ثم الحصول على النتائجُ المنشودة. كذلك فإن التحديث في نظر أصحابه يؤدي إلى زيادة قدرة الفرد على السيطرة على مستقبله أو مصيره.

ومن أجل ذلك، فإنه يتعين على الإنسان إقامة الجمعيات الإصلاحية

والخيرية ، أو المؤسسات التي تعبر عن اهتمامات الناس . ويتعين إقامة المؤسسات التي تضع اللوائح والأنظمة مع وضع أجهزة الرقابة والمتابعة التي تكفل تطبيق هذه اللوائح وتفرضها .

ولقد أدت التكنولوجيا إلى تحسين وسائل التعدين والتصنيع ، وتصنيف الأشياء واستغلال الموارد بصورة أكثر فاعلية . ولا شك أن زيادة التعليم العالي والعام والفني ، وكذلك زيادة نطاق البحث العلمي ومؤسساته ، كذلك فإن نمو الطبقة الاجتماعية الوسطى ، وزيادة فرص الاتصال والترابط بين الناس ، ووضع أنظمة جيدة للقيادة ، وللتنظيم . . . إلخ كل هذا يساعد في عملية التنمية .

ولكن هذه الوسائل تحتاج إلى الأخلاقيات التي تحكم سلوك من يقوم بها . فسيطرة التكنولوجيا على مقدرات الإنتاج قد تؤدي إلى سيطرة من يتقن هذا النوع من العمل . كذلك فإن عمليات التحديث قد يستأثر بفوائدها من يقوم بها فقط دون سواهم . فلا شك أن الفساد إذا انتشر قد يأتي على نتائج التنمية . كذلك فإذا كنا نقبل أن سياسة الانفتاح تؤدي للرواج الاقتصادي ، فقد يستأثر بفوائدها قلة من أفراد المجتمع . فالفساد corruption يعتبر آفة تلتهم كل الجهود البشرية .

ولكن العمل التنموي لا يحدث من تلقاء نفسه ، إذ لا بد له من مستلزمات .

ـ مستلزمات العمل التنموي : ـ

لا يمكن أن نتصور أن التنمية عملية عفوية أو تلقائية ، بحيث يتطور المجتمع إلى الأفضل من تلقاء نفسه ، ولكنها عملية إرادية مقصودة ، لا بد لها من التخطيط والمتابعة والتنفيذ ، ولا بد لها من توفير الوسائل والطاقات التي تكفل لها النجاح . ومن أولى هذه الطاقات الطاقة البشرية ، والمتمثلة في

مقدار ما يوجد في المجتمع من العلم والمعرفة والخبرة والمهارة، من حيث كمها ونوعها. كذلك لا بد من توفر الموارد الطبيعية، وفوق كل شيء لا بد من توفر القيم الدينية والخلقية التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات. كذلك لا بد من توفر القيادة السياسية والاجتماعية القادرة على دفع عجلة التقدم والتنمية، وتحريك طاقات الناس، وإثارة حماستهم من أجل الوصول إلى غد أفضل. وتتطلب التنمية، كذلك، وضع سياسة واضحة يرى فيها كل إنسان دوره. كما تتطلب وضع خطة تتضح، من خلالها، المشروعات المطلوبة والأولويات وشحذ كافة الطاقات. ولقد كشفت الجهود التنموية في مجتمعاتنا عن ضرورة توفر المرونة في تطبيق اللوائح والقوانين والنظم، كذلك لا بد من توفر البيانات والإحصاءات والمعلومات والحقائق المتعلقة بموضوع التنمية. ولا بد من توفر القوى البشرية المؤهلة والمدربة تدريباً علمياً وفنياً ومهنياً وروحياً وخلقياً، وإلى جانب ذلك لا بد من توفر الموارد المالية، مع الاستفادة من الجهود الذاتية لأبناء المجتمع. ولا يخفى ما لأجهزة الإعلام في دعم عمليات التنمية والتعريف بها والدعوة للإسهام فيها.

ومن مستلزمات التنمية الاستفادة من منجزات العصر ومخترعاته الحديثة في التكنولوجيا وغيرها من أدوات العصر، وتحتاج التنمية في عالمنا الإسلامي إلى تحقيق التضامن بين الشعوب الإسلامية، والتكافل، وبالتالي إنهاء الصراعات القائمة بين عناصر هذه الأمة، حتى يمكن تسخير خيرات العالم الإسلامي وإمكاناته الوفيرة في معارك التنمية. وبذلك يمكن تحقيق الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي بين ربوع هذا العالم، والقضاء على الهوة السحيقة التي تفصلنا عن دول العالم المتقدم.

التنمية الاجتماعية:

يمكن النظر للتنمية الاجتماعية:

١ - كهدف .

٢ - كأسلوب .

٣ - كعملية .

فبالنسبة لكونها هدفاً فهي تسعى للوصول بالإنسان إلى حد الاستمتاع بالرفاهة والشعور بالكرامة ، مع زيادة فاعليته وقدرته على أداء دوره في المجتمع في إطار القيم والمعايير التي يسير عليها المجتمع ، والتنمية ذاتها قد تضع للمجتمع قيماً جديدة يسير عليها .

والتنمية كأسلوب تسعى لتنمية القدرات والطاقات البشرية ، والعمل على حسن استثمارها ، وزيادة المشاركة الشعبية في مشروعات التنمية تعاوناً مع الدولة ، وذلك عن طريق توفير الخدمات المختلفة لأفراد المجتمع ، وهي كعملية يشترك فيها كل الناس لتحقيق العدالة الاجتماعية .

ومن التعاريف السائدة للتنمية الاجتماعية إنها ذلك النشاط الذي يهتم بكل التغيرات المنشودة لتحسين مستوى معيشة الأفراد ، عن طريق إشباع حاجاتهم الطبيعية والاجتماعية المشروعة كالحاجة إلى الغذاء ، والصحة ، والتعليم ، والسكن ، والثقافة ، والترويح ، والانتماء ، والأمن ، وحاجة الإنسان إلى الاطمئنان على حاضره ومستقبله . ومن هنا تدخل الأنشطة الإعلامية وعمليات التأمينات الاجتماعية ورعاية المعوقين والعجزة والأيتام ضمن إطار التنمية الاجتماعية . وكذلك رعاية كبار السن وضحايا البيوت المحطمة ، ورعاية الأحداث المنحرفين ، وإصدار التشريعات التي تحمي الأسرة ، وتصون حقوق جميع أفرادها ، ورعاية المسجونين ، وإعادة تأهيلهم اجتماعياً وخلقياً ومهنياً ، تمهيداً لإعادتهم إلى الحياة الطبيعية في المجتمع . ومن ذلك أيضاً تشجيع الصناعات والحرف المختلفة ، وإنشاء الأندية والمراكز والساحات الشعبية ، وافتتاح مراكز للتدريب المهني ،

وأخرى لرعاية الطفولة والأمومة، وإنشاء الجمعيات التعاونية، والخيرية، وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمعيات الكشافة والجوالة والأندية الاجتماعية والأندية الأدبية[1].

معوقات التنمية :-

لا شك أن العمل التنموي يحتاج إلى قيم جديدة، ولذلك فإن التقاليد والعادات الجامدة قد تقف عقبة كؤود في سبيل التقدم والارتقاء. ومن تلك العادات السلبية، والانعزالية، والتواكل، والتراخي، والعزوف عن الأعمال اليدوية، وعدم احترام العمل كقيمة خلقية واجتماعية، والخوف من كل ما هو جديد، وعدم تحمل المسؤولية والاعتماد على الدولة وحدها، والكسل، وعدم تقدير قيمة الوقت، والبعد عن التفكير العلمي، وقلة المثابرة، وقلة إيمان الناس بجدوى مشاريع التنمية وعدم تعاون الجهات المختلفة المناط بها تخطيط مشروعات التنمية وتنفيذها، أو انعدام الخبرات والمعارف والمهارات اللازمة للقيام بالعمل المتطور، أو قلة الشعور بالانتماء للمجتمع الذي تجري فيه التنمية. ومن المعوقات الرئيسة تخلف النظم الإدارية وتعقد الإجراءات والبطء والتراخي في اتخاذ القرارات، وتعدد الرئيسات وانتشار اللامبالاة بين العاملين.

ومن المعوقات النفسية، شديدة الأثر، عدم الأخذ بمبدأ «وضع الرجل المناسب في المكان المناسب» وتدخل العوامل الشخصية، والوساطة والمحسوبية وما إلى ذلك.

ومن المعوقات التربوية الرئيسة نقص الوعي التنموي لدى أفراد المجتمع. وكذلك عدم اتفاق مشاريع التنمية مع ميول الناس واتجاهاتهم،

---

(١) - د. عبد الهادي الجوهري واخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية «مدخل إسلامي» مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٢م.

وعدم إشباعها للحاجات التي يرغبون في إشباعها.

ويعيب بعض كتاب الغرب على المجتمعات النامية أن المسؤولين عن حركات التنمية إنما يوجهون اهتمامهم إلى مصالحهم الشخصية، ولا يفكرون في الصالح العام للمجتمع ككل، وأنهم لا يخضعون للقواعد أو للقانون، وأنهم يهتمون في اختيار قيادات التنمية بالمكانة status أكثر من اهتمامهم بالكفاءة proficiency. ويتركون الفرصة لعوامل الخرافة supersititions لتتغلب على الوعي الصحي السليم، وأنهم يخضعون كثيراً لقادتهم. فالمجتمع المحلي الذي يتصف بالأنانية وقصر النظر والتبذير أو الإسراف، والذي لا يتوخى الكفاءة في قادة مشروعاته الإنمائية، إنما يخلق جواً غير مناسب لأعضائه. وقد تدعي مثل هذه المجتمعات المحلية اعتناق مبادىء إنسانية، ولكنها لا تتبع في الواقع هذه المبادىء.

بل إن كثيراً من أهل القرى، في بعض البلدان النامية، لا يقدرون على الفهم العام أو الذوق العام. كذلك قد يخضع القرويون لكثير من عادات التبذير والإسراف فيقدمون كثيراً من إنتاجهم أو محاصيلهم لغيرهم على شكل هدايا أو عطايا، حتى وإن لم يكن هؤلاء في حاجة إلى مثل هذه العطايا، أو يقدمون معظم إنتاجهم كغذاء لحيواناتهم.

وهناك كثير من العادات السلبية لدى الفلاحين تعوق مسيرة العمل التنموي، من ذلك هجرة الفلاحين من القرية إلى المدينة، وإهمال الأراضي الزراعية، مما يؤدي إلى قلة الإنتاج، أو تدهور مستواه. وكذلك عادة الإسراف في استهلاك المنتجات الزراعية والحيوانية، وعدم الميل إلى تصنيفها. ومن هذه العادات أيضاً الكسل والتراخي، وعدم توفير الرعاية

- Gamer, R.E. The Developing Nations, Allyn and Bacon, london, 1982.

الزراعية اللازمة للمحصولات أو الإسراف في استخدام المياه أو القروض التي توفرها لهم الدولة .

وتستهدف برامج التنمية الزراعية إعادة توزيع الأراضي Redistributing of land وزيادة الدخل Income وزيادة الإنتاج Production وتغطية حاجة الأمة من الطعام .National food needs .

الفصل الثالث

التربية والتنمية

التفاعل بين التربية والتنمية : -

تعتبر التنمية ، في الوقت الحاضر، مطمحاً لجميع المجتمعات العربية والإسلامية ، وذلك للقضاء على ما بها من تخلف ، وللاستفادة من منجزات العلم والتكنولوجيا الحديثة ، وللارتفاع بمستوى المعيشة وتحسين نوعية الحياة[1] .

ويعتقد البعض أن التنمية تشكل الحل السحري لجميع مشكلات المجتمع . وعلى هذا الأساس ، قسمت المجتمعات إلى مجتمعات متقدمة نجحت في تحقيق خططها التنموية ومجتمعات متخلفة ، وأخرى نامية ، وهي التي تسعى لتحقيق ارتفاع مستوى المعيشة على أرضها .

---

(١) - د. عبد العزيز عبدالله الجلال ، تربية اليسر وتخلف التنمية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤٠٥هـ.

ومؤدى هذا أن الفرق بين المجتمعات يكمن في درجة التنمية ونوعيتها. ويخطىء من يعتقد بأن التنمية معادلة للنمو الاقتصادي، ذلك لأن هناك مجتمعات ارتفع فيها متوسط دخل الفرد دون أن يشارك الفرد في صنع الحياة. ومعنى هذا أن التنمية الحقيقية تظهر في إشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع، بشرط أن يشمل هذا جميع حاجات الفرد من الغذاء والسكن والصحة والتعليم والعمل، وتحقيق الذات، والمشاركة في تقرير المصير، وحرية التعبير والتفكير، والأمن والشعور بالكرامة والاعتزاز بالوطن[1].

ومن هنا يمكن اتخاذ التعريف التالي للتنمية:

«العملية المجتمعية الواعية الموجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي والاجتماعي، تكون قادرة على تنمية طاقة إنتاجية مدعمة ذاتياً، تؤدي إلى تحقيق زيادة منتظمة في متوسط الدخل الحقيقي للفرد على المدى المنظور وفي نفس الوقت، تكون موجهة نحو تنمية علاقات اجتماعية وسياسية، تكفل زيادة الارتباط بين المكافأة وبين كل من الجهد والإنتاجية، كما تستهدف توفير الحاجات الأساسية للفرد وضمان حقه في المشاركة وتعميق متطلبات أمنه واستقراره في المدى الطويل»[2].

إذا كانت المؤسسات الاجتماعية تلعب أدواراً هامة في تحقيق العملية التنموية، فإن التربية تحظى بدور هام في تحقيق التنمية، وضمان استمراريتها، ولذلك فالتقدم التربوي يعد مؤشراً من المؤشرات الدالة على حصول التنمية، وعلى اعتبار أن حاجة الشعب إلى العلم تعتبر من الحاجات الأساسية والمتزايدة، والتي يقع على التربية عبء إشباعها.

---

(١) - المرجع السابق.

(٢) - المرجع السابق.

ويحدد البعض الدور الذي يمكن للتربيه أن تقوم به حيال العمليات الانتمائية، في نشر العلم بحده الأدنى بين أكبر عدد ممكن من أبناء المجتمع، والإسهام في تعديل قيم الناس واتجاهاتهم وطمو حاتهم، ومن ذلك الإيمان بالعمل كقيمة، والإيمان بجدوى غزارة الإنتاج وتحسينة، وتكوين العادات الإيجابية في التفكير، والتحلي بالموضوعية والدقة، ونبذ التواكل والسلبية، والنزعات الاستهلاكية، وانتهاج المنهج العلمي القائم على أساس الملاحظة والتجربة والتحليل والتطبيق والنقد والمقارنة والتركيب والتمييز[1] والتعميم. وإلى جانب هذا الدور، على التربية أن تعمل على تأهيل القوى البشرية وإعدادها وتدريبها للعمل في جميع القطاعات، على أن يتمشى هذا الإعداد مع الحاجات الأساسية والمتغيرة للمجتمع من القوى البشرية، مع إعطاء الأهمية الكبرى لإعداد الأيدي العاملة المدربة والماهرة والتي يعاني المجتمع نقصاً شديداً فيها.

وإذا كانت التربية تؤثر في التنمية وتمدها بالعناصر البشرية الصالحة للقيام بمشاريع الإصلاح والعمران والتطوير، فإن التنمية، بدورها، تؤثر في التربية. فلا شك أن تطوير المجتمع وتقدمه ورخائه ونموه يؤثر في التربية، ويساعدها في التمكن من أداء رسالتها. فالتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي يؤثر في عمليات التربية. وعلى هذا فإن العلاقة القائمة بين التربية والتنمية هي علاقة تفاعل أي أخذ وعطاء، وتأثير متبادل، فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر بل لا بد لنا، في هذه المرحلة، من أن يكون للتربية، في بلادنا، دور قيادي[2] في حركة الإصلاح والتطوير والتنوير والتنمية.

---

(١) - المرجع السابق ص ١٥.

(٢) - د. عبد العزيز عبدالله الجلال، تربية اليسر وتخلف التنمية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٤٠٥هـ.

ـ أهمية التربية في عصور التنمية :

لا شك أن التربية من أهم المؤسسات الاجتماعية، ذلك لأن التربية ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية، لأنها منهج يحول الكائن البشري إلى كائن إنساني كامل، وعن طريقها يتأتى للمجتمع تعبيد سبل الحياة التي يحياها. ولما كانت المدرسة هي المؤسسة التي أوجدها المجتمع لتقوم بتربية النشىء الصغير، فإنها، تحقيقاً لهذه الغاية، تختار من الخبرات العديدة التي توجد في المجتمع وفي حياة الأفراد الذين يكونون هذا المجتمع، ما يتناسب مع تحقيق أهدافها. وهذا الاختيار والتفضيل عملية أخلاقية، في أساسها، إنها أعمق عمليات النشاط الإنساني، إذ ليس هناك عملية أخرى تضاهي في أخلاقياتها عملية تربية الأجيال[1].

وتتمكن التربية من أداء رسالتها على أساس الثقة في مرونة الكائن البشري الإنساني وقابليته للتغير، وإمكانية التحكم في نشاطه في ضوء القيم والغايات الاجتماعية المرغوب فيها.

ولقد كانت التربية، في الماضي، تركز الاهتمام على المادة الدراسية، ولكن التربية الحديثة تهتم بالاتجاهات النفسية للمتعلم، والتفاعل السوي بينه وبين المادة العملية. ولقد شهدت شبه الجزيرة العربية أعظم حركة تنوير علمي عرفها التاريخ حين شهدت مكة المكرمة فجر النبوة، وسطع فيها النور المحمدي، الذي يمثل أكبر انطلاقة فكرية في وقت كان العالم كله يرزح فيه تحت ظلمة حالكة من الجهل والتدهور الحضاري[1].

---

(١) ـ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع، التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره واستشراق مستقبله، الطبعة الثانية، جدة، ١٤٠٣هـ ص ٢١.

(٢) ـ المرجع السابق ص ٢٥.

وفي العصر الحديث، شهدت المملكة العربية السعودية مثلاً نهضة علمية شامخة حيث بلغ عدد الجامعات بها سبع جامعات، إلى جانب الرئاسة العامة لتعليم البنات، وهذه الجامعات هي:

١ - جامعة الرياض.

٢ - الجامعة الإسلامية.

٣ - جامعة البترول والمعادن.

٤ - جامعة الملك عبد العزيز.

٥ - جامعة أم القرى.

٦ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٧ - جامعة الملك فيصل.

إلى جانب المعاهد المهنية والصحية ومراكز التدريب والمدارس الثانوية المهنية والصناعية والتجارية والزراعية، ومراكز التدريب المهني والتكنولوجي [1].

ويمتاز التعليم في المجتمع السعودي بمزايا خاصة، أبرزها الاهتمام بالجانب الديني والأخلاقي اهتماماً كبيراً، وكذلك الاهتمام باللغة العربية، مع الاهتمام بالمعارف العلمية والنظرية المعاصرة. علاوة على الاهتمام بإعداد المعلم، والكتاب المدرسي الجيد، وتطوير المناهج الدراسية، وتوفير الوسائل المعينة على التدريس، وكذلك المكتبات والمعامل والمختبرات مع الاهتمام بتعليم الفتاة، وبالتعليم الخاص، بالصم والبكم،

---

(١) - المرجع السابق ص ٣١.

وضعاف العقول، والمكفوفين. وما زال أمام المملكة الكثير في ميدان النهضة العلمية.

لكل عصر من العصور نوع التربية أو النمط التربوي الذي يصلح له، فالتربية في العصر اليوناني غيرها في العصر الروماني، والتربية في العصور الوسطى غيرها في العصر الحديث. ذلك لأن التربية إن هي إلا وسيلة هامة من وسائل تحقيق أهداف المجتمع، وعلى ذلك فالتربية تختلف، في أهدافها ومضمونها ومحتواها ومنهجها، باختلاف الزمان والمكان. ولا شك أن التربية هي التي تقوم على إعداد الفرد الصالح للمعيشة في مجتمع معين. وينطبق هذا على جميع الفلسفات التربوية ما عدا التربية الإسلامية، ذلك لأن هذه الفلسفات من صنع البشر، أما التربية الإسلامية فتستمد أصولها ومقوماتها ومنابعها من أقوال الخالق العظيم، خالق البشر، ومن سنة نبيه الكريم.

ولذلك كانت التربية الإسلامية، دون سواها من المذاهب التربوية، صالحة لكل زمان ومكان، لأنها أعلم بطبيعة البشر ودوافعهم ونوازعهم، ولأنها تعتمد على الجوانب الإيمانية والروحية والخلقية، وهي أسمى ما يوجد في الإنسان.

وإذا كانت التربية الصالحة تستهدف، فيما تستهدف، سد احتياجات المجتمع والوفاء بمطالب خططه التنموية ومشاريعه الإصلاحية، من المتخصصين والمهرة في كافة المجالات، فإن حركة التنمية التي تشهدها أمتنا الإسلامية، في الوقت الحاضر، تتطلب أن نعيد النظر في أنظمتنا التربوية من حيث محتواها ومناهجها وأهدافها وطرق التدريس فيها، ووسائلها في تقويم أعمال التلاميذ، ونظمها في القبول وتوزيع التلاميذ على أنواع التعليم المختلفة وفي أنماطها الإدارية والإشرافية وفي مصادر تمويلها وما إلى ذلك من العوامل التي تؤثر في العملية التعليمية وتجعلها أكثر فاعلية وأكثر قدرة على الوفاء بمطالب خطط التنمية ومشاريعها

والجدير بالذكر أن التربية من أهم وسائل التنمية ، لأنها تمدها بأغلى وأهم عناصرها ، وأعني به العنصر البشري. وليست تنمية الإنسان المسلم وسيلة وحسب لدوره الفعال في معركة التنمية ، وإنما تنمية الإنسان المسلم إنما هي غاية في حد ذاتها ، لأن الواجب الإسلامي يقتضي منا أن نكرس الجهود لغرس قيم الحق والخير والصلاح والتقوى والورع في حس المواطن المسلم وعقله ووجدانه ، وأن نغرس فيه الإيمان الصادق المقترن بالعمل الصالح . وعلى ذلك فيمكن اقتراح المبادىء الآتية لتكون الأساس للتربية الصالحة لعصر التنمية .

مبادىء التربية التنموية أو الإنمائية

١ ـ لا بد من الاهتمام بالطفل ونموه الجسمي والعقلي والخلقي والاجتماعي ومن ذلك العمل على صقل مواهبه وتنمية ذكائه .

٢ ـ ويتطلب إعداد المعلم المسلم أن يلم إلماماً علمياً بالظروف النفسية للطفل ، وأن يعرف حاجاته ودوافعه وقدراته ، ومستوى ذكائه والمشاكل التي يعاني منها . . إلخ . ولا يكفي أن يكون ملماً بالمادة العلمية ، بل لا بد من الإلمام بعلم نفس الطفل أو علم نفس النمو .

٣ ـ لا بد من احترام شخصية الطفل وإشعاره بالأمن والأمان والطمأنينة ، وبث الثقة في نفسه ، وتمكينه من التعبير عن ذاته بمختلف أنواع التعبير ، وذلك حتى لا تكبت مشاعر الطفل ، وتصاب شخصيته بالضعف والوهن ، بل لا بد من إتاحة الفرصة أمام الطفل لتنمية إرادته الحرة . ومن هنا فلا يفرض عليه المعلم إرادته هو ، ذلك لأن لكل جيل عصره وظروفه ومطالبه ، ولذا كانت ضرورة الاهتمام بتوفير فرص التعبير الحر أمام الطلاب ، في ظل التربية الإنمائية المنشودة ، من خلال الرسم والإشغال واللعب والرحلات والجمعيات الطلابية ولا يفهم من هذا الدعوة للحرية

المطلقة، بل الحرية في ضوء احترام النظام والقانون والخضوع للإشراف والتوجيه والوعظ والإرشاد أي الحرية المقيدة بالصالح العام وبالقانون.

٤ - لا بد وأن تعتمد التربية الإنمائية على تشجيع النشاط الذاتي للطلاب، من خلال التجربة والممارسة سواء في مجالات العمل أو اللعب.

٥ - يجب أن تصبح المدرسة، في ظل عصر التنمية، صورة صادقة من الحياة خارج جدرانها، وعلى ذلك تتيح لتلاميذها فرص التعلم والاكتساب، عن طريق الخبرة الشخصية، وتشجيع التلميذ على الاعتماد على نفسه في تحصيل العلم والمعرفة وفي نماء شخصيته.

٦ - يجب أن تقوم الحياة المدرسية على أساس تنمية روح التعاون مع الجماعة، وذلك عن طريق تشجيع النشاط التعاوني بين الطلاب، وبينهم وبين الإدارة المدرسية.

٧ - يجب أن يسود المدرسة الجو الاجتماعي الصالح بحيث يسود العلاقة بين التلميذ وزملائه روح الاحترام المتبادل، والأخذ والعطاء، ومعرفة الحقوق والواجبات، والالتزام بالقوانين واللوائح، وذلك من خلال نشاط الجمعيات والأندية كجماعة الكشافة والجوالة.

٨ - يجب أن تهتم المدرسة بالصحة الجسمية والعقلية لتلاميذها. وهنا يلزم توفير فرص التدريبات والتمرينات كما يلزم توفير الغذاء وأساليب العلاج والوقاية، كما يلزم تحرير الطفل مما قد يصيبه من العقد والأمراض النفسية.

٩ - ينبغي أن يتحقق التعاون الكامل بين الأسرة المسلمة والمدرسة المسلمة في تربية الطفل وحل مشاكله أولاً بأول[1] استرشاداً بمبادىء إسلامنا الحنيف.

---

(١) - صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس الجزء الأول، دار =

١٠ - يجب أن يكون من بين وظائف المدرسة الحديثة نقل التراث الإسلامي، وكافة مظاهر الحضارة الإسلامية للأجيال الصاعدة، ذلك لأن من لا ماضي له فلا حاضر له. وعلى المدرسة أن تتوخى في هذا النقل الأمانة والصدق. وإلى جانب هذا التراث عليها أن تعمل على تعريف الطلاب بالعناصر الصالحة فقط من التراث العلمي والتقني للعصر الحديث، حتى يمكن الاستفادة من علوم هذا العصر ومنجزاته، والاستفادة من خبرات الأجيال السابقة إذ لا يمكن الاعتماد على الخبرة المباشرة في جميع مظاهر حياتنا الصناعية والزراعية والطبية والثقافية وما إلى ذلك. ومن وظائف المدرسة حفظ التراث وتطويره إلى الأحسن[٢] دائماً.

١١ - لما كانت التنمية عبارة عن حركة نحو التقدم بمظاهر الحياة في المجتمع، فإن المدرسة اللازمة لهذا المجتمع هي «المدرسة التقدمية» وهي التي تعد البيئة المناسبة، وتعتمد على نشاط التلميذ وتوفر له المشكلات التي تستثير ذكاءه لحلها وتقوم المدرسة بتشجيعه وتوجيهه نحو الأصلح.

١٢ - وعلى المدرسة، الصالحة لمجتمع التنمية، أن تحتفظ بالتراث، وأن تسجل المنجزات الجديدة حتى يكون التراث الحضاري المتراكم تحت يد الأجيال القادمة للاستفادة منه.

١٣ - ومن مهام المدرسة، المنشودة، تبسيط الحقائق وعرضها للتلاميذ بالتدريج، لأن الحضارة العلمية عبارة عن كل مركب ومعقد، ولا بد من تبسيطه حتى يتمكن التلميذ من فهمه واستيعابه. ومن هنا يلزم أن تعمل على

= المعارف، مصر، الطبعة الخامسة عشر ١٩٨٢م ص ٦٤.

(٢) - المرجع السابق ص ٨٠.

تفهيم النشىء النظم والقواعد والقوانين والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع .

١٤ - على الرغم من أن مجتمع المدرسة ينبغي أن يحاكي المجتمع الخارجي ليسهل على الطلاب التكيف فيما بعد، إلا أن المدرسة لا تنقل التراث كما هو بل عليها أن تغربله وتعمل على تنقيته من الشوائب ومن الخرافات والأباطيل ومن المفاسد الأخلاقية ومظاهر الشعوذة والتأخر ليكون الطالب ، فيما بعد، عوناً للمجتمع في مقاومة هذه الأباطيل وتلك الخرافات والتقاليد الفاسدة، ويعمل على انتشار العادات الطيبة التي تشربها في المدرسة . ولذلك يراعي القواعد الصحية ويسير وفقاً للنهج التعاوني. ومن هنا كانت «المدرسة التنموية» وسيلة في تخليص المجتمع من العيوب وإذكاء المحاسن والفضائل .

١٥ - من مهام المدرسة ، المنشودة ، إيجاد التقارب الفكري والثقافي بين طلابها. فالمدرسة تستقبل طلابها ولكل منهم ثقافته وعاداته الخاصة ، وعلى المدرسة أن تحقق التوحد والتجانس الفكري بين طلابها .

١٦ - وتحقيقاً لهذه الوحدة الفكرية والثقافية ، يتعين توحيد المناهج الدراسية في البلاد الإسلامية لتكون المدرسة آداة وصل واتصال وانسجام ووئام وتجانس واتحاد، ولتكون آداة المجتمع في القضاء على النزعات الطائفية والجماعات المنطوية أو المنعزلة ، فيشعر الطلاب بوحدة الأصل ، والمصير المشترك ، ووحدة الآلام والآمال ، والتاريخ المشترك .

١٧ - لما كانت التنمية تعتمد على سواعد قوية وعقول ناضجة ، فإن الصحة المدرسية عليها واجب هام وهو المحافظة على صحة التلاميذ : وقاية وعلاجاً ، ونشر الوعي الصحي بينهم ، ذلك لأن العقل السليم في الجسم السليم .

١٨ - تعمل المدرسة على تنميه روح الإيثار وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

١٩ - على المدرسة أن تحرص على تنمية سمات المواطن الصالح في طلابها، وهو المواطن المؤمن بربه وعقيدته الإسلامية السمحة، والذي يتحمل المسؤولية، ويرغب في التضحية، ويؤدي ما عليه من واجبات، ويؤمن بالفضيلة قولاً وفعلاً.

٢٠ - ولكي تقوم المدرسة بواجبها نحو التنمية ينبغي أن تكون هي نفسها بيئة مشبعة بالعواطف والمشاعر والخلال الحميدة، والتفاهم بين الطلاب والإدارة[١].

٢١ - يجب أن توثق المدرسة من علاقتها ومظاهر تعاونها مع البيت، بحيث تسهم في علاج ما يوجد في البيت من مشكلات.

٢٢ - يجب أن تفتح المدرسة زراعيها وأبوابها على مصارعها للبيئة المحلية، بحيث يستفيد أبناء المجتمع المحلي مما بها من أجهزة ومعدات ومعامل ومختبرات وورش وكتب ومكتبات، وبحيث تصبح المدرسة بحق، مصدراً للإشعاع الثقافي والتنوير الحضاري في المجتمع الذي توجد به.

٢٣ - عليها أن تستقدم الخبراء ورجال الاختصاص بالمنطقة لكي يتحدثوا إلى طلابها كل في مجال تخصصه، كما يخرج معلموها إلى البيئة الخارجية لإلقاء الدروس أو المحاضرات أو إعطاء التمارين والتدريبات[٢].

٢٤ - يجب أن تعدل المدرسة من طرائقها في التدريس، بحيث يتضح

---

(١) - صالح عبد العزيز ص ٨٣.

(٢) - صالح عبد العزيز ص ٨٣

في ذهن الطلاب الغرض من كل ما يتعلمونه ، وبحيث يصبح له وظيفة في حياتهم وفي حياة المجتمع .

٢٥ ـ يجب أن تنقي المدرسة وتغربل مناهجها وتخلصها مما بها من الحشو الزائد والمعلومات العديمة النفع مع الاهتمام بتعليم الطالب كيف يتعلم ، فالمادة العلمية ليست هدفاً في ذاتها ، وإنما المهم هو تنمية قدرات الطلاب وصقل مواهبهم وتعديل اتجاهاتهم .

٢٦ ـ على المدرسة ، التنموية ، أن تؤمن ، قولاً وفعلاً ، بوجود الفروق الفردية بين طلابها . والحقيقة أنه لا يوجد شخصان يتشابهان تماماً . فالطلاب ليسوا نسخة واحدة ، ولا صورة واحدة ، وإنما هم يختلفون في كم وكيف ما يمتلكون من الذكاء والقدرات والاستعدادات والميول والمهارات والسمات والأهداف والظروف ، وعلى ذلك يجب أن تتنوع المناهج الدراسية في مستوى صعوبتها ، وأن ينوع المعلم من طرائق تدريسه .

٢٧ ـ إن مدرسة تعمل في مجتمع يسعى للنمو ، لا بد وأن تؤمن بقيمة الوقت ، وبمبدأ قصر الحياة ، وعلى ذلك تساعد طلابها على الاستثمار الأمثل لوقتهم ، وأن تنتقي العناصر الصالحة من المعارف والمعلومات المتراكمة ، فتعليم الطالب لا يمكن أن يتناول كل شيء ، وإنما لا بد وأن يكون انتقائياً .

٢٨ ـ لما كانت عمليات التنمية تعتمد على تطبيق الحقائق والنظريات العلمية ومكتشفات العلم ومنجزاته ، فإن المدرسة مدعوة لتدريب طلابها على تطبيق هذه المعارف .

٢٩ ـ وحيث أن العمليات التنموية ، في جوهرها ، إن هي إلا تصدياً لمشاكل كبرى تواجه المجتمع ، وعلى ذلك فينبغي أن تنمي المدرسة في تلاميذها القدرة على حل المشاكل ، وفقاً للأسلوب العلمي[١] .

(١) ـ صالح عبد العزيز ص ١٩٢

ولقد حدد جون ديوي المشكلة «بأنها حيرة وشك وتردد تتطلب بحثاً أو عملاً يجري لاستكشاف الحقائق التي تساعد على الوصول إلى الحل»[1].

ويحدد جون ديوي في كتابه «كيف نفكر» الخطوات التي يمر بها الفرد حين تجابهه مشكلة ما يعكف على حلها:

١ ـ الشعور بالمشكلة أي شعوره بوجود مشكلة أمامه.

٢ ـ تحديد المشكلة، أي وصفها وتحديد معالمها والتعرف على ماهيتها.

٣ ـ افتراض الحلول المحتملة، أي وضع الحلول المبدئية التي يحتمل أن تكون حلولاً نهائية.

٤ ـ اختبار صحة هذه الفروض، وذلك عن طريق جمع الأدلة والبراهين.

٥ ـ إصدار الحكم أو اتخاذ القرار.

وتعتمد التربية الجيدة على الاستعانة بوسائل الإيضاح السمعية والبصرية ومنها:

أولاً:

١ ـ ذوات الأشياء المراد توضيحها حية أو محنطة.

٢ ـ نماذج الأشياء.

٣ ـ الصور الشمسية أو الجغرافية أو غيرها.

٤ ـ رسوم الأشياء أو رسوم بعض أجزائها.

---

(١) ـ المرجع السابق ص ٢١٨.

٥ - الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية .

٦ - الشرائح .

٧ - الدوائر التليفزيونية .

ثانياً : وسائل إيضاح متعلقة بالشرح وتشمل :

١ - القصص .

٢ - الشرح .

٣ - التجارب العملية .

ثالثاً : وسائل إيضاح تخرج عن نطاق المدرسة وهذه تشمل :

١ - الرحلات المدرسية .

٢ - السينما .

٣ - الإذاعة اللاسلكية[١] .

٣٠ - تهتم «تربية التنمية» بصقل قدرات الإنسان ، وتنمية قدراته العقلية والجسمية ، ومهاراته ، واستعداداته ، وميوله ، وسماته وخصاله الطيبة . وعلى ذلك تزداد كفاءته الإنتاجية ، وفاعليته ، وإسهامه ، ومشاركته في حياة المجتمع ، ويزداد عطاؤه ، سواء كان في شكل خدمات أو سلع أو إدارة وإشراف ، وتخطيط وتصميم وابتكار .

٣١ - الإيمان بقيمة العمل كواجب وكحق وكهواية نافعة ، ومن ثم حب العمل ، ونبذ الكسل والتراخي والاتكالية والاعتماد على الغير ، واحترام العمل ، مهما كان نوعه ، وتقديره وممارسته بإخلاص واتقان .

---

(١) - صالح عبد العزيز ص ٢٨٤ .

٣٢ - على التربية أن تحسن تنمية الهوايات النافعة في أبنائها بما يضيف إلى الخير العام، كتربية النحل، أو دود القز، أو تربية الأسماك والطيور والدواجن أو زراعة البساتين والزهور أو حب القراءة والإطلاع والرحلات أو أشغال الإبرة والحياكة. . . إلخ.

٣٣ - الاهتمام بالتعليم المهني الزراعي والصناعي والتجاري، وتطوير مناهجه بحيث تتناول المهن الحديثة، واستخدام التكنولوجيا والآلات الحديثة، والاهتمام بالصناعات الدقيقة، والوظائف الجديدة في المجتمع كالألكترونيات والأجهزة الحاسبة وما إلى ذلك.

٣٤ - تشجيع الأجيال الصاعدة على الانخراط في الأعمال اليدوية والحرفية، وعدم احتقارها، وغرس الاعتقاد بأنها لا تقل قدراً ولا شرفاً عن الأعمال المكتبية أو الذهنية. ويتطلب ذلك أن تتوسع التربية في إعداد العمال والصناع المهرة، وتهتم في إعدادهم برفع مستواهم الثقافي والمعرفي، إلى جانب تزويدهم بالمهارات الحرفية الدقيقة، حتى لا يشعروا بفقدان الثقة بالذات أو النقص والدونية.

٣٥ - على التربية أن تشجع أبناءها على العمل في المشاريع الإنتاجية والعمرانية مهما كانت بعيدة عن العمران، وأن تحبب إلى نفوسهم العمل بالصحارى وفي المناطق النائية وفي المجتمعات الجديدة.

٣٦ - يجب أن تقوم مؤسساتنا التعليمية بتعريف تلاميذها بخطط التنمية ومشاريعها، وأن تغرس فيهم الإيمان بجدوى هذه المشاريع، وتقدير الجهود المبذولة فيها، ومن ثم دعوتهم للاشتراك فيها.

٣٧ - يجب أن تربي المدرسة أبناءها على الحياة الجادة وتحمل المسؤولية، وذلك لأن خطط التنمية تحتاج إلى النمط الجاد من الشباب.

٣٨ - لما كانت مشاريع التنمية تعتمد على المنهج العلمي، فإن

المدرسة مدعوة لتدعيم الاتجاه العلمي في أذهان طلابها، والتمرس على ممارسة الأسلوب العلمي في تفكيرهم، ومختلف ألوان نشاطهم، وبذلك ينبذون كل ألوان الخرافة ورواسب الشعوذة مع الالتزام بالحقائق العلمية الموضوعية.

٣٩ ـ لما كان المال أحد مقومات الخطط التنموية، ولذلك فإن المدرسة مدعوة لكي تربي أبناءها على حب الإدخار والاقتصاد في النفقات، واستثمار ما لديهم من أموال، أو ما سيكون في أيديهم من أموال في المشاريع العمرانية والإنتاجية، مهما كانت هذه المشاريع بسيطة، فإن لها قيمتها في ارتفاع الدخل الوطني. وعلى ذلك يتعلم الطالب ألا ينفق ماله إلا فيما هو ضروري ونافع، وأن يلتزم الاعتدال أو والتوسط.

٤٠ ـ يتوقف الرخاء الاقتصادي والرفاهة الاجتماعية على وفرة الإنتاج وتحسين جودته، وعلى ذلك، فإن المدرسة الإسلامية المنشودة يتعين عليها أن تنمي في طلابها حب اتقان العمل والتفاني فيه، وتحسين مستوى جودته باستمرار، بحيث تقوى منتجاتنا على المنافسة في الأسواق العالمية.

٤١ ـ يجب أن تجعل المدرسة التلميذ شخصاً منتجاً أكثر من كونه مستهلكاً، ومعنى ذلك أن يزيد إنتاجه عن استهلاكه، ومؤدى ذلك أن تعمل على ترشيد استهلاك الطلاب من السلع والخدمات وترشيد الطاقات.

٤٢ ـ يجب أن تحسن المدرسة استغلال أوقات الفراغ لدى طلابها، بحيث يستفيدون منه في صقل مواهبهم، وتنمية قدراتهم ومعارفهم، أو في دخلهم وتحسين مستوى أسرهم.

٤٣ ـ لا بد من تربية الفرد على الإيجابية ونبذ السلبية، لأن مشاريع التنمية لا يمكن أن تؤتي ثمارها إذا وقف الناس موقف المتفرج حيالها.

٤٤ ـ يجب أن تغرس فيهم الشعور القوي بالانتماء للمجتمع، لما لهذا

الشعور من أهمية في دفع الفرد نحو الإتيان بكل ما يؤدي إلى سعادة المجتمع ورخائه وازدهاره ورفاهته.

٤٥ ـ لما كانت مشاريع التنمية تعتمد اعتماداً كلياً على القيم الخلقية وعلى ضمائر القائمين على تنفيذها، فإن المدرسة الإسلامية مدعوة للاهتمام بالتربية الأخلاقية لطلابها، وغرس قيم الفضيلة والعفة والنزاهة والأمانة والصدق والوفاء والإخلاص والشعور بالواجب... وما إلى ذلك من القيم الأصيلة التي يزخر بها إسلامنا الحنيف.

٤٦ ـ يجب أن تحرص المناهج الدراسية على إبراز ما يوجد في باطن أرضنا من خيرات، وما يوجد في مياهنا من أسماك، وتعريف الطلاب بالمجالات الجديدة التي يمكن استغلالها واستثمارها، ويتطلب ذلك العناية بالمناهج الجغرافية والموارد الزراعية والمعدنية والسياحية، والمجالات التي يمكن إقامة المشاريع الجديدة فيها، حتى يكون للمواطن العادي نصيبٌ في القيام بمثل هذه المشاريع.

٤٧ ـ يجب أن تحيط المدرسة تلاميذها علماً بأساليب زيادة الإنتاج التي يمكن أن تتم على المستوى الرأسي وتلك التي تتم على المستوى الأفقي، وذلك لتنمية الوعي التنموي في عقولهم وتعريفهم بأساليب التنمية ومتطلباتها وعناصرها.

٤٨ ـ عدم احتقار الأعمال اليدوية كما كانت تذهب إلى ذلك المدرسة الأفلاطونية التي كانت تعتبر العمل اليدوي من اختصاص العبيد وحدهم، أما «السادة» فيعملون في الأعمال العقلية[١].

٤٩ ـ لا بد من الاهتمام بضعاف العقول وإعدادهم وتأهيلهم للاستفادة

---

(١) ـ صالح عبد العزيز جـ ٢ ص ٢١١.

منهم في مجالات العمل المختلفة بدلاً من أن يظلوا عالة على المجتمع وعلى أسرهم .

٥٠ ـ ضرورة الاهتمام بالعلوم الإنسانية ، بادخالها ضمن مقررات الدراسة بالمعاهد والكليات العلمية والصناعية ، لتخريج المواطن الماهر والمثقف أيضاً .

٥١ ـ يجب أن توائم المؤسسات التعليمية مناهجها مع ظروف البيئات المحلية .

٥٢ ـ ضرورة العمل على محو أمية من تخلفوا عن ركب التعليم من الإناث والذكور .

٥٣ ـ يجب أن تدرب المدرسة طلابها على كبح جماح الذات والسيطرة عليها .

٥٤ ـ يجب أن تهتم المدرسة اهتماماً كبيراً بتنمية القيم الخلقية لدى طلابها .

٥٥ ـ على المدرسة أن توفر لطلابها القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدون به .

٥٦ ـ لا ينبغي أن تمارس المدرسة أي لون من ألوان العقاب البدني على تلاميذها .

٥٧ ـ يتعين على المدرسة أن تنمي روح الجماعة في نفوس طلابها .

٥٨ ـ يجب أن تتناسب المادة الدراسية ، في كمها وكيفها ، مع المستوى الذهني للطالب .

٥٩ ـ يجب أن تعمل المدرسة على تنمية الشعور الجمالي بين طلابها واستحسان المظاهر الجمالية .

٦٠ - يجب أن تعمل المدرسة على تنمية النشاط الابتكاري عند الطلاب .

٦١ - ينبغي أن تكون عملية تقويم أعمال الطلاب مستمرة ومتصلة ، وأن تعتمد على الأساليب الموضوعية في القياس ، وأن تبتعد عن أساليب الامتحانات التقليدية ، حتى تتمكن من تقدير جهود الطالب تقديراً عادلاً .

٦٢ - ينبغي أن يتحقق مبدأ تكافؤ الفرص أمام جميع الطلاب في المجالات التعليمية والمهنية .

- الاهتمام بالبحث العلمي :

لا شك أننا في عصر الاعتماد على العلم والبحث في تطوير المجتمعات «في هذه المرحلة من تطور العلم والصناعة والآلة ، يجأر مطلب أساسي غدا في نظر العلماء والباحثين وسائر قادة المجتمع المعبر العميق عن روح العصر ومستلزماته ، نعني به البحث العلمي .

وغني عن القول إن هذا البحث العلمي الدائب يأخذ اليوم أبعاداً واسعة في ميدان التقدم التقني في شتى مجالات الحياة الاقتصادية ، من زراعية وصناعية وتجارية . وإذا كان التطور التقني هو السمة المميزة لعصرنا ، بل هو أداة التقدم ومعياره ، ومقياس النمو الاقتصادي والاجتماعي في أي بلد ، فلا بد أن نضيف إلى ذلك أن البحث العلمي هو محرك هذا التطور وباعثه ورائد خطواته ، وهو الذي يستخلص منه أقصى مداه ويدفعه إلى مزيد من العطاء»[١] .

ولذلك فقد أصبح السباق الحقيقي بين المجتمعات سباقاً في مجال

(١) - د. عبدالله عبد الدائم ، التربية التجريبية والبحث التربوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م. ص ٥ .

البحث العلمي، سواء اتصل ذلك بالأرض أو بالفضاء أو بالذرة أو القمح. ولقد غدت الدول المتقدمة تخصص نسبة كبيرة من دخلها القومي لأغراض البحث العلمي، فقد خصصت الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٦٤م نسبة مئوية ٣,٧ من جملة دخلها القومي لأغراض البحث العلمي، بينما خصصت بريطانيا ٢,٧٪. وتحظى هذه الدول بعائدات اقتصادية هائلة من وراء البحث العلمي، وعلى سبيل المثال، فلقد كان عائد الأموال التي خصصت، في الولايات المتحدة الأمريكية، على أبحاث الذرة الهجنية ٧٠٠٪ [١]. فما ينفق على البحث العلمي من مال إنما هو من قبيل الاستثمار الجيد.

ولذلك فإننا نحتاج في عالمنا الإسلامي إلى ثورة تربوية لاستخدام المبتكرات والتجديدات، ونتائج التطور العلمي، لتكون في خدمة المشكلات التربوية المتمثلة في زيادة أعداد المقبلين على التعليم!

أزمة التربية المعاصرة ومشاكلها:

يرى كثير من المفكرين أن التربية المعاصرة تعيش أزمة تفوق في حدتها أزمة الطعام أو الطاقة، والأزمات السياسية والعسكرية، وإن بدت في مظهرها أقل خطراً وجذباً للانتباه [٢]، وذلك على الرغم من التوسع الكبير في التعليم في مختلف دول العالم، وعلى الرغم من تطور طرق التدريس، وتكديس المؤلفات والأبحاث التي تعالج قضايا التربية. وأزمة التعليم، وإن اختلفت في شكلها وحدتها من مجتمع إلى آخر، تظهر آثارها على كل الشعوب. وأزمة التعليم المعاصرة تختلف في شكلها وحدتها من دولة إلى أخرى، إلا أن أثارها تنعكس بوضوح على كل الشعوب، مهما تباينت

---

(١) ـ المرجع السابق ص ٦.

(٢) ـ د. زغلول راغب محمد النجار، أزمة التعليم المعاصر، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٠هـ ص ٩.

ظروفها من فقر أو غنى، ومن عراقة أو حداثة. ومهما كانت تلك الشعوب تتمتع بنظم تعليمية ثابتة أو تكافح من أجل تأسيس نظمها التعليمية كفاحاً قد يضطرها، أحياناً، إلى أن تتحمل ما لا قبل لها به، أو أن تقتطع من لقمة العيش التي تقيم أود أبنائها[1]. ولكن فيما تبدو هذه الأزمة؟

يرى بعض المفكرين أن هذه الأزمة، تتمثل في تزايد عدد الأميين البالغين في العالم نتيجة للانفجار السكاني، أو نتيجة للعجز المالي عن مسايرة التوسع في التعليم لنمو السكان. وتتمثل هذه المشكلة، في نظر البعض، في انخفاض مستوى التعليم، ومستوى خريجيه، ولكن هذه الأزمة تتمثل في حقيقة الأمر في إهمال الجانب الخلقي والروحي والديني من التربية، وكما يرى البعض، فإن هذه الأزمة «تنعكس بوضوح أكثر في الزيادة المطردة لنوازع الشر في الإنسان المتعلم، وميله إلى العنف، وفي فساد مجتمعاته وخلوها من الثقافة، وفي تحلله الأخلاقي، وفشله في حمل رسالته في هذه الحياة كإنسان، وهذه سمات أصبحت تميز عصرنا بصفة عامة، وتميز الإنسان المتعلم والمجتمعات التي تدعي أنها متحضرة بصفة خاصة[2].

والحقيقة أن هذا التحلل الأخلاقي ليس إلا نتيجة لفشل التربية، ذلك الفشل الذي يتأتى من اهمالها للقيم الإسلامية الأصيلة. ولا شك أنه من جراء هذا الفشل التربوي انتشار الأمراض والعقد والأزمات النفسية بين الشباب، وكذلك ليست حالات الحيرة والكبت والضياع والأنانية والعنف إلا مظهراً من مظاهر هذا الفشل. وليست الجماعات الشاذة المنتشرة في أوروبا كالخنافس، والهيبز، وجماعات إدمان الخمور والمخدرات،

---

(١) - المرجع السابق ص ٩.

(٢) - المرجع السابق ص ١٠.

وتسيب المرأة إلا مظهراً من مظاهر هذا الفشل الناجم بدوره عن الابتعاد عن التعاليم الدينية والتحلي بها.

وكان من نتائج فشل المؤسسات التربوية أن أصبح الحصول على المؤهل هو الغاية القصوى لدى الشباب. وإذا فسدت التربية فقد فسدت كافة مجالات الحياة الأخرى كالتجارة والزراعة والصناعة وغيرها، لأن التربية هي التي تمد هذه المؤسسات بالعناصر البشرية الصالحة أو الفاسدة. وكان من جراء الابتعاد عن قيم الدين وتعاليمه أن انتشرت الأنانية، والنفعية، والتسيب، والتعدي على حقوق الغير، والوصولية، والانتهازية، والمناورات اللاأخلاقية، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة. ومرد ذلك كله خلو التعليم المعاصر، في البلدان الأوروبية، من التربية الروحية، واقتصاره على الاهتمام بالقدرات المادية، الأمر الذي أخرج الإنسان عن الفطرة الإنسانية السليمة المتزنة بين المادة والروح[1]. وبذلك يصبح الإنسان، بهذه الحالة، خطراً على نفسه وعلى الحياة كلها، وليس أدل على ذلك من تكدس مخزون الأسلحة الذرية والهيدروجينية والنتروجينية والكيمائية والجرثومة[2]. ومن سباق الإنسان «المتعلم» في معركة الموت والدمار وغير ذلك من وسائل الدمار، التي تكفي لتدمير المنجزات الحضارية على هذا الكوكب. ويكفي أن نتأمل الجرائم التي اقترفها الإنسان «المتعلم» ضد أخيه الإنسان. فلقد سقطت الملايين قتلى في الحرب العالمية الثانية، ويكفي أن نتأمل ما ترويه مأساة شعب فلسطين الشقيق أو المآسي التي خلفتها قنبلة هروشيما ونجازاكي وغير ذلك من المجازر البشرية التي نشهدها في هذه الأيام، ومظاهر التعصب والتمييز العنصري البغيض.

---

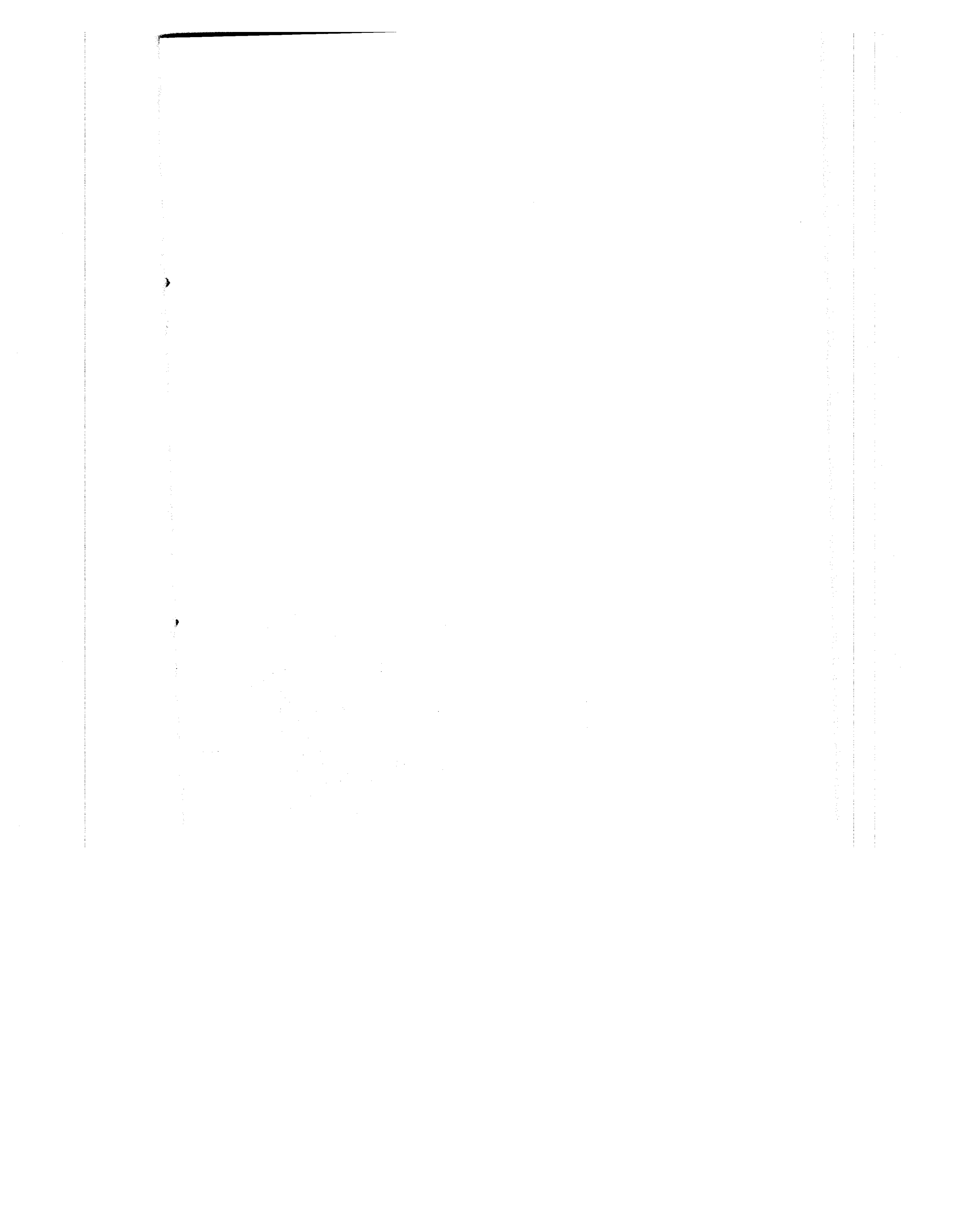
(١) ـ المرجع السابق ص ١١.

(٢) ـ المرجع السابق ص ١١.

وهناك من يرجع أزمة التعليم إلى فساد النظم التعليمية نفسها التي أصبحت، في نظرهم، نظماً تقليدية تتطلب ضرورة إعادة النظر. ويرجعها البعض إلى فقدان القدوة الحسنة في محيط التعليم الناتج من ضعف العقيدة، وهناك من يرى أن الأزمة، في جوهرها، أزمة نفسية تتمثل في الفشل في الفهم الصائب للطبيعة البشرية وفطرة الإنسان. أما الأسباب الحقيقية فتكمن في فقدان التربية للقيم الخلقية وبعد المجتمعات المعاصرة عن الدين[1] الذي هو خير عاصم من الذلل.

---

(١) - المرجع السابق ص ١٧



الفصل الرابع

تنمية الموارد البشرية

تنمية القوى البشرية : ـ

ومن الأهمية بمكان تنمية المصادر البشرية The development of human resources ذلك لأن تنمية المصادر الطبيعية لا يمكن أن يكتب لها النجاح دون تنمية المصادر البشرية ، ومن هنا لا بد من تغيير مستويات المعرفة والمهارات والاهتمامات والقيم والاتجاهات والميول والقدرات والاستعدادات والخبرات والمعارف الخاصة بأبناء المجتمع . ومن هنا كان لا بد من ارتباط السياسة التعليمية باحتياجات خطط التنمية من القوى البشرية . وذلك حتى لا يصبح التعليم آداة للبطالة ، بدلاً من أن يكون آداة للإنتاج . ويواجه مخططو التعليم صعوبة في هذا الصدد نظراً لإقبال الناس على التعليم التقليدي ، ولكن تنمية المجتمع وتحديث الحياة فيه تتطلبان وضع نظام تعليمي كفء يسد احتياجات خطط التنمية .

ويتطلب ذلك القضاء على المعوقات التي تقف في سبيل النهضة

التعليمية في البلاد من ذلك قلة التخطيط المركزي، وعدم حل المشاكل التعليمية، وجمود المناهج وتكرارها، وعدم رعاية المتفوقين، وعدم الاهتمام بالتعليم المهني، وكثرة أعداد أرباب التعليم النظري، وضعف وسائل تقويم أعمال الطلاب، حيث تقتصر، في الوقت الحاضر، على مجرد قياس القدرة على الاسترجاع والحفظوالسرد الآلي، ومن ذلك أيضاً، ضعف مستوى من يلتحق بكليات التربية والمعلمين حيث لا يدخلها إلا من يعجز عن الالتحاق بكليات أخرى. ومن العقبات المادية قصور الميزانية، وكثرة تسرب التلاميذ، وعدم اتسام الإدارة التعليمية بالطابع الديمقراطي، وقصر فترة التعليم الإلزامي. وضعف سياسة القبول، وعدم خضوعها لمعايير موضوعية، بحيث يوضع الطالب المناسب في المكان المناسب، وعدم التصدي بجدية لمشكلة القضاء على الأمية، وعدم الاهتمام بالمكتبات المدرسية وبالصحافة المدرسية[1]. وبالمعامل والمختبرات والكتب والمراجع والأندية. . . إلخ.

- الأخلاقيات اللازمة للتنمية:

والتنمية الحقة لا يمكن أن تتحقق من مجرد توفر العناصر الاقتصادية والتكنولوجية، ولكن لا بد من ارتكازها على القيم الدينية والروحية والخلقية والمثل العليا. والمعايير والخلال الحميدة، ولا بد أن تعتمد على دوافع طيبة وخيرة تحرك الناس نحو العمل التنموي، وإلا سادت الأنانية والأثرة، وضاعت الجهود على الكثرة الشعبية الغالبة.

ولذلك كان الهدف الاسمي للتنمية الاجتماعية هو تحقيق أقصى

---

(١) - د. عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية «مدخل إسلامي»، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٢م ص ٢٨٨.

استثمار ممكن للطاقات البشرية الموجودة في المجتمع مع إضافة طاقات جديدة باستمرار.

والواقع أن أول ثورة تنموية حدثت كانت في الإسلام، فلقد كان له الفضل في إحداث تغييرات شاملة في شكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية والخلقية للناس. حيث أدى الإسلام إلى ظهور أكبر نهضة حضارية عرفها العالم، لا في شبه الجزيرة وحسب وإنما في كل البلاد الإسلامية[1].

دور التوعية بجدوى المشروعات التنموية:

ومن الوسائل التي تؤدي إلى نجاح عمليات التنمية إثارة اهتمام أهالي المناطق المحلية وكذلك إثارة روح المبادأة عندهم Initiative حتى يتحقق الاشتراك الفعلي للكفاءات المحلية. ويفضل اشتراك أهالي البيئات المحلية في وضع خطط البرامج التي تخصص لارتفاع مستواهم، وذلك ضماناً لتحقيق التعاون، ذلك التعاون الذي ينمي فيهم الشعور بالاعتماد على الذات. ولذلك توضع برامج لتنمية المهارات المحلية. ولقد كانت الأمية تقف حائلاً دون توعية الناس بالمشاريع التي توضع من أجلهم ويلزم تنمية المهارات الصناعية في الصناعات الريفية وغير الريفية. وقد تتطلب مشاريع التنمية تدريب قطاعات كبيرة من نساء الريف، وكذلك تدريب المزارعين والمهندسين والمديرين إلى جانب ضرورة الاستفادة من الخبراء وتدريب رجال الإدارة.

---

(١) - د. زكي محمد إسماعيل، التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، مجلة كلية العلوم العربية والاجتماعية العدد الرابع ١٤٠٠هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ص ١٥٩.

دور الإدارة الناجحة في التنمية :ـ

ومن الأهمية بمكان ضرورة تنمية القوى البشرية القادرة على إدارة دفة التنمية، ويقصد بهم من يقومون بدور الإشراف والتخطيط والتنفيذ والمتابعة لمشاريع التنمية سواء في الحكومة أو القطاع العام أو الخاص. ولا شك أن لرجال الإدارة التنموية صفات وسمات خاصة تختلف عن رجال الإدارة العامة أو الإدارة التقليدية. فإذا كان رجال الإدارة التقليدية يميلون إلى المحافظة على الأوضاع والاستقرار ويناهضون التغيير والتطوير، فعلى ذلك لا يشجعون التغيير والتطوير. ومن هنا نستطيع أن نقول إن المدير الناجح في ظل سياسة التنمية لا بد أن يتسم بما يلي من الصفات[1] :

سمات المدير الكفء :

١ ـ الاستعداد الشخصي للقيادة.

٢ ـ القدرة على تحمل المسؤولية.

٣ ـ القدرة على سرعة البت في الأمور، واتخاذ القرارات الصائبة.

٤ ـ القدرة على فهم طبيعة التغيير وضروراته.

٥ ـ القدرة على الإسهام في حركة التطوير.

٦ ـ فهم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في المجتمع.

٧ ـ فهم أهداف التنمية والإيمان بها والتحمس لها.

---

(١) ـ د. أسامة عبد الرحمن. البيوقراطية النفطية ومعضلة التنمية، مدخل إلى دراسات إداره التنمية في دول الجزيره العربيه المنتجة للنفط، سلسلة عالم المعرفة، ١٤٠٢هـ. ص ٢١٤.

٨ ـ البعد عن نزعات الهيمنة والتسلط والاستبداد والانفراد بالسلطة أو الديكتاتورية.

٩ ـ القدرة على التأثير في الجماعة التي يتولى قيادتها، وتوجيه سلوكهم نحو الأهداف المرغوبة.

١٠ ـ القدرة على تحقيق التعاون بين جميع الفئات العاملة معه.

١١ ـ القدرة على توعية الناس ببرامجه ودعوتهم للاستفادة منها وما تقدمه من خدمات.

١٢ ـ القدرة على إثارة اهتمام الناس وتحريك دوافعهم الخيرة.

١٣ ـ القدرة على الاستفادة من خبرات جميع العاملين معه.

١٤ ـ القدرة على حسن توزيع الأعمال والمهام على الأفراد.

١٥ ـ الإيمان بالعدالة والإنصاف والمساواة في الحقوق والواجبات.

١٦ ـ الإيمان بأن التنمية تحتاج إلى العناصر البشرية، وأن الإنسان هو موجه التنمية ومحركها والمستفيد منها فهو وسيلتها وغايتها في آن واحد.

١٧ ـ أن يكون من أهدافه تطوير المهارات الإنسانية[١] للعاملين معه.

١٨ ـ ويجب أن نشير إلى نقطة هامة، وهي أنه يمكن دائماً تدريب الناس على تولي مهام القيادة، وبذلك يستطيع المجتمع أن يوفر القادة اللازمين لمختلف قطاعاته الاجتماعية والصناعية والمهنية والسياسية والتعليمية والسياحية والإعلامية ولمشاريعه التنموية، وبذلك يجب أن يكون المدير التنموي قادراً على تنمية نفسه، فالإنسان لا يولد قائداً، وإنما يولد باستعدادات عامة يحيلها المجتمع إلى مهارات قيادية.

---

(١) ـ المرجع السابق ص ٢١٥.

١٩ - القدرة على تنظيم المناقشات وإدارتها، وتشجيع أعضاء الجماعة على الاشتراك في المناقشات، وعلى تبادل الآراء، وعلى التفاعل المثمر مع الجماعة.

٢٠ - القدرة على حماية الأقلية، وإقناع المتطرفين من أعضاء الجماعة بالعدول عن التطرف.

٢١ - القدرة على اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر، بحيث لا يتعجل في اتخاذ القرارات ولا يتردد حتى تفوت الفرصة، وأن يحسن التوقيت الصائب، مع عدم الإسراف في إصدار الأوامر والنواهي.

٢٢ - القدرة على معاملة الناس معاملة حسنة، ويتطلب ذلك أن يتصف بالذكاء الاجتماعي، والاتزان الانفعالي، وضبط النفس، والمشاركة الوجدانية، والقدرة على أن يضع نفسه (المدير) موضع الغير، وعلى أن يشعر بمشاعر الغير، وأن يتصف بالتسامح مع الحزم عند اللزوم.

٢٣ - القدرة على التنبؤ بالمشكلات قبل وقوعها، والعمل على تفاديها.

٢٤ - أن يكون مستعداً للقاء أفراد الجماعة إذا رغبوا.

٢٥ - أن تكون علاقته بأفراد جماعته علاقة ودية، وإن كان ذلك لا يعني رفع الكلفة بينهم كلية.

٢٦ - القدرة على إقامة علاقات اجتماعية ناجحة.

٢٧ - القدرة على التنظيم الاجتماعي.

٢٨ - التشابه بينه وبين أعضاء الجماعة، فالقائد لا ينبغي أن يكون مختلفاً عن أفراد جماعته، بل يجب أن يشاركهم في آمالهم وحاجاتهم وليس هناك سمات ثابتة للقيادة، في كل زمان ومكان، وإنما لكل جماعة ظروفها

وأهدافها ومشكلاتها، ومن ثم فإن لها القيادة التي تصلح لظروفها الراهنة ولا تصلح لغيرها.

٢٩ - يجب أن يكون للقائد مجموعة من الدوافع التي تحرك نشاطه القيادي، كالرغبة في توكيد ذاته، وفي تحقيق أهداف الجماعة، ورغبته في نيل تقدير جماعته.

٣٠ - يجب أن يتمتع بالقدرة على إدارة الغير، ولكن مع النظر إليهم كعناصر إنسانية في جماعته، واحترام ذواتهم. أما إنكار ذواتهم، فإنه يجعل من قيادته قيادة تسلطية تثير عداء أفراد الجماعة نحوه، وتخفض من الروح المعنوية بينهم، فلا بد للقائد أن يضع حاجات الغير موضع الاعتبار.

٣١ - كذلك يجب أن يمتاز القائد بالقدرة على حل مشكلات الجماعة، وهنا تبدو الحاجة إلى عنصر الذكاء كسمة من السمات الضرورية للقيادة.

٣٢ - من سمات القائد الكفء كذلك القدرة على الاتزان الانفعالي، وعلى ضبط النفس، والتحكم في دوافعه، فإذا كان قادراً على التحكم في دوافع الغير كان قادراً على التحكم في دوافعه هو.

٣٣ - أن يكون لديه قدر كبير من الكفاءة الفنية أو المهنية إلى جانب الكفاءة الاجتماعية والخبرة.

ونستطيع أن نجعل هذه الصفات في صفة واحدة هي «النضج الشخصي»[١].

هذه السمات ضرورية للقائد الناجح، لأنه على أساس من توفرها يستطيع أن يقوم القائد بوظائفه الهامة في الجماعة، والتي من بينها رفع

(١) Krech, D. and others, Theory and Problems of Social Psychology, McGraw-Hill, New York, 1948.

الروح المعنوية للجماعة Morale إلى جانب قيامه ببناء الجماعة، وتوفير الجو الاجتماعي للجماعه، وتحديد أهداف الجماعة Goals ، وكذلك نظرة الجماعة ونشاط الجماعة. وبطبيعة الحال فإن الروح المعنوية للجماعة تتوقف على هذه الوظائف التي يقوم بها القائد. وعلى ذلك فكلما أحسن اختيار القائد كلما ارتفعت الروح المعنوية للجماعة وكلما نجحت المؤسسات في تحقيق غاياتها التنموية.

الفصل الخامس

من تجارب الأمم في العمل التنموي

النهضة العلمية في المملكة العربية السعودية : -

والحقيقة أن تطوراً كمياً كبيراً قد حدث مواكباً لحركات التنمية في البلاد العربية الإسلامية، وعلى سبيل المثال، كان عدد سكان المملكة العربية السعودية ١٩٥٠م يبلغ ٦ ملايين، وكان عدد الأطفال الذين هم في سن التعليم الابتدائي في ذلك الوقت يبلغ ٩٠٠٠٠٠، وكانت نسبة المسجلين منهم في التعليم تبلغ ٣٪، ولم يكن للإناث نصيب من هذه النسبة على وجه الإطلاق. ولقد قفزت المملكة العربية السعودية، وغيرها من البلدان الإسلامية، قفزة هائلة في التوسع التعليمي، فأصبح عدد طلاب التعليم المتوسط بالمجتمع السعودي عام ١٩٨٠م هو ٢٥٦,٧٢٤ طالباً وطالبة، وبذلك تكون قد بلغت نسبة الزيادة في عدد التلاميذ ٤٩٠٪. ولقد خطا التعليم الثانوي خطوة كبيرة نحو الأمام حيث وصل عدد الطلبة والطالبات في كل من التعليم العام والفني والمهني وإعداد المعلمين والمعلمات والتعليم الديني والصحي عام ١٩٨١ إلى ٧٣١/ ٢/ طالباً وطالبة. ولقد بلغ مجموع

طلاب التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨١ م هو إلى ٤٩١٥٦ طالباً وطالبة، مع زيادة تنوع التعليم العالي، بحيث اشتمل على الآداب والعلوم والتربية والعلوم الإدارية والشريعة والقانون والزراعة والهندسة والطب[١] والبترول والمعادن.

لتنمية القوى البشرية أهمية خاصة في دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط حيث يعتبر تطوير القوى البشرية حجر الزاوية في عملية التنمية، ومحورها الأساسي في هذه الدول بصفة خاصة، ولقد وجدت هذه الدول نفسها في وضع لا تحسد عليه رغم الثراء الذي نعمت به إذ يعاني أكثرها من نقص القوى البشرية، كما يعاني من نقص القوى العاملة المدربة. فقد ساعدت الإمكانات النفطية هذه الدول على تحقيق آمالها العراض في التنمية، فأقامت المشروعات العمرانية الضخمة، ولكنها واجهت صعوبة توفير الأيدي العاملة المدربة لهذه المشروعات العملاقة، فأصبح عليها إما الاعتماد على العمالة الوافدة أو تقليص مشروعاتها. وقد أخذت معظم دول المنطقة بسياسة الاعتماد[٢] على العمالة الوافدة. ولا بد أن يكون هذا الاعتماد مؤقتاً، وذلك حفاظاً على المصالح الاجتماعية والسياسية لأبناء هذه المجتمعات. وأصبح من الضروري تكوين طبقة إدارية ومهنية تتحكم، في هذه البلاد، في الوظائف القيادية والمهن الاستراتيجية، بل يقتضي الأمر اعتماد برامج مكثفة لتنمية القوى البشرية بصورة شاملة ومتكاملة، فيتم التوسع في التعليم النظامي، وكذلك التوسع في حملات محو الأمية، وعلاوة على التدريب في مراكز التدريب المتخصصة، يجب إعداد برامج للتدريب

---

(١) ـ د. عبد العزيز عبدالله الجلال، تربية اليسر وتخلف التنمية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٤٠٥هـ ص ٥٣.

(٢) ـ د. أسامة عبد الرحمن البيوقراطية النفطية ومعضلة التنمية، مدخل إلى دراسة إدارة التنمية في دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط، سلسلة عالم المعرفة، ١٤٠٢هـ.

أثناء الخدمة. وفي جميع برامج التنمية البشرية يجب أن تتفق هذه البرامج مع احتياجات خطط التنمية. ولكن هذه الأنشطة ما زالت في حاجة ماسة إلى الدعم والتخطيط والدراسة بحيث تفي بالحاجات الفعلية من القوى البشرية المطلوبة ولا سيما من رجال الإدارة اللازمين لإدارة هذه المشروعات.

وإذا كانت مؤسسات التعليم الخاص تلعب دوراً في التوسع التعليمي، إلا أن هذه المؤسسات لا يوجد لها أي دور يذكر في مجال التدريب المهني. ومن الواضح أن معظم مجتمعاتنا العربية تعاني من انخفاض نسبة الفنيين والإخصائيين إلى إجمالي القوى العاملة بالمقارنة بالدول الصناعية المتقدمة[1]. ولذلك يقترح قيام المؤسسات الخاصة بافتتاح مراكز للتدريب المهني في المهن والحرف التي يعاني المجتمع نقصاً كبيراً فيها، من ذلك النجارة والحدادة والبرادة والكهرباء وأعمال البناء والتشييد وإصلاح السيارات إلى غير ذلك.

وإذا كانت الدول النفطية قد استطاعت أن تستعين بالعمالة الوافدة، فإن هذه العمالة قد تعرضت في كثير من الأحيان لسوء الانتقاء أو الاختيار مما أدى إلى أن مستوى الإنتاج بقي متدنياً.

لقد احتلت الطاقة البشرية المكانة الأولى بين مقومات التنمية في نظر مجموعة من العاملين في الحكومة والقطاع الخاص في دول المنطقة. وبرزت العناصر الحاسمة في عملية التنمية، ولهذا فإن العنصر البشري عنصر يجب أن يوجه نحوه الاهتمام الكافي، إذا كان هناك ثمة رغبة صادقة في التنمية وبالمعدلات المطلوبة، ولا شك أن الإدارة جانب من جوانب الطاقة البشرية موكل إليه مهمة التخطيط والتنظيم والإشراف والتنسيق والرقابة واتخاذ القرار، ولهذا فهو يلعب دوراً إشرافياً قيادياً لتحقيق أفضل ناتج

(١) ـ المرجع السابق ص ٢٠٧.

ممكن من خلال استثمار الموارد البشرية والمادية المتاحة وإلى جانب ضآلة حجم السكان في أكثر هذه الدول، فإن نسبة متدنية من السكان هي التي تساهم في النشاط الاقتصادي[1].

وإذا كان رأس المال البشري يمثل الثروة الحقيقية، فلا بد أن تكرس الجهود لتنمية هذه الثروة، وخاصة في البلدان التي يقل فيها عدد السكان. ويمكن ذلك عن طريق التعليم، والتدريب، وإعادة التدريب، والتوعية، والإرشاد، ومحو الأمية، وتحرير الناس مما يغلهم من الأزمات والمشاكل والأمراض والصراعات وتقوية أحوالهم الصحية. من المؤسف أن كثيراً من أبناء المجتمع يكتسبون من المجتمعات المتقدمة العادات الاستهلاكية دون اكتساب الخبرات والمهارات والكفاءة في الأداء. لا بد أن ننمي في أبناء مجتمعنا العادات الإنتاجية.

ولا تقتصر التنمية البشرية على التعليم والتدريب والتأهيل ومحو الأمية، وإنما تشمل أيضاً، الرعاية الصحية والاجتماعية، والتوعية الإسلامية والوطنية والثقافية والاجتماعية والرعاية النفسية، وفوق كل شيء الرعاية الروحية والدينية، وتحقيق مبدأ الاستفادة من ذكاء الناس جميعاً وخبراتهم ليتمكنوا من الاشتراك الفعال في اتخاذ القرارات[2]. ذلك لأن ذكاء الأفراد مجتمعين أكثر، ولا شك، من ذكاء الفرد الواحد مهما ارتفع.

وعلى ذلك يدخل في نطاق التنمية التوسع في الخدمات الصحية، والعمل على خفض معدلات وفيات الأطفال، ومنع حالات سوء التغذية، والتطعيم ضد الأمراض والأوبئة المختلفة، والعمل على نشر الوعي الصحي، والثقافة الصحية والتوعية الصحية بين أفراد المجتمع.

---

(١) - المرجع السابق ص ٢٠٨.

(٢) - المرجع السابق ص ٢٠٩.

وتحتاج التنمية إلى الاهتمام «بالرعاية الاجتماعية»، والخروج عن مفهومها الضيق الذي ينحصر في مفهوم الضمان الاجتماعي، والذي لا يتجاوز تقديم بعض العون المالي للمحتاجين، وإنما ينبغي أن تتناول الرعاية الاجتماعية تدريب غير القادرين، لكي يصبحوا قادرين على القيام بدور الإنتاج في المجتمع، فلا بد من تشجيع هؤلاء لكي يحسنوا من مستواهم عن طريق الجهود الذاتية، معنى ذلك مساعدة الفرد لكي يساعد نفسه. من هذا المنطلق يدرك القارىء الكريم أن الإنسان هدف التنمية ووسيلتها في آن واحد.

ولا شك أن قلة التدريب أو انعدامه مسؤولان عما يعانيه بعض الأفراد من الفقر، حيث فشلوا في اكتساب المهارات اللازمة للأعمال الجديدة التي نشأت من وراء الطفرة الاقتصادية الكبرى. وهناك تجارب توضح أن مشاريع التنمية تنجح إذا نجحت جهود المجتمع في محو الأمية. وعلى هذا فقد اتضح أن الأمية أحد معوقات التنمية.

وينبغي أن يخضع التعليم والتدريب والتأهيل لخطط دقيقة ومدروسة، بحيث لا ينتج فائض في العمالة في بعض المجالات، بينما تعاني المجالات الأخرى من النقص. ولا شك أن التعليم يسهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في تحقيق القوة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية للدولة، ذلك لأن التعليم هو الذي ينمي قدرات الفرد وطاقاته ويوجهها لخيرة وخير المجتمع. ولقد دلت دراسات على أن متوسط دخل الأمين يقل عن متوسط دخل غيرهم من المتعلمين. ومن البدهي أن المجتمع المتعلم أكثر قدرة على تحديد أهدافه، ودوره في تحديد تلك الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما أنه أكثر قدرة على فهم طبيعة التغيير من المجتمع الأمي، ولذلك يعتبر محو الأمية متطلباً أساسياً للمشاركة المجتمعية في عملية التنمية، وتسعى شتى الدول إلى إيجاد برامج محو الأمية، وإن لم يخرج هذا السعي،

في بعض الدول النامية ، عن كونه شعاراً ، ولم تتجاوز برامج محو الأمية في البعض الآخر عن كونها برامج هشة لا تستند إلى دعم حقيقي أو لا تتوفر لها الإمكانات الضرورية ، وتدل النسب العالية للأمية في دول المنطقة والتي تتراوح في أكثرها بين ٧٠ ـ ٨٥٪ على أنه لم يحدث استثمار كاف في الموارد البشرية[1] .

فالتعليم ومحو الأمية والتدريب من أسس التنمية . وإذا لم تهتم مشاريع التنمية بتنمية الإنسان ، فإن التنمية لن تتحقق باعتبار الإنسان هدفاً ووسيلة في آن واحد . ولقد بلغ ضعف برامج التنمية ، وخاصة في القطاع النسائي ، في مجتمع كالمجتمع السعودي أن كانت نسبة المحقق منه ٩٪ من مجموع المستهدف ، وذلك في عام ١٤٠٠هـ . إذا كانت غالبية المجتمع من الأميين ، فإن المجتمع يعجز عن استيعاب طبيعة التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي المرتبط بالتنمية .

على أن الزيادة الكمية في كل من التعليم والتدريب ومحو الأمية لا تكفي لأن التنمية تحتاج إلى تربية وطنية تشعر الفرد بالانتماء إلى وطنه ، وتجعله يشعر بالمسؤولية ، وبدوره الوطني . بل إن من يجتاز برامج كان عمادها التلقين والحفظ والسرد الآلي لا يستطيع أن يقوم بدوره المنشود في معركة التنمية . بل لا بد من تنمية القدرة على التفكير العلمي ، والاستدلال المنطقي ، والحكم الصائب ، والقدرة على التحليل ، والتركيب ، والمقارنة ، والتعميم ، والتطبيق ، والنقد ، والتجريد ، والتمييز ، والإدراك السليم ، ولا بد أن تستهدف هذه البرامج تغيير اتجاهات الناس وتعديل عاداتهم السلوكية ومعاييرهم الروحية والخلقية والاجتماعية[2] .

---

(١) ـ المرجع السابق ص ٢١٢ .

(٢) ـ المرجع نفسه ص ٢١٣ .

على الرغم من برامج التنمية التي طبقت في المجتمعات الإفريقية، إلا أن دخل الأفراد في هذه المجتمعات ما زال منخفضاً، بالرغم من المساعدات والعطايا التي حصلت عليها، ولا سيما في المجتمعات الريفية الأمر الذي يتطلب الاستمرار في برامج التنمية من ناحية، مع إعادة النظر في مضمونها ومنهجها وإدارتها من ناحية أخرى.

- تنمية الخدمات الاجتماعية:

ولا شك أن للخدمات الاجتماعية Social services أهمية كبيرة في تحقيق التنمية، فالتقدم في الصحة، وتوفير مصادر المياه، وتوفير الغذاء الجيد، التعليم الجيد، كل هذا يؤدي إلى رفاهة السكان، ولا سيما في المجتمع الريفي[1]. بل إن الخدمات الاجتماعية تؤدي إلى تحقيق أغراض اقتصادية مرغوب فيها. فالصحة الجيدة تقلل العناء الأسري، والتعليم الجيد يؤدي إلى ارتفاع الكفاءة الإنتاجية في الزراعة والصناعة وغيرها من وسائل الإنتاج، عن طريق تحسين كمه وكيفه. ولكن للأسف لا تلقى الخدمات الاجتماعية ما تستحقه من عناية بالمقارنة بالخدمات الصناعية والزراعية. ومن هنا كان التفكير في زيادة كفاءة الخدمات الاجتماعية، وتوفير القوى البشرية اللازمة للنهوض بها من بين أبناء البيئات المحلية.

على كل حال، يلزم إجراء الدراسات الميدانية للتعرف على عوائد الخدمة الاجتماعية في الريف والحضر، والتعرف على مردوداتها، بغية الاستفادة، إلى أقصى حد ممكن، من الإمكانات المتاحة مع المطالبة بمزيد من الإمكانات. وتشمل الخدمات الاجتماعية معايير كثيرة كتوفر العيادات والمستشفيات الصحية، وإمدادات المياه الجيدة، ووسائل توفير العمل في المنازل، وتحسين الوجبات الغذائية التي يمكن توفر عناصرها من البيئات

---

(١) Lele Mma, The Design of rural Development, The Johns Hopkins university Press london.

المحلية[1]. ومن أهم مقومات الخدمة الاجتماعية برامج التعليم والتدريب التي تؤدي إلى تحسين نوعية الحياة.

- التجربة المصرية

ومن هذه التجارب تجربة مصر في عام ١٩٥٣م حين استهدفت التخلص من نفوذ طبقة الملاك الذين كانوا يؤيدون الملك السابق فاروق، ولذلك أقامت برنامجاً «للإصلاح الزراعي». ففي عام ١٩٥٠م كان هناك ٦٥٪ من مجموع الأراضي الريفية تتركز ملكيتها في يد ٦٪ من مجموع الملاك. وكان هؤلاء الملاك يؤجرون أراضيهم بقيم تفوق تقريباً كل عائدات الأرض. ولم ينقض عام ١٩٦٦م حتى تم توزيع ٧٣٥٣٠٧ هكتاراً من مجموع مساحة مصر الريفية والبالغ قدرها ٧٨٤٧٥٠٠ إلى أسر يبلغ مجموع أفرادها ١٥٠٠٠٠٠ فرداً وبذلك تم توسيع قاعدة الملكية الزراعية الخاصة أو الفردية. ولكن الحقيقة أن لتجربة الإصلاح الزراعي في مصر مساوىء كثيرة منها تفتيت الملكية، ووقوع الفلاح في الديون للجمعيات التعاونية وخضوعه للمشرفين عليها. وكان عدد سكان مصر ١٩٧٣م ٣٥٦٢٥٠٠٠ وبلغ مجموع سكان الريف ٧٪ من هذا العدد، وبلغ عدد المشتغلين بالزراعة ١٧٠٠٠٠٠٠، ومن هذا القبيل منع شراء أكثر من ٥ هكتارات من الأراضي الزراعية لمالك واحد يضاف إلى ذلك كثير من الإجراءات الفنية التي اتخذت لتجديد خصوبة التربة، كتنظيم دورات الري ومنع تجريفها والالتزام بزراعتها برسيم وغيره من البقول، وللمحافظة على توفير المساحة الزراعية اللازمة لتوفير الطعام، فوضعت بعض القواعد التي تمنع الزحف العمراني على البقعة الخضراء. ومن هذه الإجراءات النافعة إنشاء الجمعيات التعاونية الزراعية Cooperative societies التي تمد المزارعين بالخبرة الفنية

---

(١) - المرجع السابق ص ١١٧ سنة ١٩٧٥م.

والتقاوي والبذور المنقاة والأسمدة والكيماويات والمبيدات الحشرية . فضلاً عن توفير فرص التسويق التعاوني بالأسعار المجزية . ولا يخفى أن للجمعيات التعاونية رسالة لا تنكر في التنمية الريفية ، والاجتماعية ، وفي تحقيق الرفاهة لأهل المنطقة التي توجد فيها ، ومن ذلك تقديم القروض الميسرة loans ، وتحسين وسائل الري والصرف وبناء المدارس أو المساجد أو الأندية والساحات الشعبية ومساعدة الجمعيات الخيرية . ولتوفير الطعام نصت اللوائح والقوانين على تحديد جزء من الأرض لزراعة المواد الغذائية بدلاً من زراعة القطن ، فإن هذه الجمعيات تمد الفلاحين بالمعدات الزراعية Farm equipments ، وتشجع هذه الجمعيات الفلاح على الجد والاجتهاد والحصول على أحسن محصول . ومن ثم الحصول على أكبر قدر من الربح ، حيث ينال كل فلاح على مقدار ما يبذله من جهد وما حصل عليه من نتائج . وكان من نتيجة ذلك أن زاد إنتاج العامل الزراعي سنوياً منذ عام ١٩٥٢م بمقدار ٢٪ . فلقد أدت سياسة الإصلاح الزراعي إلى زيادة إنتاج الغذاء . ولكن على الرغم من ارتفاع معدلات الإنتاج إلا أن هناك حاجة ماسة إلى زيادة مساحة الرقعة الزراعية . وعن طريق إنشاء خزان أسوان تمكنت مصر من زيادة ٧٥٠٠٠٠ هكتاراً إلى الأراضي الزراعية ، وحولت من نظام الري بالحياض إلى الري الدائم بالنسبة لحوالي ١٠٠٠٠٠٠ هكتاراً . ولكن مصر ما زالت في حاجة إلى مزيد من الأرض الزراعية ، ويلاحظ أن تخزين المياه أدى إلى انخفاض القيمة الغذائية لبعض الحاصلات الزراعية ، مع العلم بأن أرض مصر تمتاز بالخصوبة عن غيرها من أراضي البلدان النامية الأخرى ، كما يمتاز أهلها بالرغبة في العمل الشاق والمهارة الفائقة[1] . ونظراً للاستقرار السياسي الداخلي وللعلاقات الدولية الجيدة ،

---

(١) Gamer, R.E. The Developing Nations, Allyn, and Bacon, london, 1982. ص ٣١٩

فلقد استطاعت مصر أن تحصل على كثير من المساعدات في المدة ما بين ١٩٦٩م إلى ١٩٧٤م. وما زالت تحصل على الكثير من المساعدات.

لقد كان العالم في القديم منعزلاً عن بعضه البعض، ولكن أحدثت الثورة الصناعية The industrial revolition [1] تقارباً كبيراً بين أجزائه. وربطت بين شماله وجنوبه وشرقه وغربه وقضت على هذه العزلة.

ومن الصعوبات التي تقف في سبيل حركات التنمية نقص الإعلام عن أحوال الدول النامية سواء في داخل هذه الدول أو في الدول الأوروبية، وقلة المعلومات عن حركات التنمية. والحقيقة أن الجنس البشري يحارب معركة حامية ضد زيادة السكان من ناحية، وقلة الموارد أو انخفاضها من ناحية أخرى. ويقال إن الشعور بالطمع والجشع والشره يعتبر مسؤولاً عن مشاكل الدول النامية، فمشكلة الطاقة مثلاً أو أزمة الطاقة Energy crisis لا تنتج من قلة مصادر الطاقة، وإنما من الإسراف في استخدامها. ويلاحظ أن نزعة الجشع هذه تزداد يوماً بعد يوم، وتترك قلة قليلة متخمة، بينما تبقى الكثرة الغالبة نحيلة وضئيلة.

الفصل السادس

دور العلم في تحقيق التنمية

يمتاز النشاط التنموي بالاعتماد على العلم والأساليب العلمية، والبعد عن العفوية - أو الارتجالية أو التلقائية. بل يعتمد على التخطيط الموضوعي الدقيق وعلى استخدام مكتشافات العلم ومنجزاته سواء في مجال التكنولوجيا أو في المجال الإنساني والاجتماعي.

إن معركة الإنتاج لا تقل شرفاً ولا أهمية ولا قيمة عن المعارك العسكرية التي تدور في ساحات القتال، بل إن صمود الأمم في معارك النضال العسكري يتوقف على ما تقدمه الأيدي المنتجة للأيدي المقاتلة، وعلى وجود جبهة صلبة وقادرة على توفير مزيد من الإنتاج وإدخار الكثير من المنتجات اللازمة لتموين القوات المسلحة وأفراد الشعب. والمجتمعات الحديثة تسعى إلى تطبيق العلم والمنهج العلمي على مجالات الإنتاج، فتجري التجارب والأبحاث بغية تحسين الإنتاج، ورفع مستواه كماً وكيفاً، وفي نفس الوقت تسعى إلى ابتكار الوسائل التي تقلل من نفقات تكلفة ما تنتجه من سلع حتى يصبح في متناول الجميع، وحتى تقوى، على المستوى

(١) Hepner, H, H., Psychology Applied to life and work, 1966.

العالمي، على المنافسة مع إنتاج الدول الأخرى.

والمعروف أن معركة الإنتاج لا تعرف الحدود الزمانية، فهي مستمرة ومتصلة في زمن السلم والحرب، ونحن في أشد ما نكون إلى اتباع المنهج العلمي في معركة الإنتاج حتى نتمكن من مسايرة التقدم العالمي أو ملاحقته، وحتى نتمكن من تقريب المسافة التي تفصلنا عنه، ولا سبيل إلى التقدم بغير العلم والدراسة العلمية، واتباع منهج التجريب والملاحظة الموضوعية، والاعتماد على أحدث الاختراعات في حل مشكلاتنا، حتى لا تقام المشروعات على أسس ارتجالية أو عشوائية.

ولا ينبغي أن يفهم من ذلك مجرد تطبيق العلم على ابتكار الآلات والمعدات والأجهزة التي تزيد من غزارة الإنتاج ووفرته، ولكن أيضاً اتباع الأسلوب العلمي في العناية بالعنصر البشري في الصناعة والتجارة والزراعة والسياحة وكافة وجوه الخدمات الطبية والتعليمية، وابتكار الوسائل التي تضمن سعادته ورضاه عن عمله، وتوفير الآلات التي تضمن المحافظة على صحته النفسية والعقلية والجسمية، واتباع الأساليب الإنسانية في الإنتاج والإشراف والإدارة، وإقامة العلاقات الإنسانية التي تنبع من تراثنا الإسلامي.

ولا نقصد بالإنتاج، في هذا المجال، مجرد إنتاج السلع، ولكن أيضاً إنتاج الخدمات، فالمعلم أو الطبيب أو قائد السيارة كلهم يقومون بخدمات معينة، هي، في جوهرها، نوع من الإنتاج. فأجهزة التربية التي تتناول «صناعة» المواطنين الصالحين هي نوع من الإنتاج، يبدأ بتناول مادة خام هي الطفل، وتنتهي بأن تخلق منه مهندساً أو ضابطاً أو طبيباً... إلخ، وكلما تحسنت الأجهزة التربوية كلما زاد العائد مما ينفق عليها من الأموال العامة، فهي بذلك ضرب من الإنتاج، بل من الاستثمار المفيد. ولا يكفي في

مجتمعنا الإسلامي أن نهتم بتنمية قدراته الإنتاجية المادية، وإنما لا بد من غرس القيم الروحية الأصيلة في حسه وضميره.

ولقد أصبحت الثروة البشرية من أغلى الثروات في العالم، فهي ثروة تفوق الحديد والذهب وغيرهما من المعادن. ولقد رأينا كيف يمكن أن يصدر المجتمع الغني ثروته البشرية إلى الآلاف من أبنائه من ذوي الخبرة والمهارة، وكيف يمكن أن يعود هؤلاء بالنقد الأجنبي الوفير للوطن. بل إن مجرد اختراع علمي واحد قد يوفر على الدولة المال الكثير.

والواقع أن الدول الكبرى لم تصل إلى عظمتها الحاضرة إلا بفضل استخدام جهود العلماء بها، فهناك بلاد فقيرة بالموارد الطبيعية مثل إنجلترا، ولكنها غنية بالثروة البشرية ولذلك تحقق رخاء كبيراً لأبنائها.

فالاهتمام بالعنصر البشري، بالإنسان المعاصر، هو الطريق الأكيد لبناء مجتمع يقوم على أساس من الإيمان والعلم، ولبناء أمة قوية ثرية، وخلق مجتمع متماسك.

والعنصر الإنساني هو الذي يضمن إحراز النصر في المجالات العسكرية والاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها من المجالات، فالإسلام في صدر تاريخه أحرز كثيراً من الانتصارات والأمجاد، ونجح في الفتوحات وفي تقويض دعائم الامبراطورية الرومانية الشرقية، وفي القضاء على الامبراطورية الفارسية، بفضل إيمان المسلمين وقوة إرادتهم، ورسوخ عقيدتهم، وارتفاع روحهم المعنوية، وروح التضحية والفداء والبذل والاستشهاد، وفوق كل ذلك بفضل الإيمان بالله وبالدعوة الإسلامية. والإيمان بعالميتها وقيمتها في خلاص البشرية جمعاء.

وفي المجال المهني، وجد أن الاهتمام باليد التي تدير الآلة وتحركها أكثر أهمية من الآلة نفسها. لأن العامل يستطيع إما أن يستفيد منها إلى أقصى

درجات الإفادة، أو يحطمها أو يدمرها سواء عمداً أو بدون تعمد. وبالمثل الجندي في ساحة القتال أهم من المدفع الذي يحركه، فضمير الجندي هو العنصر المهم، فهو الذي يوجه المدفع الوجهة السليمة، ويستطيع أن يجعله أداة خير ونفع وحماية للمجتمع ويستطيع أن يتركه للعدو ويولي الأدبار أو يصوبه إلى صدر إخوانه وأشقائه، انطلاقاً من الإيمان بقيمة الإنسان الذي كرمه الله تعالى. ووضعت البرامج لمحو أمية العمال، وأصبحت صحة العامل محل رعاية المؤسسات، فهناك وسائل الأمن الصناعي والحماية من أمراض المهنة. كما صدرت قوانين التأمينات الاجتماعية. كما أصبح هناك اهتمام بالتوجيه المهني والتأهيل المهني والتدريب المهني والاختيار المهني، وأنشئت مراكز التدريب المهني، وغير ذلك من مظاهر الاهتمام بالعمال، وارتفع مستوى الأجور وحددت ساعات العمل.

أما الخريجون فقد اهتمت بهم الدولة وأصبحت تكفل لهم التعيين في وظائف مناسبة ولم يكن ذلك ممكناً من قبل الدولة.

ولكن كيف يمكن تحقيق الرعاية الكاملة بالعنصر البشري في مجتمعنا الإسلامي الناهض الذي اتخذ من التنمية الشاملة غاية ومنهجاً لتحقيق التقدم؟

المعروف أننا نتمكن من ذلك عن طريق أمور كثيرة منها معرفة ميول الفرد وذكائه وقدراته الخاصة واستعدادته الطبيعية وسمات شخصيته، وتوفير الجو الملائم لنمو هذه السمات وتلك القدرات إلى أقصى حدودها. كذلك يتحقق جزء من هذا الهدف عن طريق وضع المبدأ الشهير: «الرجل المناسب في المكان المناسب» موضع التنفيذ.

وواضح أن جميع المعلومات والمعارف السيكولوجية يمكن أن تفيد في هذا المجال، كمعرفة دوافع الفرد وشخصيته وقدراته وآماله وتطلعاته بل

ومشاكله ومخاوفه وتوتراته وظروفه الاجتماعية والأسرية وفوق ذلك كله تقوية إيمانه بالله تعالى وبعقيدته الإسلامية.

مثل هذه المعلومات لا تفيد فقط في المجال المهني، ولكن من الممكن أن يفيد منها الآباء والأمهات والمعلمون والمعلمات والأخصائيون الاجتماعيون والنفسيون والأطباء والممرضون ورجال الأمن الصناعي والمديرون والقادة ورواد الشباب ورجال الدين والمسؤولون عن الوعظ والإرشاد بالمعروف والنهي عن المنكر والمتخصصون في الإعلام والتثقيف العام ورجال السياسة والإصلاح الاجتماعي ورجال التنمية وقادتها.

ومن الموضوعات التي يمكن أن يتناولها الباحثون بالعرض والتحليل الإدارة أو القيادة، والروح المعنوية، والاتجاهات، وتحليل العمل، والظروف الفيزيقية المحيطة بالعمل، والتدريب المهني، والاختيار المهني، والتأهيل المهني، والميول المهنية وغير ذلك من الموضوعات الهامة الهندسة البشرية والعلاقات الإنسانية ونظم الإشراف والملاحظة وإعداد القادة والأمن الصناعي وحوادث العمل.

والمعروف أن علماً كعلم النفس أصبح يمتد إلى جميع مجالات الحياة العملية، الاجتماعية والفردية، فهناك علم النفس التجاري والصناعي أو المهني، والحربي أو العسكري والقضائي والتربوي والعيادي أو العلاجي، وهناك علم نفس الطفل، وعلم النفس الفردي وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس الفسيولوجي (المتصل بعلم وظائف الأعضاء).

يسعى علم النفس الحديث لتحقيق كثير من المبادىء الإنسانية والإسلامية مثل وضع الرجل المناسب في المكان المناسب The best man for the best Job.

وكذلك المبدأ العلمي الذي يشير إلى ضرورة الاستفادة

من كل ما يملك الفـرد من قدرات وذكـاء واسـتعـدادات ومواهب وخبرات .From each according to his ability مثل هذا الشعـار Slógan مـا زال مجـرد شعـار يتـردد في كثير من المجتمعـات ، ولكنـه يمثـل طمـوح كثير من الناس . Aspiration ويتضمن مثل هذا الشعار الإيمان بأن الأفـراد المختلفين لديهم أيضاً قدرات مختلفة ، وفي أي مجتمع مثالي لا بد وأن يقوم كل فرد ، بالعمـل الـذي هو مهيأ ومستعـد نفسياً وعقلياً وجسـمياً لأدائـه . والمعروف أن علم النفس الحديث يؤكد حقيقة هامة هي الفروق الفردية بين الأفراد في كم وكيف ما يمتلكون من ذكاء وقـدرات واستعـدادات وميول ومواهـب وخبـرات وسمـات . وعلـى أسـاس الإيمـان بالفـروق الفـردية Individual differences .

تقـوم العمليات المتضمنـة في الاختيار المهنـي Occupational selection والتوجيه المهني Vocational Guidance .

والمعروف أيضاً أن هناك فروقاً فردية واسعة بين المهـن المختلفـة ، فهناك فرق شاسع بين القدرات والمواهب اللازمة لوظيفة مدير عام مؤسسة تجارية وبين مثيلاتها المطلوبة في مهنة «الحلاق» . إن الإيمـان بقـدرات الفرد الفـريدة ليس مبـدأ علمياً وحسـب وإنمـا هو أيضـاً مبـدأ من مبـادىء الديمقراطية الحديثة تلك الديمقراطية التي كان لإسلامنا فضـل السبـق في إقرارها والأخذ بمبدأ الشورى ومراعاة ظروف الناس .

ومن الأمثلة الواضحة على وجود الفروق الفردية الواسعة في الكفاية الإنتاجية للعمال ما أسفرت عنه كثير من الدراسات ، ففي إحدى الصناعات وجد أن عمال الشطف أو التشطيب في صناعة الزراير كان هناك فرق شاسع بين العمال الممتازين الذين يصل إنتاجهم إلى ٥٠٠ زراراً في اليوم بينما كان إنتاج العامل الضعيف ٢٥٠ فقط ، أي أن الفرق يصل إلى الضـعف ، ولقـد

وجد هذا الفرق في صناعة الغزل والنسيج، حيث تم إحصاء عدد الياردات التي ينتجها العامل في الدقيقة، ووجد أن الفرق أيضاً يصل إلى الضعف. وعلى ذلك كان العامل الممتاز يكسب ضعف العامل الضعيف، فنسبة إنتاج العامل الضعيف وجدت في كثير من البحوث ١ - ٢. لقد وجدت هذه النسبة في صناعة الملابس الداخلية والجوارب Hosiery وتشغيل ماكينات التريكو Knitting-machine operators وكان العمال يعملون تحت ظروف موحدة، مما يدل على أن هذا الفرق، يرجع إلى فروق في قدرات العمال الحقيقية، ولقد وجدت فروق أكثر سعة في صناعات أخرى مثل صناعة الملاعق، حيث كان العامل الكفء ينتج خمسة أضعاف العامل الأقل كفاءة.

هذه النتيجة، بطبيعة الحال، تنطبق على نوع معين من النشاط ولا تنطبق على غيره من الأنشطة الأخرى، فالشخص الذي يبرع أو يتقدم في نشاط معين قد يفشل فشلاً مطلقاً في نشاط آخر، وقد يكون متوسطاً في نشاط ثالث:

The-Person Who chines in one activity may be a complete failure . in another, and mediarte in a third

إن الارتباط بين النجاح في المهن المختلفة ارتباط صغير أو بسيط، ومعنى ذلك أن هذه المهن مستقلة بعضها عن بعض، وأنها تتطلب قدرات مختلفة. ومن هنا كان من الضروري بمكان أن يعرف كل شخص نوع النشاط الذي يناسبه، والذي يتفق وما لديه من ذكاء وقدرات وميول واستعدادات.

وهذه وجهة نظر التوجيه المهني الذي يساعد الفرد في تحديد اختياره للمهنة. مثل هذه المعرفة بقدرات العامل تعتبر هامة أيضاً بالنسبة لرجال الصناعة الذين سوف يزداد إنتاجهم إذا استخدموا العمال الذين تنطبق قدراتهم مع متطلبات وظائفهم أو أعمالهم. وهذه هي وجهة نظر الاختيار

المهني حيث يختار صاحب العمل أكثر المتقدمين صلاحية ولياقة وكفاءة للوظيفة الخالية عنده . ولسنا في حاجة أن نبرهن على أن هذه الفروق الفردية وراثية أو مكتسبة ، وإنما يكفي أن نقرر وجودها لكي نجعل من عمليات الاختيار والتوجيه المهني ضرورة حتمية . وتختلف الفروق الفردية باختلاف العمل أو النشاط، فكلما زاد النشاط تعقيداً زادت الفروق الفردية في القدرات اللازمة له تعقيداً أيضاً ، فلعب التنس أو الشيش من الأنشطة المعقدة والتي تعتبر أكثر تعقيداً من مناشط أخرى مثل كنس الأرضية أو غسل الأواني ، ومن هنا كانت الفروق الفردية بين لاعب التنس الممتاز واللاعب الضعيف أكثر شمولاً وتعقيداً من الفروق الفردية بين غاسل الأواني الممتاز وغاسل الأواني الضعيف فهناك فروق فردية بين المهن المختلفة ، وتتسع هذه الفروق وتتعمق كلما تعقدت المهنة ، فالفروق الفردية بين لاعب التنس الماهر ولاعب التنس الضعيف تفوق تلك الفروق عند الكناس الماهر والكناس الضعيف، كذلك الحال إذا تناولنا بعض المهن الراقية ، فهناك فروق واسعة بين الطبيب الضعيف والطبيب الماهر الشهير . ولكن للأسف ما زالت عمليات التوجيه في مجتمعنا قاصرة على الأعمال البسيطة دون الأعمال المهنية التخصصية ، والمأمول أن يمتد نشاط التوجيه والاختيار إلى جميع المهن والأعمال ، بحيث يتم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب سواء في الدراسة أم العمل ، على شرط أن يتفق ذلك مع قدراته ومزاجه وميوله وذكائه وشخصيته على وجه العموم .

وحتى في بعض المجتمعات الأوروبية ما زالت عملية الاختيار تعتمد على المقابلة Interview ، ولكن علماء النفس دائماً يحبذون وينادون باستخدام الاختبارات الموضوعية objective tests بدلاً من مجرد المقابلة الشخصية ، نظراً لتأثرها بالعوامل الذاتية لمن يجربها .

ولكن كيف نجعل من منهج المقابلة منهجاً موضوعياً صادقاً وثابتاً؟

من الدراسات المبكرة في هذا الميدان دراسة عالم النفس الفرنسي ألفريد بينيه Binet واضع اختبار الذكاء الشهير. لقد كلف بنيه ثلاثة من المدرسين بإجراء مقابلة مع عدد من التلاميذ، وطلب منهم تقدير ذكائهم، على أن يقوم كل مدرس بعملية التقويم أو التقدير مستقلاً عن غيره من المدرسين. وترك لكل مدرس حرية صياغة محتوى المقابلة، أي الأسئلة التي تضمنتها المقابلة عند كل منهم، وجاءت الأحكام مختلفة تمام الاختلاف. وكان كل معلم يعتقد أن حكمه وحده هو الحكم الصائب وأن حكم زملائه يجانبه الصواب[1].

ويدلنا ذلك على ضرورة الاعتماد على العديد من الوسائل لتقويم ذكاء الفرد وقدراته واستعداداته وميوله قبل أن نصدر حكماً يتعلق بمستقبله الدراسي أو المهني.

وهناك كثير من الدراسات التي تفيد في زيادة الإنتاج، وتقليل شعور العامل بالتعب والإرهاق، وقلة نسبة إصابات العمل، وتغيب العمال، وهجرتهم لأعمالهم، وتقليل نسبة الغادم من الخامات، من ذلك الهندسة البشرية Human Engineering ودراسة بيئة العمل Working Environment ودراسة تحليل العمل Job analysis وغير ذلك من الموضوعات التي تفيد في رفع الكفاية الإنتاجية وتؤدي إلى انخفاض تكاليف السلع.

أما عن الهندسة البشرية فليس المقصود منها محاولة علماء النفس تكوين كائن إنساني أفضل، وإنما يقصد بها مجرد تطبيق لمعارفنا ومعلوماتنا عن السلوك الإنساني، وعن قدرات الإنسان واستعداداته واستخدامها لخلق

(١) ـ المرجع السابق.

نوع من التناسق بين الإنسان والآلة Man- Machine system . وجدير بالذكر أن نشير إلى أن أي اختراع مهما كان بسيطاً أو معقداً لا بد وأن يفيد من التصميم أو التنظيم الذي يعتني ويهتم بالإنسان الذي يتولى إدارة الجهاز Human Operator .

فالاختراعات، من الإبرة إلى الصاروخ أو من قلم الرصاص إلى الطائرات الخارقة للصوت تفيد أكثر إذا وضع في الاعتبار العنصر الإنساني في تصميمها.

ولقد أفاد علم النفس التطبيقي بالفعل في كثير من الاختراعات الحديثة Designs ، ولكن هناك أمثلة كثيرة أهمل فيها العنصر الإنساني ولم يؤخذ في الاعتبار، فهناك كثير من الاختراعات أو الأجهزة والأسلحة Weapons التي اخترعت في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٤) ولكن استخدامها كان صعباً ومجهداً بل قد يكون من المستحيل استخدامها بصورة مستمرة ودائمة، بمعنى أن العامل لا يستطيع إدارة هذه الآلات لمدد طويلة بصفة متصلة. ففي هذه الأجهزة لم يأخذ مهندس التصميم في الاعتبار بعض الأشياء الواضحة والبسيطة مثل طول ذراع الرجل، أو كم من الأذرع يمتلك، أو العتبة المطلقة لكثافة الصوت Sound intensity التي تستطيع أذناه أن تتحمل دون أن تصاب بالصمم الأكيد.

ومن أمثلة ذلك أنه تم اختراع طيارة نفاثة مقاتلة ذات محركات متعددة، ولكن أجهزة ضبطها والتحكم فيها كانت في أماكن متباعدة.

For example, The multi-engine-military-aircraft designed with important control functions in different relative locations.

ولم يكن في متناول الطيار أن يسيطر على الأجهزة بسهولة أو أن تتمكن يداه من تناولها فالهندسة البشرية تستخدم المعلومات الخاصة بالسلوك في

تصميم الآلات. ومن أمثلة ذلك المعلومات الخاصة بالإدراك الحسي Perception والمهارات الحركية Motor skills التي تفيد في تصميم الآلات. ولقد وجد أن نسبة الخطأ في قراءة عداد معين تختلف باختلاف شكل العداد، فتصل هذه النسبة إلى ٣٥٪ في حالة الخط الرأسي وتصل إلى ٢٧,٥ في حالة الخط الأفقي بينما تنخفض هذه النسبة إلى ٥٪ في حالة ما تقرأ وحدها من نافذة مفتوحة وتصل إلى ١٠,٩٪ إذا اتخذ العداد شكل ساعة مستديرة بينما تصل إلى ١٦,٦٪ إذا اتخذ العداد شكل نصف دائرة.

وواضح أن أفضل هذه الأشكال وأقلها عرضة إلى الخطأ هو شكل النافذة المفتوحة وأكثرها عرضة للخطأ في القراءة هو العداد الرأسي.

دور المرشد النفسي:

والواقع أن علم النفس المهني لا يهتم فقط بالعامل الصناعي أو بالعامل الماهر داخل مصنعه وعلى خط الإنتاج، ولكنه يهتم أيضاً بكل العاملين كالبائع والتاجر والصانع، والكاتب والموظف وغيرهم مثل المشرفين أو الملاحظين والقادة والمديرين.

ولقد كشفت البحوث عن فوائد كثير من الإشارات والرموز التي تعتبر لغات واضحة تهدي الناس في سلوكهم وتصرفاتهم، فالضوء الأحمر والأخضر يرشدان قائد السيارة، وكذلك باقي الإشارات والأشكال البيضاء والخضراء تحدد له الطرق التي يستطيع اجتيازها وتلك التي لا يجوز المرور فيها. والسائح يسترشد طريقه بواسطة بعض الكتيبات المصورة التي تحتوي على أشكال تمثل أماكن المتاحف ومحطات السكة الحديد وحدائق الحيوان، وبذلك يتخطى العقبات اللغوية. وكذلك فإن هناك بعض الاختبارات وأدوات القياس التي تثبت فائدتها في اختيار الصانع أو العامل أو البائع ذي الكفاءة العالية. ومن هنا كان من الضروري ومن المفيد

الاعتماد على الاختبارات في التوجيه والاختيار والتدريب والتأهيل والإشراف والقيادة في المجالات المهنية. وإلى جانب ذلك فإن المجال الصناعي يعد بيئة خصبة لدراسة السلوك الإنساني، ولدراسة حاجات العمال ودوافعهم واتجاهاتهم وميولهم، وهم في مواقف عملية حقيقية.

ولذلك فليس من المستغرب أن تستخدم معظم الشركات والمؤسسات والمصانع الأمريكية كثيراً من الإخصائيين السيكولوجيين. ولقد اتسعت آفاق عمل السيكولوجي في الصناعة ولم يعد نشاطه قاصراً على تطبيق الاختبارات. إنه حقاً يقوم بتصميم الاختبارات وبالتأكيد من «صدقها»[1] أي التأكد من أنها تقيس فعلاً القدرة التي وضعت من أجل قياسها، وأنها تتنبأ، بنجاح وبدقة، بسلوك العامل في المستقبل، ولكن إلى جانب هذه الوظيفة فإنه يعمل كمستشار للعلاقات العامة في الشركة، ويساهم بالرأي والتضحية في عقد الاتفاقات والعقود مع الشركات الأخرى، كما أنه يصمم البحوث لمعرفة العادات الشرائية وأذواق المشترين في الأسواق التي تنتج لها الشركة. كذلك فإنه يساهم في وضع برامج التدريب في الشركة، ويحاول أن يجعلها قائمة على أساس من سيكولوجية التعلم Psychology of learning ويجعل برامج التدريب خاضعة لشروط التحصيل الجيد المعروفة، كما أنه يقوم بالكثير من البحوث لمعرفة العوامل المؤثرة في الروح المعنوية مثلاً، أو في الخط الإداري، وأساليب الإشراف، أو نظام العمل بالشركة، وساعاته، ونظام المكافآت والحوافز وما إلى ذلك.

كذلك فإنه يساهم في وضع برامج الأمن الصناعي Safety

---

(١) - راجع كتاب المؤلف علم النفس والإنسان لمعرفة مدلول الصدق وأنواعه وكيفية الحصول عليه.

Programms ، كمـا يشتـرك مع المهنـدسين الـذين يصممـون الآلات Equipment design للتأكد من مراعاة الجوانب الإنسانية في تلك الآلات، فقد تكون تلك الآلات مصممة بطريقة تسبب المرض أو التعب أو التشوه للعامل الذي يديرها، وكما سبق القول، فإنه يقدم العون للعلاقات العامة في الشركة، ويساهـم في تحقيق التفاعـل بين الشـركة والمستهلـكين، بل بين المؤسسة والمجتمع ككل، وفوق ذلك فإنه يساهم في وضع برامج الصحة العقلية للعمـال Mental health of the workers ويساعـد الإدارة في خفض نسبة تغيب العمال عن أعمالهم Absenteeism .

كذلك يساهم في حل مشاكل كبار السن من العمال، كما أنه يستقبل المعينين الجدد بالشركة، ويقدم لهم فكرة عن طبيعة العمل بهـا. ويشتـرك الإخصائي النفسي في الاختيار المهني وفي التدريب ألمهني وفي الإشراف Supervision وفي تقويم العمل أو تقدير مرتبات الأعمال المختلفة.

أهمية العلوم الإنسانية لطلاب التكنولوجيا: -

ويتضح لنا أن علم النفس المهني ضروري لا لطالـب علـم النفس، وحسب وإنما لكل المشتغلين بالمجالات المهنية، لأن كل منا مهما كانـت طبيعة عمله لا بد وأن تقابله بعض المشاكل الإنسانية، وفوق ذلك فإن كل منا له وظيفة، ولكل وظيفة متطلباتها من الـذكاء، والقـدرات والاستعـدادات والميول والسمات، ومن الخبرات والمهارات التي تحتـاج إلـى التـدريب والتعليم. وفي واقع الأمر فإن طلاب الجامعة والمعاهد العليا، سواء كانوا يدرسون مواد أدبية أو علمية، فهم في حاجة إلى دراسة علم النفس حتى يستطيعوا أن يحددوا لأنفسهم ماذا يريدون، ومـاذا يمتلـكون من قدرات، وماذا يعرفون عن طبيعة المهن والأعمال الأخرى. وإلى جانب ذلك فبحكم التوسع الصناعي الضخم لم يعد من المستغرب أو من غير المتوقع أن يصبح

أي خريج من خريجي الجامعة قائداً في إحدى المجالات المهنية أو الصناعية.

وبحكم تعقد المجتمع وارتفاع المستوى الحضاري، أصبحت القيادة الصناعية مهمة صعبة بحيث يتعذر النجاح فيها على الشخص الذي لم يتلق علوماً إنسانية. فقدان المعرفة بالعلوم الأدبية والإنسانية يعتبر عائقاً خطيراً أمام القائد الصناعي وأمام رجال الأعمال العامة. فلا بد من دراسة الجانب الإنساني في الإدارة The human side of management وتوكيد أهمية الجانب الإنساني في الإشراف يرجع إلى علم النفس.

ويفيد علم النفس طالب التكنولوجيا، فالمهندسون مثلاً يحتاجون في مستقبل حياتهم المهنية إلى علم النفس، فقد كشفت بعض الدراسات على أنه بعد مضي خمس سنوات من التخرج ابتعد ٥٠٪ من المهندسين عن أعمالهم الهندسية، وبعد عدة سنوات أخرى أصبح معظمهم بعيداً عن الأعمال التكنولوجية عامة.

فقد ارتقى بعضهم إلى المناصب الإدارية Administration ، بينما تحولت نسبة أخرى إلى مجالات البيع Sales ، وبعضهم أصبح من المقاولين، وأصبح الجميع مهتمين ومنغمسين في الجوانب الإنسانية من الصناعة. وفي دراسة أخرى، أجريت على خريجي إحدى كليات الهندسة الذين وصلوا إلى مناصب الإشراف والقيادة في الصناعة، قرر هؤلاء أن ٧٥٪ من وقتهم كانوا يقضونه في العمل مع الناس Working with People .

وتبدو أهمية المهارة في العلاقات الإنسانية Human Relations من دراسة أجريت على أكثر من أربعة آلاف موظف من ٧٦ شركة، حيث وجد أن هناك فقط ١٠,١٪ قد طردوا من أعمالهم بسبب عدم الكفاءة

التكنولوجية أو الفنية ، بينما على العكس من ذلك طرد ٨٩,٩٪ بسبب فشلهم في التعامل مع الناس .

وواضح أن المهارة في التعامل مع الناس تفوق أهمية المهارة التكنولوجية في احتفاظ الفرد بوظيفته القيادية .

وسواء كنا نعمل في المجال الصناعي أو لا ، فإن حياتنا في المجتمع الحديث كمستهلكين أو كمواطنين تتأثر بالتغيرات الصناعية ، فنحن نتأثر بعلاقة العمال بالإدارة ويرتد أثر هذه العلاقة على ما في جيوبنا من نقود، كما أننا نتأثر بالمخترعات التكنولوجية التي تؤثر على إنتاج السلع والخدمات لأنها تساهم في سعادتنا المادية ورفاهتنا الحضارية . ولقد أصبحت الصناعة قوة كبيرة في المجتمع العالمي والمجتمع المحلي، ونحن كمسلمين لا بد وأن نحاط علماً بتلك القوة .

مكانة علم النفس في الصناعة الحديثة :

يخطيء بعض الناس في تحديد مكانة علم النفس في المجالات الصناعية ، ويرجع أحد علماء النفس هذا الخطأ إلى حقيقة شهرة علم النفس، حيث أنه يتعامل أو يتناول بعض الموضوعات التي يدعي جميع الناس أنهم يعرفونها مقدماً . فالمديريون يدعون القدرة على حل جميع المشاكل ، وعلى إدارة الإنسان وتوجيهه . إن هناك صعوبات كبيرة في جعل رجال الإدارة يؤمنون بفوائد ذلك العلم الحديث . ولتوضيح بعض هذه الفوائد بالنسبة للمهندسين ، نسوق إحدى التجارب البسيطة التي أجريت في واحد من المجالات الصناعية ، والتي نتج عنها وفراً مالياً للشركة ، فقد أرادت الشركة أن تعرف عما إذا كان إرسال العمال الجدد لحضور دورة تدريبية يفيد في زيادة الإنتاج من عدمه ، ولذلك أخذت مجموعة من العمال الجدد وقسمتها إلى قسمين متساويين في كل شيء ، وأرسلت مجموعة منها لحضور

برامج التدريب، بيما أرسلت المجموعة الأخرى بدون تدريب لممارسة العمل مباشرة، وبعد دلك قوّمت أعمال وإنتاج كل من المجموعتين، وسجلت نفقات الإنتاج عند كل منهما، ولقد وجد أنه حتى بعد مضي ٦ شهور خبرة في ممارسة العمل ما زالت المجموعة غير المدربة تأخذ ٢٩ دقيقة لتغيير سكاكين إحدى المخارط الطائرة، بينما كانت المجموعة المدربة تستغرق ١٨ دقيقة فقط لأداء هذا العمل، فمعنى ذلك أن هناك وفراً في الزمن قدره ١١ دقيقة، وكان نتيجة ذلك توفير نحو ٣٠ ألف دولار سنوياً للشركة، وعلاوة على ذلك فقد وجد أنه خلال الشهر الأول من العمل كانت نسبة الحوادث تنقص عند المجموعة المدربة بمقدار ١٩٪ منها عند المجموعة غير المدربة. كذلك كانت نسبة العادم وتدمير الآلات Waste and breakages أقل عند المجموعة المدربة، وكانت نسبة هجرة العمال لأعمالهم lobour turnover كانت أقل، وبالمثل نسب تغيب العمال كانت أقل بمقدار ٥١٪ عن مثيلتها عند المجموعة غير المدربة. ولقد أجريت هذه التجربة بتوجيه وإشراف الأخصائي النفسي.

ولقد انبثقت من معامل علم النفس كثير من المعلومات التي توضح لنا كيف يتعلم الناس، وكيف يمكن تدريبهم بطريقة أكثر وفراً واقتصاداً في الوقت والجهد والمال. وفي المجال الإكلينيكي العيادي عرف الأخصائي النفسي كيف يشعر الناس، وكيف يستجيبون لمواقف الفشل وخبرات الإحباط.

وفي مجال العمل عرف السيكولوجي ما هو الإشراف الجيدGood supervision وما هي أساليب الإشراف الرديء. كذلك فإن السيكولوجي يعرف كثيراً من المعلومات عن السلوك الإنساني، والتي يمكن تطبيقها في مجال الإنتاج والتصنيع Manufacture ، وفي توزيع السلع والمنتجات Distribution . إن خبرة السيكولوجي ليست ذات فائدة اقتصادية لرجال

الصناعة، وحسب، ولكنها تفيد أيضاً في خلق البيئة الصناعية السعيدة بالنسبة للعامل نفسه.

ولقد كشفت دراسات كثيرة عن حلول عملية لمشكلات الإدارة Management وبرهنت عن خطأ معتقدات رجال الأعمال القدامى أو التقليديين. فلقد ثبت خطأ الفكرة القديمة من أن الرجل ذا الحكم الصائب على الرجال، يستطيع لأول وهلة أن ينظر إلى طالب العمل، وأن يتكلم معه برهة ثم يقول لتوه أنه يصلح لعمل كذا وكذا أو لا يصلح. كذلك ثبت خطأ الفكرة القديمة القائلة بأن ملاحظ العمل Foreman الممتاز هو الرجل الشديد الغليظ Tough . وبالمثل ثبت خطأ الفكرة القائلة بأن العامل يجري وراء الأجر فقط، إنما الحقيقة هناك دوافع أخرى أهم بالنسبة للعامل منها الشعور بالكرامة، واحترام إنسانيته، وتقدير جهوده وشعوره بالانتماء للمؤسسة.

كذلك كشفت البحوث النفسية الحديثة أن شعور الفرد بالتوتر والضغط يتأثر بحالته الانفعالية أكثر مما يتأثر بالعمل الشاق. ويؤثر ذلك في نسب تغيب العمال، فهناك علاج متعارف عليه بين العمال للتخلص من الرئيس النكد أو المزعج وذلك بأخذ إجازة من العمل.

ويمكن أن يساهم الأخصائي النفسي في دراسة سيكولوجية المستهلك، وتصميم الإعلانات، ومعرفة حاجات ودوافع المستهلك، بل إن هناك من يزعم القدرة على معرفة الدوافع اللاشعورية عند الناس، ولذلك يصممون الإعلانات التي تخدم هذه الأغراض اللاشعورية. فمنهم من يصف السيارة المعلن عنها بأنها جزء من شخصية صاحبها، وتعبر عن هذه الشخصية.

وباتساع مجال تطبيق علم النفس أصبح هو نفسه صناعة من الصناعات الراقية الحديثة. فهناك بعض الشركات التي تتولى القيام بالبحوث النفسية

لغيرها من الشركات. ففي عام ١٩٦٢ بلغ عدد العملاء المطلوب قياسهم ١١ ألفاً عند اتحاد البحث العلمي Science research associates . وقد تضاعف هذا العدد في السنوات التالية. ولقد كشفت بعض الدراسات التي تجريها المجلات العلمية والمنظمات الصناعية Industrial organizations أن هناك أكثر من ٦٠٪ من الشركات تستخدم الاختبارات النفسية. وإذا أخذنا تطبيق الاختبارات وحدها كمظهر من مظاهر النشاط السيكولوجي لوجدنا أنه يرجع إلى ٢٢٠٠ سنة قبل الميلاد في بلاد الصين. وفي عام ١١١٥ قبل الميلاد استخدمت الحكومة الصينية اختبارات مهنية لبعض الوظائف الحكومية، كما استخدمت المقاييس لاختبار الصيادين والكتاب والفرسان.

ولكن يميل بعض النقاد إلى توجيه النقد للاختبارات على أساس أنها ليست وسائل كاملة أو مطلقة، ولكن الواجب أن نقارن الاختبارات، لا بالكمال المطلق، وإنما بغيرها من الوسائل التي تستخدم في الاختيار والتوجيه المهني والتربوي. والواقع أن هناك كثيراً من الأخطار التي تحدث في الاختيار المهني والتوجيه المهني والتدريب المهني وفي الترقيات وهذه الأخطار تكلفنا الكثير. فالتدريب وإعادة التدريب يتكلف الكثير.

وليس تطبيق الاختبارات إلا جانباً واحداً من جوانب علم النفس في الميدان الصناعي، فهو يساهم في القيام بالكثير من البحوث، ومعرفة علل كثير من المشكلات الصناعية، ويضع حلولها على أسس إنسانية.

الفصل السابع

دور الجامعة في تحقيق التنمية

للجامعة دور رئيس في تحقيق أهداف المجتمع ومن أظهر هذه الأهداف آماله التنموية وتحقيق التقدم والرخاء والاكتفاء الذاتي.

الجامعة مؤسسة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالجو الاجتماعي المحيط بها، فهي من صنع المجتمع من ناحية، ومن ناحية أخرى هي آداته في صنع قيادته الفنية والمهنية والسياسية والفكرية، ومن هنا كانت لكل جامعة رسالتها التي تتولى تحقيقها، فالجامعة في العصور الوسطى تختلف رسالتها وغاياتها عن الجامعة في العصر الحديث، وهكذا لكل نوع من المجتمعات الجامعة التي تناسبه. وهنا نتساءل ما هي الرسالة التي ينبغي أن تقوم بها الجامعات العربية المعاصرة في هذه الحقبة التاريخية الهامة من تاريخ أمتنا؟ تلك الحقبة التي تسعى فيها أمتنا العودة بالشباب إلى حظيرة الدين الإسلامي الحنيف وتطوير شكل الحياة على أرضنا الطيبة.

لقد تطورت واتسعت وظيفة الجامعة في العصر الحديث، ولم تعد مجرد تخريج عدد من المهندسين أو الأطباء، بل أصبحت قائدة لخطى التطور والتقدم بما تكشفه من [illegible] تسهم به من حلول للمشاكل الراهنة والمستقبلة، فالجامعة تسهم في مواجهة تحديات العصر ومتطلباته،

ونشر المعرفة وتوسيع آفاقها، ولذلك ينبغي أن يتمشى النهوض بالجامعة مع خطط التنمية الشاملة، لأنه أحد عناصرها المهمة وذلك حتى تتمكن بدورها من تنمية المجتمع[1].

وكليات العلوم الإنسانية بوجه خاص، هي التي تعكس الشخصية الوطنية للمجتمع الذي تعيش فيه، فهي التي تحوي التراث القومي، وتحييه، وتبعث فيه الحياة من جديد إلى جانب اهتمامها بالعلم الحديث أيضاً.

لقد كان هدف الجامعة في العصور الوسطى الحفاظ على التراث وتفسيره وتأويله عن طريق نقل هذا التراث إلى أذهان الطلاب. أما الجامعات في القرن التاسع عشر فقد أدت الثورة الصناعية إلى ربط الجامعة بالصناعة، وخروجها عن عزلتها، فأصبحت الجامعة منبراً للمعرفة كما هي مكان للعمل والبحث والتوجيه والتطوير[2].

وينبغي أن تكون نظرتنا لطلاب الجامعة على أنهم بشر تعمل الجامعة على إثارة ملكاتهم وتوجيهها وتنميتها وصقلها. بل أن معظم جامعات العالم لا ترتبط بالصناعة وحسب بل ترتبط بالأرض وبالإنتاج الزراعي والمعدني.

والتعليم الجامعي، بحق، هو أحد الوسائل الرئيسة التي تساعد الدول النامية على اللحاق بركب الحضارة الحديثة المتطورة وسريعة التطور. والواقع أن المسئوليات الملقاة على عاتق الجامعات العربية تفوق طاقاتها المادية والبشرية فيكفي أن نعلم أن جانب تعليم الطلاب ورعايتهم وحده جانب ضخم.

إن الجامعة الحديثة في الوطن العربي لا تواجه أعداداً متزايدة من الطلاب المتعطشين لاكتساب العلم وحسب، بل إنها تواجه انفجاراً علمياً

(١) -د. زاهية قدورة الجامعة اللبنانية ١٩٧٤م.

(٢) -محمد مرسي أحمد. الجامعات العربية والمجتمع العربي المعاصر. مجلة اتحاد الجامعات العربية، نوفمبر ١٩٧٢م

ضخماً في المعارف العلمية التي تخرج من معامل العلم ومراكز البحث. وهنا نتساءل عن أهداف الجامعة The objectives of the university في هذا المجتمع العالمي سريع الحركة وسريع النمو، وما هو دورها في وسط هذا الانفجار العلمي الثقافي المتزايد الذي تزدحم فيه الاكتشافات والمعارف العلمية المتزايدة؟ فهل يظل في الإمكان، ومن المرغوب فيه، نقل كل هذا التراث العلمي المتراكم والمتزايد إلى أذهان الطلاب؟

New scientific discoveries and related technological development are appearing at an ever-increasing rate.[1]

يحتاج هذا التغيير السريع إلى إعادة النظر، بصفة مستمرة، في المقررات الدراسية، وفي المهارات التي تنميها الجامعة في طلابها.

إن الجامعة الحديثة لا تواجه فقط بالانفجار السكاني بل أيضاً «بالانفجار المعرفي» ومن هنا كانت ضرورة الأخذ بمبدأ التخصص (Specialisation) فهناك كثير من محتويات المناهج التي أصبحت قديمة أو بالية (aut of date) - إن وضع مثل هذه الأمور، التي كانت حقائق في وقت من الأوقات، في ذهن الطالب ثم إزالتها فيما بعد يعد مهمة شاقة ومرهقة. وإذا عرفنا أن المعرفة الراهنة سوف تصبح قديمة في يوم من الأيام، أصبح علينا أن نعد عقلية الطالب بحيث يتعامل مع المواقف والنظريات الجديدة، وأن يعيد تركيب معلوماته وتنظيمها، وأن يهضم كل جديد بنفسه، بمعنى أن ننمي فيه «القدرة على التعلم» وعلى ذلك فليست وظيفة الجامعة هي نقل أو مناولة «سلة» من المعرفة والكفاءة المهنية، وإنما إعداد الطالب للقيام بعملية التعليم طوال حياته[1].

---

(١) Barger, R. Seaborne, A. The Psychology of learning, Pelican Books, 1966.

إن الجامعة ينبغي أن تحقق «الفطام التعليمي» لطلابها، بمعنى تنمية روح الاستقلال (Independence) عن الأساتذة ويحقق هذه السمة نظام الأستاذ الخاص (Tutorial system) ذلك النظام الذي يسمح بمقابلة الطالب للأستاذ بمفرده أو مع اثنين أو ثلاثة من الطلاب لكي يساعده في الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من الإمكانات الجامعية.

Nations Who wish to retain their Places in the Present ruthless World Competition in Scientific and other fieleds must make full use of the resources of talent of their citizens, and for this Purpose they will have to take steps to ensure that those who have the ability to come into Pool take advantage of the appropriate educational facilities.[1]

فيجب أن يلتحق الشباب بالدراسات والأعمال التي يستطيعون أن ينموا ويتقدموا فيها، وأن يكتشفوا ويستغلوا قدراتهم وميولهم إلى أقصى درجة ممكنة[2].

Young people should enter careers in which they can develop and exploit their abilities and interests to the utmost extent.[3]

ولهذا أهمية بالنسبة للفرد والمجتمع وللأمة وكفاءاتها وتقدمها. ومعنى هذا تحول اتجاهنا نحو التوجيه التربوي والمهني Educational and Vacational guidance.

---

(١) M.C. Intosh,.D.M. Educational guidance and the Pool of ability. university of london Press_ 1959.

(٢) ـ د. عبد الرحمن العيسوي. القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٥

من الاهتمام بالأزمات Rises إلى الاتجاه الإنمائي أو الارتقائي Developmental View Points [1].

دور الجامعات العربية في تنمية المجتمعات الصديقة :

تجتاز الأمة العربية مرحلة حاسمة في تاريخها ، وتعيش فترة تحول حاسمة ، ولذلك فلا ينبغي أن تكون الجامعات أبراجاً عاجية ، تعيش بمعزل أو بمنأى عن الأحداث الجارية في الأمة العربية وحولها ، بل تسهم في الحياة الاجتماعية وكما تتأثر الجامعة بالجو الاجتماعي المحيط بها فإنها أيضاً قادرة على التأثير فيه ، وإعادة تشكيله . ومن المهم أن يتفهم الطلاب أهداف أمتهم وأمانيهم ، وأن يدركوا مشكلاتها الراهنة والمستقبلية التي تنتج عن دخول الأمة العربية عصر التكنولوجيا الحديثة . وإذا كانت الجامعة أداة المجتمع في صنع القيادات المختلفة ، ومصدراً أساسياً من مصادر الفكر والإشعاع الثقافي ، وإذا كانت الأمة العربية تتطلع إلى مد يد المعونة إلى الدول الآسيوية والإفريقية الصديقة ، فإننا نصبح في حاجة إلى تزويد شبابنا بالمعارف والمهارات اللازمة للاضطلاع بمسؤوليات العمل بهذه المجتمعات ، ولا سيما التدريس بلغات أجنبية ، وأن تفتح الجامعة أبوابها أمام أبناء هذه المجتمعات . ولعل هذا ما يحدث بالفعل في بعض الجامعات العربية كالجامعات السعودية التي تستقبل أعداداً كبيرة من الطلاب الأفارقة والأسيويين والجامعات المصرية التي تستقبل مئات الطلاب من القطر السوداني الشقيق في الوقت الراهن .

كذلك يقع على عاتق الجامعات العربية المعاصرة مسؤولية نشر العلم والثقافة ، والتوجيه الفكري والعقائدي الإسلامي ، كما يقع عليها مسؤولية

(٣) Hopson, B. and Hayes J. the theory and Practice of Vocational guidance, Pergamon Press,. Oxford 1963.

إجراء الدراسات والبحوث والمؤلفات المتصلة بحياة هذه الشعوب الصديقة .

وذلك حتى لا تضطر مثل هذه البلاد إلى طلب العون من المؤسسات أو المصادر الاستعمارية .

أهداف الأمة الإسلامية والعربية : ـ

من الأهداف الأساسية الراهنة لأمتنا العربية الإسلامية إبراز روح الوحدة الإسلامية والعربية ، والتماسك أو التضامن العربي والإسلامي بكافة صوره وأشكاله ، والاهتمام الزائد باستثمار الأموال العربية في البيئات العربية ، ودخول عالم التكنولوجيا الحديثة ، والتصدي للصهيونية والاستعمار وإقامة الصناعات المتقدمة المتطورة على أرض الوطن العربي ، ولا سيما توليد الطاقة ، وتحسين المياه ، واستصلاح الأراضي ، واستغلال الثروات السمكية والمعدنية ، وإقامة السدود والخزانات ، وتعبيد الطرق وما إلى ذلك من المشروعات العمرانية والإنمائية كتعميم الزراعة عن طريق المزارع المحمية .

وإلى جانب ذلك ينبغي أن تكون الجامعة وسيلة هامة من وسائل الانفتاح الثقافي والعلمي والتكنولوجي والاقتصادي ، وأن تعد الطالب القادر على ممارسة هذا الانفتاح للأخذ والعطاء من مصادر العلم الغربي والشرقي بما لا يتعارض مع مبادئنا الإسلامية الأصيلة ، التي يقع على الجامعة دور الاهتمام بها والدفاع عنها وتأصيلها في نفوس الشباب .

ولذلك فالأمة العربية في حاجة إلى تبني مبادىء هامة من بينها ما يلي :

١ ـ العلم والبحث العلمي .

٢ ـ العمل والنظام والانضباط والجدية .

٣ ـ الوحدة والاتحاد والتماسك الاجتماعي والقومي .

٤ ـ الإيمان الوطني والقومي والديني والخلقي والروحي وتنمية ضمائر الناس .

٥ ـ الديموقراطية والعدالة الاجتماعية والمساواة والشورى .

٦ ـ التطوير والتطور والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية .

٧ ـ الأخذ بالتكنولوجيا الحديثة .

٨ ـ الحرية والعدل وتكافؤ الفرص والمساواة والإخاء والتعاون . . .

٩ ـ العلم لجميع الأمم وليس قاصراً على قلة من الأفراد في أمة بعينها .

إن العلم أساس القوة والسلطة ، والسلطان الذي تمارسه الدول الكبرى الآن على غيرها من الدول الصغرى ، ولذلك لا بد من ارتباط العلم بالخلق والضمير ، ولا بد للأمة العربية والإسلامية من كسر «احتكار العلم» لأنه من أسباب القوة والمنعة والعزة والكرامة والحرية والإخاء ، وليس أدل على ذلك من اعتبار كثير من الدول الغربية كشوفها العلمية أسراراً لا تقل عن أسرارها الحربية ، فالعلم قوة في السلم وفي الحرب ، في الرخاء وفي التدمير .

إن سياسة الانفتاح التي تأخذ بها مجتمعاتنا في الوقت الحاضر لن تؤتي ثمارها إلا بالاعتماد الكبير على العلم والعلماء وعلى الإيمان الراسخ بالله وبالقيم الإسلامية .

ينبغي أن ننمي في الأجيال الصاعدة وفي أبناء هذه الأمة العريقة الروح العلمي والاتجاه العلمي والموضوعية ، والدقة والبحث والتنقيب والاطلاع والتجريب ، والنظرة العلمية والإيمان بالعلم ، وأساليب التفكير العلمي في الحياة العامة ، وأن يوجه العلم في أمتنا العربية وجهة إنسانية ، وإذن ينبغي أن يكون هدف الجامعة الحالية مزدوجاً ، بمعنى أن تهتم بالتخصص الدقيق والبحث المتعمق وفي نفس الوقت تهتم بنشر الثقافة العامة ، وأن تركز على

العلوم الإنسانية والقيم الروحية النابعة من أصولنا الإسلامية .

ويقتضي النهوض بحركة البحث العربي توثيق عرى الروابط بين الجامعة ومراكز البحث العلمي في المجتمع وتبادل الخبرات وتداولها لعدم الازدواجية أو التكرارية في الجهد والمال .

ولا ينبغي أن ينحصر نشاط الجامعة داخل جدرانها ، وأن تظل إمكاناتها المادية والبشرية حبيسة هذه الجدران ، بل ينبغي أن يمتد نشاطها ليشمل البيئة التي توجد في وسطها ، وأن يمتد نفعها إلى خارجها ، وأن تسهم في حل مشكلات المجتمع ، وأن تفتح أبوابها ومعاملها ومكتباتها وورشها للراغبين من أبناء المجتمع وتحقق مراكز الخدمة العامة بالجامعات العربية بعضاً من هذه الأهداف ، مع ضرورة توثيق الصلة بالمنظمات العالمية والاستفادة من إمكاناتها والتعاون معها .

دور العلم في محاربة التخلف :

من الأهداف الكبرى للأمة العربية في العصر الذي نعيشه مقاومة الصهيونية بالأساليب العلمية ، والقضاء على التخلف الذي يفصل بيننا وبين الشعوب الأوروبية . إن التخلف يكتب على أصحابه دائماً التبعية والسيطرة الخارجية سواء أكانت سيطرة علمية أو ثقافية أو اجتماعية أو سياسية أو عسكرية أو اقتصادية فالتخلف لا يقل خطراً عن الصهيونية .

وهنا يلزم ضرورة تنمية الشعور بالغيرة والمسؤولية الوطنية وتقدير المصلحة العامة ، مع ضرورة الإيمان بقيمة العمل والإنتاج ، والعمل الإيجابي البناء لتقوية صرح الوطن ، والإيمان بالصبر والجلد والكفاح المتواصل ، لأن معركة البناء والتشييد ملحمة طويلة متلاحقة الأطراف ، ويشمل هذا كله ما نسميه «بتنمية الضمير الوطني» والتفكير السليم[1] .

---

(١) ـ لمعرفة المزيد عن كيفية تكوين الضمير راجع كتاب المؤلف علم النفس الاجتماعي ، دار =

إن مسؤولية الطالب طلب العلم، ويصبح مواطناً صالحاً إن استطاع أن يتقن تحصيل العلم واكتسابه، وأن يجيد فن التعليم. إن قدرة الأمم لا تتكون عفواً، وإنما تتكون نتيجة الجهد الشاق والعمل الجاد والمثابرة في القضاء على التخلف ودخول حياة العصر. وإعداد الطالب وتهيئته وصقله وتدريبه مسؤولية وطنية كبرى. إن الشباب هم عدة المجتمع وأداته في المستقبل، بل هم سلاحه الذي ينتصر به في معارك البقاء.

إن عظمة الدول الكبرى ترجع في المحل الأول، إلى قوتها البشرية أو بالأحرى إلى ثروتها البشرية المنتجة الخلاقة المبدعة، وليس ما يوجد لديها من ثروات معدنية أو طبيعية، لأنها هي القوة التي تخرج الطاقات الطبيعية إلى حيز الوجود. هذه الثروة البشرية تتمثل في المهارات «الفنية» والعلمية على مختلف المستويات، وبخاصة المستويات العليا، حيث التحسين والتجديد والاختراع والتجويد. إنها الكفاءات العقلية المتفتحة المولعة في اكتشاف الحقائق الطبيعية والإنسانية. المخترقة آفاق المعرفة أفقاً بعد أفق، المضيفة إلى ذخيرتها حصيلة تلو حصيلة. إنها الطاقات المحققة المروضة على بحث المشكلات الإنسانية بحثاً موضوعياً، وعلى استخراج أسبابها الحقيقية، ومعالجتها معالجة ناجحة، إنها الهيئات النفسية المتطلعة إلى المستقبل، المنطلقة للرؤيا، القادرة على تحقيقها بالتخطيط والتنظيم. إنها، باختصار، قدرة العلم الجبارة التي قلبت حياة المجتمعات المتطورة رأساً على عقب، وهيأت لأصحابها إمكانات النشاط والحرية والغنى والثراء وأسباب الفعل النافذ في الطبيعة وفي المجتمعات الإنسانية الأخرى[1].

= النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥م.

(١) ـ د. قسطنطين زريق، الطالب ومسؤولياته والوطنية، في الطالب الجامعي في لبنان ومشكلاته، رابطة الأساتذة الجامعيين في لبنان، ١٩٦٩.

الثروة العلمية البشرية : ـ

من مهام الجامعة تكوين العلماء، وتوليد الثروة العلمية للمجتمع وتنميتها واستغلالها ورعايتها وإدخارها والاحتفاظ بها بل وجذب العقول العلمية إليها حيثما تجدهم.

وعلى الطالب مسؤولية كبرى هي إعداد نفسه والاستفادة من الفرص والإمكانات التي توفرها له الدولة في مرحلة التهيؤ والاستعداد العلمي والمهني، وعليه أن يستفيد من هذه الإمكانات إلى أقصى حد مستطاع، وعليه ألا يبدد جهده ووقته. إن الوقت يتساوى عند كافة الشعوب، ولكن تختلف هذه الشعوب في مقدار استغلالها لوقتها واستفادتها من جهدها، وتقدير قيمة الوقت. ويلاحظ على شباب الجامعة أنهم يهدرون كثيراً من الوقت والجهد والطاقة، بالتفريط، وهذه ظاهرة لا تقبل في وقت تحتاج الأمة فيه إلى كل نبضة من النبضات، ولكل ثانية من وقتها لتسهم في حركة البناء، ومعركة النهوض.

العصر الذي نعيش فيه عصر متطور، بل سريع التطور، ولذلك يتطلب كثيراً من التخصص الدقيق والمران، بل إعادة التدريب لكي يلاحق المواطن عجلة المخترعات العلمية والتكنولوجية المتزايدة الإنتاج.

على الفرد أن يؤهل نفسه بحيث يصبح منتجاً أكثر من كونه مستهلكاً. وعلى ذلك فإن رفع مستوى التعليم الجامعي رسالة وطنية وواجب قومي إذا أريد لهذه الأمة أن تلحق بركب التقدم بخطوات واسعة، على أن مسؤولية رفع المستوى الجامعي تقع على كاهل الطلاب والأساتذة، ذلك لأن معارضة الطلاب لتقبل تجديدات الأستاذ ومحاولاته تنتهي به إلى العدول عن طموحه والاقتناع بما يرضى عنه جمهور الطلاب.

ولكن قد يقال إن المجتمعات المحدودة الدخل لا تستطيع أن تتحمل

عبء مسؤولية رفع مستوى التعليم الجامعي كماً وكيفاً في آن واحد. وقد يكون ذلك حقاً، ولكن لا بد أن نؤكد أن هناك من أساليب رفع مستوى التعليم ما لا يتكلف شيئاً يذكر بل يتطلب مجرد التفكير في طرف التدريس، وتعديل المناهج، وفاعلية نظم التقويم والامتحانات.

هناك فريق من الناس ينكر على الطلاب القيام بأي أنشطة أخرى غير نشاط التحصيل العلمي الأكاديمي، ويرى أن الشواغل الأخرى ما هي إلا هدر لطاقاتهم وتبذير لوقتهم، وأن الأمور السياسية والاجتماعية هي من اختصاص غيرهم. وفريق آخر، وخاصة الطلاب، يرون أنه من واجبهم الإسهام في الأنشطة السياسية، ودخول معارك الإصلاح والتصدي للدعوة له، وأن الطالب ينبغي أن يعايش مشكلات المجتمع، ويشترك في معاركه النضالية الحاضرة حتى وإن أدى ذلك إلى انخفاض المستوى الأكاديمي، وذلك لأن الخسارة العسكرية أو السياسية أشد خطراً من ضعف المستوى التحصيلي في نظرهم.

إنما الوضع المثالي هو الجمع بين مزايا كل من الاتجاهين المتطرفين، بحيث يشترك الطلاب في العمل العام أو الأنشطة العامة بالقدر الذي يساعدهم على التعرف على مشاكل على المجتمع وأوضاعه والتمرس على التفكير في حل مثل هذه المشكلات ثم الاهتمام أيضاً بالتعليم والتحصيل، لأن الطالب مهما يكن من أمره، هو في مرحلة الإعداد والتهيؤ لخوض معارك المستقبل. إذا العمل السياسي هو مسؤولية التنظيمات السياسية في البلدان العربية بمختلف أشكالها. ولا يمكن تصور أن تقوم الجامعة بالعمل السياسي ويقوم رجال السياسة بعمل الجامعة، إن ذلك يؤدي إلى فشل كليهما في آداء وظيفته.

وهناك كثير من الميادين التي يمكن أن يشترك فيها الطلاب دون أن يطغى هذا الإشتراك على المهمة الأساسية للطالب الجامعي، من ذلك: -

١ ـ الإشتراك في حملات محو الأمية للكبار والصغار من أبناء المجتمع.

٢ ـ الإشتراك في مشروعات الخدمة الصحية كالتطعيم أو التلقيح.

٤ ـ الإشتراك في مشروعات الإنعاش الريفي.

٥ ـ الإشتراك في جمع التبرعات للمشروعات الخيرية والإنسانية.

٦ ـ الإسهام في مشاريع التوعية الوطنية والقومية والاجتماعية.

٧ ـ الإسهام في حل مشاكل البيئات المحلية كأسبوع المرور أو الصحة أو الأمومة والطفولة أو الشيخوخة، أو الشجرة.

٨ ـ التوعية الدينية والخلقية وتنوير الرأي العام.

٩ ـ التدريب على أعمال الدفاع المدني والوطني.

١٠ ـ زيارة المرضى والأيتام والجرحى ومؤاساتهم.

بحيث لا يقضي الطالب وقته في العبث واللهو البريء. وينبغي أن تكون الجامعة منبراً للفكر الحر المسؤول والحوار والنقاش العلمي الرصين، وأن تعمل على ترويض الطلبة في هذه المهمة.

وهنا نتساءل ما هو الأساس لما نراه حولنا من اكتشافات باهرة واختراعات مذهلة؟ إن أساس كل هذا هو «العقلية العلمية» والفكر الموضوعي الدقيق[1].

إن حركة التطوير الإسلامية والعربية تحتاج إلى الانتقال الحاسم والسريع من التفكير الغيبي إلى الموضوعية العلمية والابتكارية الخلاقة.

---

(١) ـ د. عبد الرحمن العيسوي، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤م.

وعلى المجتمع أن يحافظ على الجامعة كمعقل للفكر الحر، وكحرم للعلم بعيداً عن التيارات السياسية حتى لا تضغط هذه التيارات عليها وتسلبها في النهاية استقلالها وذاتيتها.

على أنه من المفروض ألا يكون رائد الشباب في العمل العام المصلحة الشخصية، وتحقيق المآرب الذاتية، بل ينبغي أن يكون رائدهم المصلحة الوطنية العليا وتغلبها على الأغراض الذاتية[1].

لم يحدث أن حاولت الجامعة، وهي التي تحتضن أعداداً غفيرة من الطلاب، أن درست أسباب موجات الرفض والعنف وثورات الغضب عند طلابها ولم يحدث أن درست انتشار تعاطي الخمور والمخدرات بينهم.

لقد أصبح العالم، بحكم أدواته التكنولوجية الحديثة، بحيرة واحدة تتلاطم فيها الأمواج الإيديولوجية، فلم يعد غريباً أو بعيداً على طلابنا العرب ما يجري من تيارات ثورية أو فكرية في بقية أجزاء المعمورة[2]. وينبغي أن تكون العلاقة بين الجامعة والمجتمع علاقة تفاعل وأخذ وعطاء أو تأثير متبادل. كما ينبغي أن تكون الجامعة مركزاً للتفاعل الفكري ولهضم المذاهب المختلفة، وخاصة في عهود الانفتاح، حيث لا ينبغي أن يكون انفتاح مجتمعاتنا الإسلامية والعربية اقتصادياً وحسب بل لا بد أن يكون انفتاحاً علمياً وفكرياً، لأن الانفتاح إذا اقتصر على الجانب الاقتصادي أصبح انفتاحاً متبوراً، بل أن العلم نفسه هو أداة من أدوات نجاح الانفتاح الاقتصادي.

ومن شأن هذا الانفتاح ظهور أفكار جديدة، ومذاهب جديدة ومشاكل جديدة على الجامعة أن تقابلها. إن العزلة والانغلاق من علامات الموت

(١) ـ د. قسطنطين زريق، المرجع السابق.

(٢) ـ د. حسن صعب، تحديث العقل العربي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩.

والذبول. بل إن هذا الانفتاح لا ينبغي أن يكون مطلاً على جانب واحد من جوانب الحضارة أو الثقافة العصرية، وإنما لا بد أن يكون انفتاحاً متعدد المذاهب، فنمد أيدينا إلى كافة مصادر العلم ومنابع المعرفة ننهل منها ما يلائمنا وما يتفق مع أصول ديننا الإسلامي الحنيف.

دور الجامعة في معركة النهوض والتقدم: -

من أهداف الجامعة العصرية تنمية ثقة الشباب في نفسه وفي وطنه وفي أمته وفي قادته. والواقع أن هناك شعوباً خاضت معارك التقدم والرقي وانتصرت انتصارات كبيرة، ويمكن اتخاذها مثالاً أمام الطلاب، فاليابان نهضت نهضة كبيرة في أقل من نصف قرن، وذلك بفضل تعليم أبنائها.

ويقول أحد زعماء الثورات العالمية المعاصر ليس هناك مناطق غير منتجة بل عقلية غيرمنتجة، وليس هناك أراض سيئة بل هناك أنظمة سيئة لاستغلال الأراضي. ويكفي أن[1] يبذل الناس كل ما في وسعهم من طاقات ذاتية للعمل ليتوصلوا لتغيير الأحوال الطبيعية.

إن عملية التطبع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية Socialization مفروض أن تصاحب الفرد من المهد إلى اللحد، وبموجبها يمتص الفرد قيم المجتمع ومعاييره، ويصبح كائناً اجتماعياً بالمعنى العملي. فعلى الجامعة أن تحارب السلبية واللامبالاة والنقد الهدام في طلابها، وتنمي فيهم روح الإيجابية والمبادأة. وعلى الجامعة أن تتعرف على حاجات طلابها المتغيرة، وأن تسعى لإشباع هذه الحاجات.

دور الجامعة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية: -

يتلخص دور الجامعة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في وظائف ثلاث هي: -

---

(١) - د. حسن صعب. المرجع السابق.

١ - تزويد المجتمع بالكثير من الخبرات والمهارات الفنية والإدارية لدفع عجلة التنمية الاقتصادية وتنشيط خططها.

٢ - القيام بالبحوث والدراسات التي تستهدف إيجاد حلول لمختلف المشكلات التي تقف في سبيل النمو الاقتصادي والاجتماعي.

٣ - ترسيخ النظم والقيم والمعايير والاتجاهات اللازمة لتشجيع التقدم. ولكن من الإنصاف أن نقول إن الجامعة لا تنفرد وحدها بهذه الوظائف، بل تسهم معها كثير من المؤسسات الاجتماعية الأخرى في تحقيق النمو، من ذلك إسهام أرباب التعليم الفني المتوسط والعمال المهرة. ولكن الجامعة أيضاً هي التي تعد المعلمين الذين يعدون بدورهم هذه الفئات. كذلك تسهم مراكز البحث العلمي ووحداته في النهوض بدور بحث المشكلات التي تواجه المجتمع. وإن كان ذلك يتم في كثير من الأحيان بالتعاون مع رجال الجامعة. كما لا ينبغي أن ننكر دور المؤسسات الأخرى في وظيفة التوعية الوطنية للنمو. من ذلك الأسرة والمدرسة والمسجد والصحافة والإذاعة وما إلى ذلك. وكان من شأن إسهام التعليم في الحياة الاقتصادية للمجتمعات أن ظهرت فروع من المعرفة الاقتصادية تهتم بدراسة «اقتصاديات التعليم» واقتصاديات القوى أو الموارد البشرية، بحيث أصبح ما ينفق على التعليم من المال العام لا يدخل ضمن الخدمات، وإنما ضمن مقررات الاستثمار.

ولعل أظهر دليل على القيمة الاقتصادية للقوى البشرية ما تتجه إليه بعض الدول الغنية بمواردها البشرية من تصدير هذه الموارد وتلك الخبرات إلى البلاد التي تحتاج إليها، ويعود ذلك بالنفع على كل من الفرد والمجتمع المصدر والمستورد على حد سواء.

ويرى بعض الاقتصاديين أن رأس المال البشري عملية قوامها زيادة

عدد الأشخاص الذين يتمتعون بالمهارات والمعارف والخبرات التي تحتاجها التنمية الاقتصادية والاجتماعية، علماً بأن استثمار الفرد في التعليم يستمر عائده لفترات طويلة تصل إلى نهاية العمر في بعض الأحيان. على أن هذه النظرية الاقتصادية للموارد البشرية تقتضي وجود تخطيط دقيق لحاجات المجتمع من خريجي الجامعات حتى لا يصابوا بالبطالة الحقيقية أو البطالة المقنعة عندما تعجز مؤسسات الدولة ومواردها عن امتصاصهم[1].

وينبغي أن تضطلع الجامعات بالدعوة لاستخدام العلم في الأغراض السلمية، وفي رخاء الشعوب ورفاهيتها، وبالدعوى لمحاربة الحروب وتجارها، والقضاء على الفقر والجهل والمرض والظلم والطغيان والاستغلال، والدعوة إلى العلم، والتمسك بالقيم الروحية، والوقوف ضد دعوات الإلحاد، والمادية بحجة أن العلم يتعارض مع الدين، والإيمان بأن الإيمان بالله الخالق يطلق طاقات الإنسان لمزيد من الإبداع والخلق والابتكار والاكتشاف[2].

الحياة الجامعية:

إن الجامعة ليست، كما يظن البعض، مكاناً للدرس والاطلاع وحسب، بل أن معظم الطلاب في معظم الكليات النظرية قد أصبحوا منتسبين عملياً، وإن كانوا منتظمين رسمياً فهم لا يواظبون على حضور المحاضرات والمشاركة في الحياة الجامعية، ولا يحضرون للجامعة إلا للتقديم للالتحاق ثم لتأدية الامتحان. بل إن الوظيفة التعليمية المحدودة للجامعة تخضع لكثير من الاختصار والاختزال حيث يحدد بعض الأساتذة -

---

(١) - د. حسن صعب، المرجع السابق.

(٢) - د. محمد زكي شافعي، دور الجامعات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٠م.

تحت إلحاح الطلاب ـ المنهج الدراسي في شكل الإجابة على بعض أسئلة يحفظها الطلاب عن ظهر قلب ويتركون بقية المقررات الدراسية، فلا يخرجون إلا بنتف مبتورة من المعلومات، ولا تتاح لهم فرصة التعرف على المادة العلمية في تكاملها وترابطها المنشود.

وهكذا تختزل الحياة الجامعية التي تضم قاعات الدرس والمعامل والمكتبات وقاعات الاجتماعات والمسرح والمطعم والحديقة والمجلة والملعب والجمعيات الطلابية والمقاصف وغيرها من مظاهر الحياة. إن الجامعة مجتمع متكامل متفاعل ولا يكفي الإلمام بالمادة العلمية لأنها وحدها لا تترك الآثار المنشودة في شخصية الطالب تلك الآثار التي تأتي من التفاعل والاحتكاك والممارسة للحياة الجامعية بكل مظاهرها.

بل إن للقاء الحر بين الطالب والأستاذ والذي يتم خارج قاعات الدرس فوائده وآثاره الطيبة في شخصيته وسلوكه.

والواقع أن الحياة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية تكاد تكون معدومة، فهناك طلاب لا يحضرون للجامعة وآخرون لا يعرفون حتى مجرد اسم أساتذتهم بل أن هناك كثيراً من مظاهر الاحتكاك والصدام التي تحدث عندما يجتمع أعداد كبيرة من الطلاب. ومن ناحية الأساتذة فهناك منهم من لم يحدث له أن شارك في حفلات طلابهم أو مناشطهم، بل أن البعض لم يحدث له أن دخل مقر اتحاد الطلاب ولو مرة واحدة. والأدهى من هذا هو انقطاع صلة الطالب بجامعته بعد التخرج مباشرة إن لم نقل إن هذه العلاقة تصبح علاقة عداء بينه وبين الجامعة التي خرجته[1]. والأمر على خلاف ذلك في الجامعات الأوروبية حيث يظل الخريج مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بجامعته،

---

(١) ـ د. شمس الدين الوكيل، دور الشباب في الحياة السياسية: جامعة بيروت العربية ١٩٧٠م.

حيث ينضم إلى عضوية جمعية خريجيها The convocation society ويظل على اتصال بها. هناك بعض الجامعات الإنجليزية التي تدعو خريجيها لكثير من المناسبات، وهؤلاء بدورهم يقدمون لها المعونات السخية والتعضيد المادي والمعنوي.

تنمية شخصية الطالب ككل : -

إن هدف الجامعة، بلا منازع، هو إنماء الفرد الذي ينمي بدوره المجتمع، ولقد حدد البعض أهداف الجامعة بالقول بأن رسالتها هي من جهة تثقيف الإنسان وتنمية معارفه، ومن جهة ثانية التنشئة العلمية والتقنية بمظهرها الشامل من أجل توفير الاختصاصيين الذين تحتاج إليهم مرافق البلاد في سبيل إنمائها.

ولا يفيد أن تقتصر المعارف على النظري منها، بل لا بد من تعليم الطالب تعليماً مهنياً عملياً حسب ميوله ومواهبه مع ضرورة تعريف الطالب بطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، وأن يلم بمشكلاته وآماله وآلامه، وأن ندربه على تحمل المسؤولية والقيادة والإيجابية والتعاون والأخذ والعطاء.

وعلى الجامعة أن تعمل على تنمية المعارف العلمية وتجددها باستمرار ولا تتركها تتجمد أو تتصلب.

على أن المجتمع مطالب، إزاء كل هذه الأعباء التي تلقى على عاتق الجامعة من حيث تعليم أبنائه وحل مشكلاته وتنمية ثقافاته ومعارفه، مطالب بأن يمد يده سخية للجامعات لكي تتمكن من أداء رسالتها المنشودة.

وحتى الآن لم تتبين الجامعات العربية الوسائل الكفيلة باكتشاف

---

(١) - د. قسطنطين زريق، المرجع السابق.

المواهب Talents بين طلابها بطريقة علمية موضوعية، بعبارة أخرى كيف يمكن اكتشاف قادة المستقبل، وهم بعد في سن مبكرة؟ كيف يمكن التعرف على العالم الصغير أو الفنان أو الأديب أو الفيلسوف أو القائد الاجتماعي أو المهندس أو الطبيب الحاذق، بل أن سمات كالقدرات والاستعدادات والذكاء Intelligence,abilities and aptitudes وسمات الشخصية والسمات الخلقية، لم نستطع بعد قياسها والتعرف عليها بطريقة موضوعية، وعلى ذلك فإن هناك كثيراً من المواهب التي تفقدها الجامعات العربية دون أن تتمكن من التعرف على أصحابها. لماذا يفشل بعض الناس في دراساتهم الجامعية ثم يصبحون فيما بعد قادة أو زعماء في مجالات أخرى؟[1]

إن أصحاب الأعمال الحديثة أصبحوا يتطلعون إلى معرفة أمور غير المعرفة الفنية في المتقدمين لشغل الوظائف عندهم. يريدون أن يعرفوا مهاراتهم في العلاقات الإنسانية Skills in human relationships وإحساس المتقدم بالمسؤولية، وقدرته على الإحساس بمشاعر الغير، ومعرفته كيف يفكر ويسلك الآخرون، وميله نحو التعاون، وفهم واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب. إن مستقبل أي أمة يتوقف على تشجيع أحسن العناصر البشرية الموجودة فيها[2].

ولقد وجد أن القدرة على الابتكار Creativity تنتشر بين عدد كبير من الناس في مختلف ميادين الحياة.

أهداف الجامعات العربية :

على الرغم من تشابه أوضاع الجامعات العربية في كثير من الجوانب

---

(١)- د. قسطنطين رزيق، المرجع السابق.

(٢)- راجع كتاب المؤلف «القياس والتجريب في علم النفس والتربية» دار النهضة العربية بيروت

إلا أن لكل منها طابعها ورسالتها الوطنية إلى جانب رسالتها القومية الواسعة، ولقد تحددت أهداف بعض الجامعات العربية بما يلي:

تختص الجامعات بالتعليم الجامعي، والبحث العلمي في سبيل خدمة المجتمع والارتقاء به حضارياً، متوخية في ذلك المساهمة في رقي الفكر وتقدم العلم، وتنمية القيم الإنسانية وتزويد البلاد بالمختصين والفنيين والخبراء في مختلف المجالات، وإعداد الإنسان المزود بأصول المعرفة وطرائق البحث المتقدمة.

والقيم الرفيعة ليساهم في بناء وتدعيم المجتمع الإسلامي، وصنع مستقبل الوطن وخدمة الإنسانية، وتعتبر الجامعات معقلاً للفكر الإنساني في أرفع مستوياته ومصدراً لاستثمار وتنمية أهم ثروات المجتمع وأغلاها وهي الثروة البشرية، وتهتم الجامعات كذلك ببعث الحضارة العربية والتراث التاريخي للشعب العربي وتقاليده الأصيلة ومراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والخلقية والوطنية، وتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات الأخرى والهيئات العلمية العربية والأجنبية[1] . . .

ومن أمثلة نشر الثقافة العامة نسوق مثال جامعة بيروت العربية بلبنان الشقيق التي أتاحت الفرص لدخول فئات كانت محرومة من نور العلم الجامعي من ذلك ما دلت عليه إحدى الدراسات من أنها قبلت في إحدى السنوات ما يزيد عن ٢٠٪ من مجموع المقبولين ممن يزيد سنهم عن ٢٤ عاماً. كذلك أتاحت الفرصة لكثير من الطلاب الذين كان قد مضى على تخرجهم من التعليم الثانوي فترات طويلة نسبياً ولم يكن هناك من أمل في مواصلة الدراسة أمامهم لولا هذه الجامعة، فقد قبلت أكثر من ٢٤٪ ممن

(١) ـ قانون تنظيم الجامعات المصرية رقم ٤٩ سنة ١٩٧٢م.

مضى على حصولهم على الشهادة الثانوية ثلاثة سنوات وأكثر. وتضم طلاباً من أكثر من إحدى عشر قطراً وبلغ عدد طلابها من ١٩٦٠م حتى ١٩٧٤م نحو ٥٧ ألفاً[١].

(١) - Haury, T. Distance Education at university level, The experience of Beirute Arab university.

الفصل الثامن

الأسس العلمية لتوجيه الفرد مهنيًا

يقصد بالتوجيه المهني مساعدة الفرد على اختيار المهنة التي تتناسب وقدراته واستعداداته وميوله ودوافعه وخططه بالنسبة للمستقبل، أي آماله وتطلعاته.

ويجب الاهتمام بمستقبل الفرد في المهنة التي يدخلها، وينبغي التنبؤ بنجاح الفرد أو فشله في مهنة معينة قبل الدخول فيها، لأن دخول الفرد في مهنة لا تناسبه تسبب له الخسارة الفادحة. وعلم النفس يحاول أن يساعد الفرد على اختيار مهنة بواسطة تطبيق اختبارات تنبؤية ثابتة وصادقة، وفوق ذلك يسعى لتحسين تكيفه طبقاً لإمكاناته الذاتية، وتبعاً للفرص البيئية المتاحة، ومن المعروف أن تكيف الفرد في مهنته يساعده على أن يصبح أكثر تكيفاً في جميع مظاهر حياته الاجتماعية والأسرية والاقتصادية والنفسية.

ولقد تحول أحد علماء النفس نحو الاهتمام بالتوجيه التربوي، وذلك لأنه التقى، صدفة، بصبي، ولما سأله عن عمله عرف منه أنه يعمل في أثناء

النهار في محل للطيور ويدرس الرسم المعماري أثناء الليل ويطمح في أن يصبح في المستقبل قبطاناً لسفينة. والواقع أننا نلتقي بكثير من أمثال هذا الصبي الذين يشعرون بالاضطراب إزاء أهدافهم المهنية، وهناك من يقبلون وظيفتهم لأنهم لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً آخر، بينما لا توجد إلا قلة هي التي تشعر حقيقة بالتحمس لعملها.

والواقع أن اختيار الفرد لمهنة معينة لا ينبغي أن يلزمه بالاشتغال بها مدى الحياة، بل أن الواجب يقتضي أن تتاح للفرد فرصة تغيير وظيفته كلما رغب في ذلك، وخاصة إذا كان قد اتخذ قراره وهو في سن مبكرة نسبياً، كما هو الحال في التطوع في الجيش الإنجليزي الذي يتم في سن ١٧ سنة.

هناك كثير من الحالات التي يترك فيها بعض الأفراد مهنهم إلى مهن أخرى دون أن يكون في ذلك أي شذوذ أو اضطراب. فالطبيب الذي يهتم بالمشاكل الصحية في المجتمع من الممكن أن يتحول إلى الميدان السياسي، كذلك فإن المحاضر في الجامعة في مادة الكيمياء مثلاً يستطيع أن ينتقل إلى أحد مراكز البحث العلمي. وهناك من الأدلة ما يؤكد أن مثل هذا الانتقال يحدث بين الأعضاء الناجحين من أبناء المجتمع.

وهناك دراسة على الأشخاص أصحاب المؤلفات العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية توضح أن ثلث هؤلاء الأشخاص الناجحين غيروا وظائفهم بعد أن بلغوا سن الخامسة والثلاثين. ويعتقد كثير من الناس الذين يغيرون أعمالهم أن السبب في ذلك يرجع إلى عامل الصدفة، ولكن في الواقع يرجع هذا إلى عدد كبير من العوامل غير المعروفة مثل عوامل التكيف. ويحتاج تحديد عوامل الصدفة هذه إلى جهود كثيرة تقع على عاتق مستقبل العلم الحديث، بحيث يأتي اليوم الذي نستطيع فيه أن نكتب تاريخ حياة الفرد مقدماً وخاصة العظماء من الناس.

وهنا نتساءل كيف يمكن أن يختار الفرد مهنته اختياراً سليماً؟

هناك بعض المبادىء التي تساعد الفرد على اختيار مهنته كما تساعد الإخصائي النفسي على إرشاد الناس إلى المهن التي يحتمل أن يحرزوا فيها أكبر قدر من النجاح. ومن أول هذه المبادىء أنه من الخطأ الاعتقاد أن الفرد المعين لا يصلح إلا لمهنة معينة. وأنه غير قابل للتغيير. فالفرد ليس معداً أو مولوداً لكي يناسب مهنة معينة ومحددة ولا يصلح لسواها، كذلك من الخطأ الاعتقاد بأن لكل مهنة مطالب ثابتة وجامدة، بل على العكس الإنسان لديه القدرة على التكيف وعلى التوافق، ومن خصائصه المرونة، فإذا تصورنا أن الصرح الصناعي تعرض فجأة في المجتمع الحديث لنوع من الإفلاس لنجح معظم أفراد هذا المجتمع في التحول إلى مظاهر الحياة البدائية الأولية. ونحن الآن منا المدرسين والمهندسين والمحامين، ولكن إذا تعرض المجتمع لكارثة ما لرأيت منا الحداد والنجار والمزارع. فالفرد عندها يدخل مهنة معينة، عليه أن يكيف نفسه لها، ولكنه في نفس الوقت يحدث بعض التعديلات البسيطة في هذه المهنة.

فنحن لسنا مهيئين بالطبيعة لمهنة واحدة بعينها دون غيرها.

We are not fitted by nature for one occupation and one only[1]

فمن المحتمل أن نجد كثيراً من الناس الناجحين في مهنتهم الحالية ناجحين أيضاً في مهن أخرى، إذا نقلوا إليها ونستطيع أن نلمس ذلك في وظائف الوزراء عندما ينقلون من وزارة إلى أخرى ويديرون وزارتهم الجديدة بنفس الكفاءة.

وعلى ذلك فنحن نختار أكثر الوظائف جلباً للشعور بالرضا وللسعادة

---

(١) Hepner. H.W., Psychology Applied to life and Work, 1966.

وأقلها في طلب تكييف الفرد لها أي تلك الوظائف التي تناسب الفرد ولا تتطلب كثيراً من التعديلات أو إعادة تكيف الفرد حتى يستطيع القيام بها بطريقة طبيعية ودون بذل كثير من الجهد والتعب.

فالشخص صاحب الذكاء العالي الذي يعيش في بيئة مواتية صالحة يستطيع أن يقوم، بنجاح، بأكثر من عشرة وظائف، ما لم تتطلب أحداها قدرات خاصة مثل القدرة على سماع الأصوات الموسيقية أو القدرة الحادة على التمييز بين درجات الألوان وظلالها. وعلى ذلك فالتوجيه المهني يوجه الفرد إلى طائفة من المهن التي يصلح لها والتي تكون في العالب متقاربة، كالأعمال الكتابية أو الميكانيكية.

كذلك ينبغي أن تكون عملية الاختيار المهني عملية مستمرة ومتصلة، بمعنى أن تتاح للفرد حرية الاختيار والتقرير في مصيره في كل مرحلة من مراحل عمره، وعلى ذلك يجب أن يكون هناك توجيه مهني في المدرسة ثم الجامعة ثم بعد التخرج من الجامعة. ذلك لأن الفرد يتغير بل والمجتمع من حوله يتغير، والمهن والأعمال نفسها تتغير. فالمهن التي تسود وتنتشر وتصبح ذات أهمية كبيرة في حقبة من الزمن قد تصبح عديمة الأهمية في فترة أخرى. فصناعة الطرابيش في مصر اندحرت وغيرها من الصناعات اليدوية وبالمثل مهنة السقا، كذلك ظهر كثير من الصناعات الحديثة مثل صناعة السيارات والطائرات والآلات الإلكترونية. ولم يكن من الممكن التنبؤ بها من قبل. وبطبيعة الحال، تتطلب هذه الوظائف مهارات جديدة لم يكن يتقنها عامل الأمس. فالفرد لا يولد مخصصاً لمهنة معينة، وعلى ذلك فإذا فشل الفرد في مهنة معينة فليس معنى ذلك أن حياته محكوم عليها بالفشل، فمن الممكن أن يوجه إلى صناعة أخرى وأن يتكيف وإياها.

ومن المبادىء الأساسية في اختيار المهنة ألا يختار الفرد مهنة لمجرد

أنه رأى أن المهنة ناجحة ، أو أنه رأى أشخاصاً ناجحين فيها .

ومن الملاحظ على الشباب في الوقت الحاضر الاندفاع وراء الدراسات العلمية والعزوف عن الكليات النظرية ، بينما في واقع الحال ليسوا جميعاً معدين للنجاح في الكليات العملية .

فالفرد لا ينبغي أن ينقاد وراء الآخرين ، أو أن يدخل مهنة لمجرد التقليد والمحاكاة ، فنحن لا نستطيع أن نأخذ «شخصيات» الآخرين أو نمتلك ظروفهم . فالشباب لا ينبغي أن يدخل مهنة لمجرد نجاح أبيه فيها لأن لكل منهما حاجاته وميوله ، ولكل منهما عصره وظروفه . فكما أنك لا تستطيع أن تستعير «شخصية» الطبيب الناجح ، فإنك كذلك لا تستطيع أن تستعير «مهنته» .

ولا ينبغي أن تكون شهرة المهنة هي الدافع الوحيد وراء الدخول فيها ، ولكن يجب أن يرغب فيها الفرد رغبة صادقة .

الأسس غير العلمية في اختيار الفرد لمهنته : ـ

في الغالب ما تكون نصائح الأقارب والأصدقاء في تحديد مهنة الفرد خاطئة ، وعلى غير أساس موضوعي . فالآباء الذين يضغطون على أبنائهم في اختيار مهنة معينة إنما يفعلون ذلك بحكم الرغبة في التعويض Compensation فالأب الذي كان يحلم بأن يصبح مهندساً ، والذي لم يستطع تحقيق هذا الحلم يريد تحقيقه في ابنه ، فيدفعه دفعاً إلى الميدان الهندسي ، بصرف النظر عن قدرات ابنه واستعداداته وميوله ورغباته الحقيقية . والأم التي كانت تواقة لكي تصبح طبيبة شهيرة ، تدفع بابنتها إلى الميدان الطبي . والغريب أن هؤلاء الآباء يعللون ضغوطهم هذه بأنها من أجل مصلحة أبنائهم . والآباء يعتقدون أن بعض المهن تجلب الشهرة والبريق الاجتماعي والثراء . ولذلك فالابن عندما يفشل ، ويذهب إلى

أخصائي التوجيه المهني الذي يشير بأنه كان من الأجدر أن يعمل بالتجارة أو بالأعمال الميكانيكية بدلاً من الجراحة، فإن الأب هو الذي يثور لأنه هو الذي يشعر بالإحباط في دوافعه والفشل في رغبته.

والغريب أن الصديق الذي ينصحك بدخول كلية الطب مثلاً قد لا يعرف شيئاً مطلقاً عن الطب أو الأدوية أو الجسم الإنساني أو الأمراض أو المعامل والمختبرات. وإذا كان الطبيب الماهر يخطىء في تشخيص حالة المريض، فما بالك بالصديق غير المدرب الذي ينصح صديقه بالتوجه إلى مهنة معينة. ولذلك فليس من المستغرب أن يتلقى الفرد كثيراً من النصائح التي تختلف باختلاف أصدقائه، ومعنى ذلك أن ينصحه كل صديق بوظيفة معينة، وكلها على غير أساس علمي أو موضوعي. وحتى الأخصائي النفسي لا يحدد للفرد مهنة تحديداً قاطعاً، ولكنه يساعده على التعرف على قدراته وميوله، ومن ثم يساعده على اتخاذ قراره بنفسه. فالأخصائي النفسي يوجه الفرد بعد تحليله تحليلاً دقيقاً إلى الميدان الذي يتكيف فيه، وذلك عن طريق معرفة دوافع الفرد وميوله وأهدافه ومستوى طموحه[1]. وإلى جانب هذا فإن الأخصائي المهني يطبق كثيراً من الاختبارات الموضوعية الدقيقة والمقننة. وعلى ذلك فإذا طبق هذه الاختبارات اثنان من الأخصائيين فإنهما يحصلان على نفس النتيجة. كذلك فإن الأخصائي يعرف الميدان الذي يتجه إليه ذكاء الفرد. فمثلاً هناك الاتجاه الرياضي أو الموسيقي أو الميكانيكي أو الاجتماعي وهكذا.

وفي الغالب ما يستعين الأخصائي النفسي باختبارات الاستعدادات aptitude tests أو الميول والقدرات والذكاء.

---

(١) -راجع في هذا كتاب الدكتور عبد الرحمن العيسوي، علم النفس والإنسان، دار المعارف، بمصر.

الأسس الموضوعية لاختيار المهنة :

ما هي الأسس التي ينبغي أن يتم على ضوئها اختيار الفرد لمهنته ، وما هي الوسائل التي تساعده على الحصول على الوظيفة المناسبة؟

١ - يجب الابتعاد عن وسائل الدجل أو السحر أو التنجيم Astrology في اختيار مهنة الفرد ، أو الاعتماد على الفراسة وقراءة الكف أو معرفة مستقبل الفرد بالنظر إلى جمجمته .

٢ - بالنسبة لطلاب العلم والتخصصات العالية : -

يجب أن يختار الفرد مشكلة علمية معينة ويحددها لنفسه ويكرس حياته لحلها أو للتخصص فيها منذ سن مبكرة ، وكثير من العلماء فعلوا ذلك واهتموا بناحية معينة وكرسوا حياتهم لجمع معلومات عنها حتى تخصصوا فيها وبعد التخرج أصبحوا خبراء في هذه الناحية وهذه وظيفة الأندية العلمية والأدبية .

٣ - يجب أن يحلل الفرد نفسه ، بمعنى أن تحدد له قدراته واستعداداته وميوله وسمات شخصيته قبل أن يتخذ قراره بشأن مهنته .

٤ - يجب أن تقاس قدرات الفرد قياساً موضوعياً دقيقاً وليس تقديراً ذاتياً .

٥ - يجب أن يدرك الفرد دوافعه الشعورية واللاشعورية ويختار مهنته على أساس المعرفة بهذه الدوافع .

ومن الطرق المستخدمة في التوجيه المهني منهج التحليل الذاتي Self-analysis فالأخصائي يسأل الشاب أن يوضح ميوله المهنية ، فيقدم له قائمة بأسماء المهن ويطلب منه أن يوضح موقفه من كل منها من حيث حبها أو كرهها ، أو الوقوف منها موقفاً حيادياً . كذلك يسأل الفرد نفسه بعض الأسئلة مثل : -

١ - هل أنت عدواني؟

٢ - هل أنت مجتهد؟

٣ - هل لك شخصية سارة أو سعيدة؟ أو تسعد الآخرين .

٤ - هل أنت دقيق في عاداتك السلوكية؟

٥ - هل تميل إلى التعاون مع الآخرين؟

٦ - هل تنظر إلى الأمام دائماً؟

٧ - هل أنت مغتر أو معجب بذاتك؟

ولقد أجرى هولنجورث Hollingworth دراسة على مدى ثبات تقدير الناس لسماتهم الشخصية ، فطلب من مجموعة من الناس أن يقوم كل منهم الآخر في تسع سمات شخصية ، وأن يقوم كل منهم نفسه . وأوضحت هذه الدراسة أن الأفراد لا يستطيعون أن يقدروا شخصياتهم بدقة . ومن الطبيعي أن يميل الفرد إلى إظهار نفسه بمظهر براق ، وأن يقدر نفسه أعلى مما هو عليه في السمات المرغوبة اجتماعياً والعكس صحيح بالنسبة للصفات غير المرغوب فيها . فالفرد متحيز في تقدير نفسه ، فهو لا يريد الاعتراف بنواحي النقص أو الضعف في شخصيته ، ولا يقبل أن يصف نفسه بالصفات غير المرغوب فيها مثل الأنانية أو البخل . ولكن هذا التعصب الذاتي لا يوجد إذا تربى الفرد على القيم الإسلامية التي تغرس فيه روح التواضع .

والجدول الآتي يلخص دراسة هولنجورث ويوضح مدى تحيز الفرد لذاته . ويمكنك ملاحظة ذلك بمقارنة التقدير الذاتي بتقدير الآخرين : -

السمة	التقدير الذاتي	تقديرات الغير
التهذب	٨٠	٢٠
روح الفكاهة	٧٨	٢٢
الذكاء	٦٨	٣٢
الروح الاجتماعية	٦٨	٣٢
الدقة والاتقان	٥٠	٥٠
الجمال	٥٠	٥٠
الكبرياء	٤٨	٥٢
التباهي	٣٦	٦٤
الفظاظة أو الخشونة	٣٤	٦٦[١]

وبطبيعة الحال، مقارنة هذه النتائج تقوم على أساس افتراض أن تقدير الأصدقاء يعد ثابتاً وصادقاً، وهذا بالطبع محل تساؤل، ولكن يمكن مقارنة التقديرات الذاتية بنتائج الاختبارات الموضوعية المقننة. وهذا هو ما فعله اليورت Allport فقد سأل مجموعة من الناس أن يقدروا ذكاءهم عن طريق استخدام مقاييس التقدير Rating scales . وكذلك أعطاهم أحد اختبارات الذكاء، ثم قارن النتائج، ووجد أن الأذكياء كانوا يميلون إلى إعطاء أنفسهم درجات أقل بينما الأغبياء كانوا يعطون أنفسهم درجات أعلى.

ولكن مع ذلك يمكن للفرد أن يستخدم التقدير الذاتي للسمات التي لا يؤذيه الاعتراف بها، وأن يستفيد من هذا التقدير في اختبار مهنته. فهناك أناس لا يميلون إلى لمس أجساد غيرهم، وعلى ذلك فلا يدخلون المهن التي تتطلب ذلك، مثل مهنة الحلاقة أو التمريض أو التدليك أو علاج العظام أو علاج التشوهات الجسمية. وهناك إناس يرغبون في ذلك فلا ضير من

(١) Hepner H W مرجعه السابق.

دخولهم مثل هذه المهن ، وهكذا فإن هناك صفات تفيد معرفتها الفرد في اختياره مهنته .

فالتقدير الذاتي يمكن أن يفيد الفرد في تحديد اتجاهاته وميوله وصفاته المطلوبة لمهنة معينة .

على حال ، عندما يحلل الفرد نفسه عن طريق الاستجابة لعدد من الأسئلة المقننة ، فإن هذه الطريقة تسمى طريقة اختبارات الميول Interest tests .

ومن أشهر اختبارات الميول اختبار الميول لإدوارد استرونج E.K. Strong ، ويتكون من صورتين ، صورة للرجال وأخرى للنساء ، ويتألف من نحو ٤٠٠ سؤالاً تغطي معظم المهن والمواد الدراسية ونواحي التسلية والأنشطة ، وخصائص الناس ، وتقديرات ذاتية للقدرات والصفات الشخصية الأخرى . ويتطلب أداؤه ٤٠ دقيقة ، وله معايير لنحو ٤٧ مهنة صالحة للرجال ، ٢٥ للنساء ، ومعظم المهن التي يتضمنها هذا المقياس عالية أو تخصصية مما يجعل الاختبار صالحاً للاستخدام مع الأشخاص المتعلمين فقط، ويصلح للأفراد الذين هم في مرحلة التعليم الجامعي . واختبار الميول يختلف عن اختبارات القدرات واختبارات الاستعدادات ، وعلى ذلك فاستخدامه لا يغني عن هذه الاختبارات .

وعلى كل حال تقارن درجة الفرد بدرجات طوائف مهنية مختلفة ، مثل درجات أرباب المهن الكتابية أو الميكانيكية ، فإذا تشابهت درجته مع درجة المشتغلين بالأعمال الحسابية مثلاً كان هناك فرصة لنجاحه في الأعمال الحسابية .

ولقد قام استرونج بدراسة تتبعية A follow-up study حيث طبق اختباراته على مجموعة من طلاب جامعة سانفورد ، ثم قاس ميولهم بعد ذلك

بحوالي ٢٢ سنة، ووجد أن هناك تشابهاً في الميول المهنية. كذلك قام استرونج بدراسة تتبعية في سنة ١٩٣٠م على الأشخاص الذين لهم ميول هندسية، ووجدهم يعملون بعد ١٨ سنة بالأعمال الهندسية أو بالأعمال القريبة من الهندسة.

ومهما يكن من فوائد تطبيق اختبارات الميول، فإننا يجب أن نعترف بحدودها، فمن المعروف أن الفرد يستطيع أن يحور من استجاباته، فإذا كان الفرد متقدماً لشغل وظيفة أخصائي اجتماعي مثلاً استطاع أن يعطي نمطاً من الاستجابات يشبه نمط استجابات الأخصائيين الاجتماعيين، وإذا كان متقدماً لشغل وظيفة مدير بنك مثلاً استطاع أن يعطي نمطاً آخر يشبه استجابات مديري البنوك.

- طريقة دراسة الحالة: -

تستخدم طريقة دراسة الحالة في توجيه الأفراد للأعمال التي تناسبهم، وعلى الأخص عندما يعجز الفرد عن تحديد الوظيفة التي تناسبه. وتتطلب دراسة الحالة تحليل الفرد وبحث سجله المرضي، ومعرفة حالته الصحية، وكذلك فحص سجله الدراسي، ومعرفة مستواه المادي، ومعرفة قدراته القيادية أو علاقته بالقيادة، كذلك معرفة هواياته وأنشطته الترويحية، ومعرفة ميوله المهنية، عن طريق أحد الاختبارات السيكولوجية، كما يمكن الحصول على تقديرات زملائه وأصدقائه لسمات شخصيته، ومعرفة نواحي الشذوذ أو الانحراف عنده أو عاداته الشخصية كما يلزم معرفة رغبات الوالدين فيما يختص بوظيفته.

ومعنى ذلك أن طريقة دراسة الحالة معناها دراسة الفرد دراسة شاملة ودراسة جميع الظروف المحيطة به.

بعد الحصول على هذه المعلومات، يمكن عرض هذه الحقائق على

المفحوص، ثم اختيار عدد من المهن وتقديمها للمفحوص كي يبحثها و يختار المهنة التي تناسبه من بينها وبعد اختيار إحدى المهن يجب وضع خطة لبرامج التدريب اللازمة، ويجب أن يساعد الأخصائي المفحوص في الحصول على المهنة التي اختارها ومساعدته في التقدم للشركات والمؤسسات المعينة. والخطوة الأخيرة هي أن يتابع الباحث هذه الحالة لكي يتمكن من تعديل أو تنقيح عملية التوجيه في ضوء هذه المتابعة.

ونستطيع أن نلمس أن عملية التوجيه المهني يقصد بها مساعدة الفرد على اختيار إحدى المهن التي تناسبه، والإعداد لها أو التأهيل لها، وكذلك ضمان التقدم والرقي في هذه المهنة.

ولعل مشكلة اختيار المهنة هي أكبر مشكلة تواجه الشباب في سن المدرسة الثانوية والجامعة، ولا شك أن شعور الفرد بالرضا والسعادة يتوقف إلى حد كبير على نجاحه في اختيار مهنته.

- أهداف التوجيه المهني -

وهناك كثير من الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها التوجيه المهني منها:

١ - تعريف الفرد بالقدرات والمهارات والمؤهلات التي تتطلبها المهنة وشروط السن والجنس وغيرها من الشروط.

٢ - تعريف الفرد بظروف مجموعة من المهن وواجباتها ومزاياها، وهي المجموعة التي يحتمل أن يختار مهنته من بينها

٣ - مساعدة الفرد في الكشف عن قدراته واستعداداته وميوله والعمل على تنميتها وتطويرها

٤ - مساعدة الفرد على اتخاذ قرار بشأن اختيار المهنة، على أساس من تحقيق الرضا الشخصي عن المهنة، ومقدار الخدمات التي يمكنه أن يؤديها

إلى مجتمعه، وعلى أساس إشباع حاجاته وتنمية قدراته عن طريق العمل بهذه المهنة.

٥ ـ إحاطة الفرد علماً بالمعاهد والمؤسسات المختلفة التي تقوم بتقديم التعليم والتدريب الفني لراغبي الالتحاق بالوظائف المختلفة، وكذلك شروط الالتحاق بهذه المعاهد ومدة الدراسة بها. . إلخ.

وبطبيعة الحال يحقق التوجيه المهني كثيراً من المنافع الاقتصادية والاجتماعية والنفسية. فمن الناحية الاقتصادية لا شك أن وضع الفرد في الوظيفة المناسبة يؤدي إلى زيادة كفايته الإنتاجية واحتمال ترقيته وزيادة أجره وارتفاع مستواه. وكذلك عدم اضطراره إلى تغيير عمله بعد أن يكون قد قضى وقتاً طويلاً به وبعد أن تكون الشركة قد أنفقت الكثير على تدريبه وتعليمه.

وكذلك يؤدي سوء التوجيه المهني إلى حدوث أضرار بحالة الفرد الصحية كالإصابة ببعض الأمراض أو التشوهات، فإذا التحق عامل ضعيف الإبصار بعمل يتطلب حدة الأبصار، فإن ذلك سوف يؤدي إلى إلحاق الضرر به.

ومن الناحية النفسية، فإن فشل الفرد في مهنته يؤدي إلى شعوره بالنقص وبالفشل والإحباط وعدم شعوره بالأمن والاستقرار، وشعوره بالقلق والاضطراب والتوتر مما يؤدي إلى انخفاض روحه المعنوية. ويجعله هذا يضيق بالناس وبالمجتمع فتسوء علاقاته الاجتماعية.

وإذا نظرنا من زاوية المؤسسات والشركات صاحبة العمل، فإننا نلمس أن للتوجيه المهني فوئد جليلة، لأنها تتكبد خسائر كبيرة نتيجة لترك العمال لأعمالهم، والمعروف أن تعيين عامل جديد بدلاً من العامل القديم يقتضي أن تدرب الشركة العامل الجديد حتى يصل إلى مستوى كفاءة العامل القديم والجديد، وتكاليف التعيين والامتحانات والإعلان عن الوظائف

ودفع المكافآت للعمال الذين يتركون العمل، وكذلك تتكبد خسارة نتيجة لزيادة نسبة العادم من المواد الخام وتعويضات إصابات العمل[1].

ومن المزايا الاجتماعية للتوجيه المهني، إلى جانب حسن تكيف الفرد اجتماعياً، أنه يساعد على انخفاض نسبة البطالة كذلك يؤدي سوء التوجيه إلى زيادة تكلفة إنتاج السلعة، وبالتالي زيادة الأسعار وارتفاع مستوى المعيشة[2].

ولا شك أن عملية اختيار المهنة عملية صعبة ومعقدة، تتدخل فيها عوامل كثيرة، مثل ظروف الأسرة، والعادات والتقاليد، والدوافع النفسية، والاقتصادية والاجتماعية المختلفة. وكثير ما يجهل الفرد الدافع الحقيقي الذي حدابه لاختيار مهنة معينة. فقد يختار الفرد مهنة معينة لمجرد أنه رأى أن هناك شخصاً ناجحاً في هذه المهنة، وقد يختار الفرد مهنة معينة لمجرد أنه رأى أن هناك شخصاً ناجحاً في هذه المهنة، وقد يختار الفرد مهنة عن طريق «الوراثة» أي اشتغاله بنفس مهنة أبيه.

وعلى كل حال هناك، صعوبات تواجه عملية التوجيه المهني من بينها أن حرية الاختيار المطلقة قد يساء فهمها واستعمالها. فالحرية يجب أن تكون دائماً مقيدة بالصالح العام ومراعاة القانون والنظام.

كذلك من الصعوبات التي تقف في سبيل التوجيه المهني احتياجه إلى نمو قدرات الفرد وخبراته ومهاراته، وعملية النمو تستغرق وقتاً طويلاً، فلا يمكن خلق الصانع الماهر في يوم وليلة. كذلك فإن قدرات الفرد لا تنمو إلا بعد وصوله إلى النضج، فالنضج المهني مثل النضج الجسمي يحتاج إلى

---

(٤) ـ د. أحمد عزت راجح، علم النفس الصناعي، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية.
(٥) ـ د. محمد عثمان نجاتي، علم النفس الصناعي.

وقت، ومن هنا كان من الخطأ أن نعجل في توجيه الشباب قبل أن يتم نضجهم المهني[1].

خطوات التوجيه المهني:

أما عن الخطوات التي تمر بها عملية التوجيه المهني فتتلخص في تحليل الفرد تحليلاً كاملاً أي معرفة قدراته واستعداداته وذكائه وميوله وطموحه وسمات شخصيته، ثم القيام بعملية تحليل المهن، ومعرفة حركاتها وواجباتها، ومعرفة ما تتطلبه من قدرات واستعدادات ومؤهلات وخبرات، ومعرفة الظروف الاقتصادية لكل مهنة، ونظام الترقي بها، ومستقبلها الاقتصادي، ومدى ثبات المهنة أو الصناعة كلها التي تدخل فيها هذه المهنة، وكذلك معرفة عيوب وأخطار كل مهنة.

والخطوة التالية في عملية التوجيه المهني هي إعداد برامج التدريب وما يتضمنه من إعداد فني خاص بمهنة ما وإعداد معنوي أو نفسي يساعد الفرد على التكيف مع المهنة. وأخيراً وضع خطة للمتابعة لمعرفة نجاح الفرد في عمله.

وعلى كل حال، يجب أن يبدأ التوجيه المهني من المدرسة الثانوية، فليست مهمة المدرسة مجرد إعطاء التلاميذ قدر من المعارف العلمية، وإنما وظيفتها أيضاً مساعدتهم على التكيف الشخصي في حياتهم العملية. وتقوم المدارس الفنية التجارية والصناعية والزراعية بإعطاء التلاميذ بعض المهارات التي تساعدهم في الحصول على بعض المهن. والكليات والمعاهد أيضاً تعد أبناءها لتولي بعض الوظائف التخصصية المعينة.

---

(١) ـ د. جابر عبد الحميد، ود. يوسف الشيخ، علم النفس الصناعي، دار النهضة العربية، القاهرة.

دور التدريب المهني
Vocational training
في تنمية الفرد

طبيعة عملية التدريب -

يقصد بالتدريب المهني نوع من التعلم واكتشاف المهارات والخبرات والمعارف المختلفة المتعلقة بمهنة معينة. ولا يقتصر التدريب على العمال الجدد، ولكنه أيضاً يشمل تدريب الملاحظين والمشرفين وقادة العمال، حيث يتلقون برامج تدريبية معينة تؤهلهم للوظائف القيادية التي سوف يشغلونها. فالتدريب المهني لا يستفيد منه العمال وحسب، وإنما الرؤساء أيضاً، كذلك يتناول التدريب العمال الحاليين عندما تريد المؤسسة التي يعملون بها زيادة كفايتهم الإنتاجية أو إلمامهم بنوع جديد من الآلات أو بطريقة جديدة من طرق العمل.

وعلى كل حال، يساعد التدريب على زيادة الكفاية الإنتاجية لدى الفرد، ولذلك يعد من الوسائل الناجحة لزيادة الإنتاج على المستوى الرأسي، الذي يعني استغلال كل الإمكانات المادية والبشرية الموجودة، واستخلاص كل خيراتها والاستفادة منها. أما زيادة الإنتاج على المستوى الأفقي فتعني التوسع في مصادر الإنتاج، أي زيادة عدد المصانع وإنشاء صناعات جديدة، وفي المجال الزراعي استصلاح الأراضي البور وضمها إلى مساحة الأرض الزراعية يعد من أساليب زيادة الإنتاج الرأسية، أما زيادة الإنتاج الزراعي على المستوى الرأسي، فتعني استخدام الوسائل

الحديثة في زيادة غلة الأرض . . أي الموجود فعلاً من الأرض الزراعية .

والفرد ، لكي ينتج إنتاجاً حسناً ، يحتاج إلى تعلم كيفية القيام بالعمل بالطرق المثلى . ويقصد بالطرق المثلى لكل الطرق التي ينتج فيها العامل أكبر قدر من الإنتاج بأقل قدر من الجهد وفي أقل مدة ممكنة مع جودة إنتاجه وارتفاع مستواه ومع المحافظة على صحته النفسية والجسمية .

والواقع أن التعريف العلمي للتدريب لا يختلف كثيراً عن تعريف التعلم . ونحن نقصد بالتعلم تغيير أو تعديل سلوك الفرد ، ذلك التعديل الذي ينتج من الممارسة والمران والخبرة . وهو في ذلك يختلف عن التغيير الذي يطرأ على السلوك نتيجة التعب أو الإرهاق أو المرض ، كذلك فإنه يختلف عن تغيير السلوك الناتج عن النضج أو النمو الطبيعي لدى الإنسان . فالتعلم تغير في الأداء يحدث نتيجة المران والخبرة والممارسة والتكرار[1] .

ويبدأ التدريب ولدينا مجموعة من العمال يسلكون بطريقة معينة ، ثم يتلقون قدراً من التدريب ينتهي عندما يتمكنون من القيام بهذا العمل بالطريقة التي رسمت لبرامج تدريبهم . ومما يسهل عملية التدريب أن تجد المؤسسة عدداً كافياً من العمال الذين تتوفر فيهم جميع القدرات والاستعدادات والميول والذكاء المطلوب للعمل الذي تقوم به المؤسسة .

ولا شك أن الشركات تود أن تجد العمال المهرة المدربين على أعمالهم جاهزين دون أن تبذل جهداً أو تتفق على تدريبهم من أموالهم . ولكن في معظم الأحيان تختار المؤسسة العمال الجدد ثم توفر لهم التدريب اللازم بمعرفتها . وإلى جانب هذا النظام ، فالمعروف أن هناك عدداً كبيراً من مراكز التدريب المهني المستقلة ، وهناك أقسام التدريب بالوزارات

---

(١) ـ راجع الفصل الخاص بالتعلم في كتاب «دراسات سيكولوجية» منشأة المعارف للدكتور عبد الرحمن العيسوي .

والهيئات، بل أن بعض مدارس التعليم الفني الزراعي والصناعي والتجاري والنسوى تدرب طلابها على بعض المهن.

والمعروف أن للتدريب أهمية كبيرة في الميدان الصناعي، وتزداد هذه الأهمية تدريجياً نظراً لتعقد الآلات والماكينات والاختراعات الحديثة التي تتطلب تدريباً دقيقاً للنجاح في إدارتها وتشغيلها. فنحن نشاهد كثيراً من الآلات الأتوماتيكية والأجهزة الإلكترونية المعقدة التي تتطلب التدريب وإعادة التدريب (Retraining) للعمال القدامى على هذه الآلات الحديثة.

- الخطوات العملية في عملية التدريب:

والآن نتساءل كيف تسير برامج التدريب هذه؟

أول خطوات التدريب هي تحديد الأهداف المقصودة من برنامج التدريب تحديداً إجرائياً Oprational فالأعمال والخطوات والحركات والأنشطة المطلوب تعليمها يجب أن تحدد تحديداً دقيقاً وعلمياً، فلا يكفي أن نقول إن الهدف من برنامج التدريب هو إعداد مشرف أو ملاحظ أو بائع أو سائق، كما لا يكفي أن نقول إن الهدف هو إعداد العامل الأمين المخلص لعمله أو لشركته - ولكن الأنشطة والمهارات تحدد تحديداً دقيقاً وتفصيلياً. وعلى ذلك يلزم تحليل المهارات والاتجاهات اللازمة لكل عمل ثم وضعها كأهداف يسعى إليها التدريب، وعلى ذلك يستهدف التدريب تغيير سلوك الناس في هذه النواحي بالذات.

وعلى ذلك فقبل وضع أي برنامج تدريبي ينبغي أن يسأل أخصائي التدريب نفسه هذه الأسئلة ويضع لها الإجابات المحددة: -

١ - ما هي متطلبات القيام بهذا العمل بكفاءة؟

٢ - ما هي الصفات الخاصة لهذه الوظيفة في ضوء العمل الذي تقوم به المؤسسة؟

٣ - هل من الممكن تبسيط العمل أكثر مما هو عليه، هل يمكن ضم هذا العمل إلى نوع آخر من العمل؟

٤ - إلى أي مدى يمكن جعل التدريب عاماً بحيث يمكن بعد ذلك نقل العامل من عمل إلى آخر إذا اقتضت الضرورة؟

٥ - هل توجد الأعداد الكافية من العمال لعمل البرنامج التدريبي، الخاص وهل توجد الآلات والأجهزة التي يحتاجها التدريب؟

ولا شك أن هناك طرقاً أسهل في أداء العمل من طرق أخرى، كذلك هناك طرق تؤدي إلى زيادة الإنتاج. وهناك طرق أكثر راحة للعامل من غيرها. مثل هذه الطرق يجب أن تحددها برامج التدريب. ويمكن تحديد الطرق المثلى عن طريق ملاحظة العمل وتحليله. وبطبيعة الحال، تختلف درجة صعوبة التدريب تبعاً لنوع العمل. فالتدريب اللازم لتشغيل الآلة الكاتبة يختلف عن التدريب اللازم لعمل مدير الشركة. فالمهارات المطلوبة في الكاتب على الآلة الكاتبة ممكن تحديدها في أمور بسيطة مثل السرعة والدقة في الكتابة، وكتابة الحروف الصحيحة والاتقان أو الترتيب والنظافة (Speed, accuracy, correct letter from; and neatness) [1].

وعلى كل حال، يحتاج التدريب إلى معرفة طبيعة العمل ومكانته بالنسبة للتنظيم الصناعي داخل المصنع.

التدريب العام والخاص: -

وهنا ينبغي أن نتساءل أيهما أفضل أن نقدم للعامل تدريباً عاماً يتناول جميع الأعمال في المصنع أم تدريباً خاصاً يتناول نوعاً معيناً من الأعمال العديدة التي توجد بالمصنع؟

---

(١) Gilmer, B.V., H., Industrial Psychology -

التـدريب الخـاص أو النوعـي Specific يؤدي إلـى استـلام العمـال لأعمالهم الجديدة بعد فترة قصيرة من التدريب ، كما أنـه يوفـر لهـم كفـاية إنتاجية عالية بحكم اقتصاره على نوع محدد من العمل يمكن للعامل اتقانه وإجادته في فترة قصيرة من الزمن. أما مزايا التدريب العام فإنه يعد العامل لأكثر من وظيفة ، ويجعله مستعداً للقيام بأعمـال مختلفـة ولتشـغيل الآلات الجديدة .

لكل نوع مزاياه وظروف العمل هي التي تحدد أفضـلية أيهمـا تطبـق المؤسسة . وعلى كل حال يشبه التدريب العام التعلم . أما التدريب الخاص فهو أقرب إلى المعنى الاصطلاحي للتدريب .

من خصائص الصناعات الحديثة والجيوش الحديثة الاعتماد على الآلات والماكينات والمعدات والمعقدة Complex equipments وعلـى ذلك فالحاجـة إلى التدريب الطويل أصبحت ضرورية ، ولكن اتجه رجال الصناعة إلى تبسيط الأعمال Job simplification أو تقسيم العمل إلى عمليات صغيرة وقصيرة يختص كل عامل بالقيام بإحداها. وتسمى هذه العملية باسـم تقسيم أو تجزئـة العمـل Shredout . وعلى ذلك فالقيام بهذه الأعمال المبسطة يحتاج إلى تدريب أقـل وأسهل وإلى خبرة بسيطة .

ويتوقف التدريب على ظروف العمالة ، ففي الحالات التي تتوفر فيها الأيدي العاملة ، ويتقدم للشركة أعداد كبيرة يصبح عليها أن تستخدم وسائل دقيقة لتصفية المتقـدمين مثـل تطبيق الاختبـارات والمقابـلات الشـخصية ، ومعرفـة تاريخ حياة العامـل والتدريبـات التـي تلقاهـا وآراء الـذين عمـل معهم قبل ذلك . كذلك يتوقف الاختيار على العدد اللازم للشركة ، فكلما قل هذا العدد كلما زاد تدقيق الشركة في فحص المتقدمين والعكس صحيح .

ويفيد تطبيق الاختبـارات النفسية في انتقـاء العمـال الصـالحين

للتدريب ، وذلك عن طريق خفض تكاليف التدريب . فالفرد الصالح للتدريب يحقق نجاحاً أكثر ويتدرب في فترة أقل ، وبذلك تقل نفقات التدريب ، ولكن على شرط ألا يزيد عدد الأفراد الذين يطبق عليهم الاختبارات حتى لا تكون تكلفه القياس أكثر من عوائده .

مبادىء التدريب التنموي

قلنا إن جوهر عملية التدريب يكمن في تشكيل وتعديل السلوك وإعطاء العمال قدر من المعلومات والمهارات والاتجاهات. وهنا نتساءل كيف يتمكن المدرب أو المعلم من تحقيق هذه الأهداف؟

من أوائل المبادىء التي يجب أن يضعها المدرب موضع الاعتبار، طبيعة جماعة التدريب، وأهداف المؤسسة التي يعملون بها. هذا إلى جانب تطبيق المبادىء الخاصة بالتعلم وقوانين التعلم المعروفة وإن كان هناك بعض الناس الذين يزعمون أن التدريب الجيد يحدث نتيجة لخبرة المدرب فقط، ولكننا وإن كنا لا ننكر فضل التجربة الشخصية والخبرات المهنية في التدريب إلا أن الاعتماد على بعض النظريات العلمية إلى جانب تلك الخبرة يساعد المدرب على أداء رسالته بكفاءة أكثر، وعلى كل حال تستخدم مبادىء التعلم كأداة مساعدة ترشد المدرب في أداء وظيفته، ولكن ليس معنى ذلك، أن يطبقها حرفياً في جميع المواقف، بل يطبق ما يراه من الطرق حسب طبيعة الموقف. ومن المبادىء الهامة في عملية التدريب ما يلي: -

١ - التكرار والمران : Repetition and Practice :

التكرار يساعد على تعلم أداء أي عمل، أما مقدار التكرار فيتوقف على طبيعة المهارة المراد تعلمها، وعلى شخصية المتعلم، وعلى الطرق المستخدمة في التدريب.

ولقد وجد أن التدريب المتقطع، أي الذي يتم على فترات تتخللها فترات راحة - يعد أكثر فاعلية من التدريب المستمر.

"Repetitions that are separated by a Period of time are far more effective than repetitions that occur close together.[1]

فالتكرار الموزع أفضل من التكرار المركز، ويساعد على سرعة الحفظ Retention .

٢ - الإرشاد والتوجيه Task guidance نحو العمل الأفضل : -

الإرشاد يساعد المتعلم على سرعة التعلم ودقته، فإرشاد المتعلم إلى الطرق الصواب فيه اقتصاد لوقته وجهده، حيث يتعلم الاستجابات الصائبة من أول محاولة بدلاً من تعلم الحركات الخاطئة، ثم يبذل بعد ذلك جهداً مضاعفاً في إزالة العادات الحركية الخاطئة، ثم يتعلم بعد ذلك العادات الصائبة. وهناك نوعان من التدريب: تدريب لتحقيق دقة الأداء والاتقان، وتدريب لتحقيق السرعة. وفي حالة تدريب السرعة ينبغي أن يحدد المدرب مع السيكولوجي معدل السرعة المعقول الذي ينبغي وصول المتعلم إليه. وكذلك فإن إحاطة المتعلم علماً بأخطائه وبتقدمه أي معرفته بنتائج جهده تساعده على حسن التعلم، فالإحساس بالنجاح يقود إلى النجاح، والطموح، ومعرفة الخطأ تساعد على تجنبه.

٣ - المكافأة أو التعزيز Reinforcement :

من المبادىء الهامة التي تسهل عملية التدريب مبدأ المكافأة أو التعزيز، أي استثارة المتعلم وتشجيعه نتيجة لجهوده الناجحة. وقد يكون التعزيز في شكل مكافأة، أو في شكل الشعور بالنجاح، أو في شكل زيادة إنتاج

---

(١) Gilmer, B.V.H., Industrial Psychology.

العامل. وقد يكون التعزيز في شكل مكافأة مالية، وفي شكل اعتراف المؤسسة بالعامل، أو في شكل إحساسه بالنجاح في تحقيق أهدافه. ولذلك ينبغي أن تكون أهداف العامل من التدريب أهدافاً واقعية، بحيث يمكن إشباعها، كما يجب مساعدة المتعلم على أن يحدد مستويات طموحه، بحيث يمكن إشباعها، فارتفاع مستوى الطموح بما يزيد عن قدرات الفرد يقود إلى الشعور بالإحباط الذي يؤدي، بدوره، إلى انعدام الشعور بالثقة بالنفس وعن طريق المناقشات الحرة، يمكن للعامل أن يعبر عن أرائه للجماعة، وكذلك للمدرب. ومن وسائل التعزيز الإيجابية الدرجات التي يحصل عليها المتعلم على اختبار ما بعد فترة من التدريب، أو مديح المدرب له.

وعلى كل حال يكون التعزيز أكثر تأثيراً إذا وقع بعد الانتهاء من العمل مباشرة. فالانتظار حتى يتم برنامج التدريب كله ثم تعزيز المتعلم لا يفيد نفس إفادة التعزيز المباشر. ويساعد التعزيز على استمرار رغبة المتعلم في التدريب، كما يحفزه على تعديل سلوكه.

٤ - التمييز والتعميم Discrimination and generalization :

يجب أن يتعلم المتعلم التمييز بين أنواع الأنشطة المختلفة، مثلما يفعل الطفل الصغير عندما يميز بين الكلب والقط. أما التعميم فهو تطبيق الخبرات السابقة على مواقف جديدة متشابهة.

٥ - الكف أو الانطفاء Extinction للعادات الخاطئة :

من المعروف أنه من الممكن إزالة أو حذف بعض الاستجابات من أداء الفرد، وذلك عن طريق إيقاف التعزيز الذي كان يتبع أو يصاحب هذه الاستجابات، فعندما تتوقف المكافآت أو التعزيزات، فإن الاستجابات تأخذ في التضاؤل والانطفاء، وهكذا تفقد الاستجابة قوتها كنتيجة لانعدام التعزيز. وعلى ذلك يمكن حذف العادات السلوكية الخطأ أو السيئة من

سلوك الناس عن طريق ممارستها ثم بيان خطئها وعدم تقديم أي مكافأة على أدائها.

فالاتجاهات العدوانية مثلاً عند العمال يمكن العمل على كفها عن طريق إيقاف أي تعزيز لها، وكذلك الحركات الخاطئة في أداء العمل.

٦ - الطريقة الكلية والطريقة الجزئية في التعليم: -

الطريقة الكلية هي التي تقضي أن يتعلم المتعلم أداء العمل كله دفعة واحدة، كأن يتعلم الطفل حفظ قصيدة من الشعر دفعة واحدة. أما الطريقة الجزئية فهي التي تقضي بتقسيم المادة إلى وحدات جزئية، ثم حفظ أو تعلم وحدة وحدة. وفي مجال العمل يقسم العمل إلى أجزاء يتعلمها جزءاً جزءاً.

والوضع الراهن لهذه المشكلة هو أن الطريقة تتوقف على طبيعة المادة المراد تعلمها. فالمادة الصعبة أو المعقدة يستحسن تقسيمها، أما المواد السهلة فيمكن تعلمها.

والمعروف أن عملية التعلم، وبالمثل التدريب، وكذلك الإدراك الحسي، يسير من العام الكلي المبهم إلى الخاص المفصل الواضح الجزئي، فالتدريب يبدأ بشكل عام وتقريبي ثم يتدرج إلى الأمور الدقيقة التفصيلية المعقدة. ومعنى ذلك أن التدريب على الأعمال العادية يتم أولاً ثم الأعمال التي تتطلب مهارات فنية دقيقة.

وعلى ذلك، فإن تصويب الأخطاء يكون تدريجياً، والارتفاع بمستوى العامل في الأداء يكون أيضاً تدريجياً حتى يصل إلى المستوى المطلوب. ومعنى ذلك أننا لا نتوقع الكمال المطلق من العامل المستجد، وفي المراحل الأولى من التدريب سوف يركز العامل على الحركات أكثر من اهتمامه بالإنتاج. ويشبه عملية التدريب هذه أحد الكتاب بالقول بأنها تشبه صناعة

الفنان لتمثاله ، فهو يبدأ بصنع شكل تقريبي من الصلصال ثم يستمر في إدخال التحسينات حتى ينتهي بإخراج عمله الفني في صورته الكاملة .

٧ ـ الثواب والعقاب كدوافع على التعلم : ـ

أيهما أفضل أن ندفع العامل على تعلم مهنته الجديدة عن طريق العقاب أم عن طريق الثواب؟ بعبارة أخرى هل يمكن تعديل السلوك الخاطىء عن طريق إنزال العقاب أم عن طريق منح المكافآت والتعزيزات؟

لقد دل البحث على أن إثارة العامل عن طريق التعزيزات الإيجابية أفضل من العقاب . وعلى ذلك فنتائج التعلم تصبح أكثر نجاحاً في حالة إتباع منهج التعزيزات الإيجابية كالمديح والثناء أو المكافآت والحوافز الإيجابية .

أما التعزيزات السلبية فتظهر في العقاب وفي الحرمان من المرتب أو الحرمان من بعض الامتيازات أو الطرد من الدراسة ، أو إعادة العامل إلى مهنة أقل من مهنته أو التهديدات بأي من هذه الأساليب .

٨ ـ تنمية القدرة على التعلم : The ability to learn : ـ

يجب أن يستهدف التدريب تنمية قدرة العامل على التعلم . أي تعليمه كيف يتعلم . والمعروف أن التعليم الحديث يستهدف تنمية قدرات التلاميذ واستعداداتهم أكثر من مجرد حشو أذهانهم بالمعلومات .

فلقد أوضحت الدراسات أن العامل يجد سهولة في التعليم في المراحل الأخيرة من برامج التدريب بالقياس إلى المراحل الأولى من البرنامج، وذلك لأنه يكون قد نمى في نفسه القدرة على التعلم .

٩ ـ التعلم عن طريق العمل Active learning : ـ

التعلم القائم على الجهود الذاتية الإيجابية للمتعلم أكثر ثباتاً من التعلم الذي لا يقوم فيه المتعلم بدور إيجابي ، فمجرد الملاحظة أو مشاهدة العمل

لا تفيد بقدر ما يفيد قيام العامل نفسه بأداء السلوك المطلوب . فالتعلم الذي يستعصي على النسيان هو التعلم عن طريق العمل الفعلي. فأنت لا تستطيع تعلم السباحة من مجرد القراءة عنها ، فعن طريق أداء العمل وخاصة الأعمال الظاهرية يستطيع العامل أن يدرك الأخطاء وأن يصوبها . وفي الأمور النظرية مجرد تكليف الطالب بتلخيص موضوع ما بأسلوبه الخاص يعد أفضل من مجرد كونه سلبياً ومتقبلاً لمحاضرات الأستاذ . وعلى ذلك يغد أسلوب المحاضرة من الأساليب غير التربوية في التدريب وفي التعليم عامة .

١٠ - انتقال أثر التدريب Transfer of training :

يقتصد بانتقال أثر التدريب في عملية التعلم إمكان الاستفادة مما تعلمه الفرد في مواقف سابقة على مواقف لاحقة ، أو إمكان تطبيق الخبرات التي اكتسبها في ميدان معين على ميادين أخرى جديدة ، فتعلم اللغة الإيطالية يساعد في تعلم اللغة الفرنسية ، والتدريب على عمليات الطرح يفيد في تعلم الطفل عمليات الجمع والقسمة وهكذا .

وفي الغالب ما تستهدف برامج التدريب المهني هدفاً مزدوجاً : التدريب لوظيفة معينة ثم التدريب العام لإمكان تعليم مهن جديدة . والمعروف أن انتقال أثر التدريب قد يكون موجباً وقد يكون سلبياً . بمعنى أنه قد يساعد على تعلم مهارات جديدة ، وقد يكون معوقاً للتعلم الجديد ، وذلك في حالة تضارب وتناقض المادتين . ويجب أن يلم المدرب بالأمور المتشابهة وبطرق التعلم الجيد بحيث يمكن انتقال أثر التدريب .

١١ - أهمية الدوافع والحماس للتعلم : -

ومن المبادىء الهامة لنجاح التدريب ضرورة وجود دوافع Motivations لدى الأفراد الذين يحضرون برامج التدريب ، والمعروف أن الدافع هو الذي يحرك الفرد نحو القيام بالجهد المطلوب للتعلم . وكذلك

من المبادىء التي يجب على المدرب مراعاتها مبدأ وجود الفروق الفردية Individual differences بين الأفراد في القدرات والاستعدادات والذكاء والميول والدوافع وغير ذلك من السمات التي تؤثر على سرعة تعلمهم.

كذلك من المبادىء العامة للتعلم أنه قد يحدث نتيجة للاقتران الشرطي أو للمحاولة والخطأ أو على أساس الاستبصار، فربط الأعمال الناجحة بالشعور بالارتياح يؤدي إلى حدوث الأفعال الناجحة. كذلك هناك كثير من وسائل الإيضاح أو الوسائل السمعية والبصرية المعينة على التعلم مثل النماذج والخرائط والرسوم والآلات والقطاعات الطولية والعرضية وعينات الإنتاج وغير ذلك. فالتدريب على قيادة الطائرات يمكن أن يتم جزء كبير منه على الأرض في حجرات مزودة بآلات خاصة.

١٢ - استخدام الآلات في التعلم : -

وهناك آلات حديثة تستخدم في التعلم في الوقت الحاضر حيث تقسم المادة إلى أجزاء صغيرة ثم يقرأها الطالب جزءاً ثم يكتب استجاباته على بعض الأسئلة ثم يدير زراً معيناً في الآلة فيتأكد من صحة إجابته أو خطئها. كذلك ممكن استخدام كتاب توضع فيه المادة على شكل بنود صغيرة - يستجيب القارىء لكل بند ثم يقلب الصفحة لكي يتحقق من صحة إجابته عن طريق رؤية الإجابة النموذجية على أن يدون الطالب إجابته كتابة في الكتاب نفسه أو في شريط يظهر له من الآلة التي أمامه. وعلى ذلك فالكتاب المصمم لهذا النوع من التعلم تكون صفحاته صفحة تحتوي الخطوات التي يعملها الطالب والصفحة التالية تحتوي الإجابات النموذجية لهذه الخطوات.

كذلك من المبادىء الهامة للتدريب تقويم تحصيل العامل بعد فترات من التدريب، وكذلك في نهايته للتحقق من اكتسابه المهارات والخبرات

المطلوبة، ويستخدم في ذلك اختبارات الكفاية واختبارات القدرات التحصيلية المختلفة. والمعروف أن هذه الاختبارات لا بد وأن تتوفر فيها صفة الصدق والثبات والموضوعية.

التدريب في مقر العمل وبعيداً عن العمل:

وأخيراً فإن هناك نوعين من التدريب: التدريب في مقر العمل نفسه On-the Job-training حيث يتلقى العمال تدريبهم في نفس المصنع على أيدي الملاحظين والمشرفين أو المدربين. أما التدريب البعيد عن مقر العمل Off-the Job-training فهو الذي يتم في مدرسة أو معهد أو مركز أو جامعة خارج دائرة المصنع.

أهداف التدريب:

١ - تدريب من أجل التوعية والتوجيه، ويهتم بالعمال الجدد الذين يدخلون المؤسسة لأول مرة، ويهتم بإعطائهم المعلومات الكافية عن المؤسسة وسياستها وأهدافها كما يهتم بتنمية اتجاهات إيجابية نحو العمل والاعتزاز به واحترامه والولاء له.

٢ - تدريب مهني يختص بالمهارات المهنية المطلوبة لعمل معين وتحويل العمال من عمال عاديين إلى عمال مهرة.

٣ - تدريب مهني وفني عالٍ يهتم بالتخصصات العالية وبالتقدم العلمي والتكنولوجي الذي يطرأ على ميدان معين، ويمكن الاستفادة منه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٤ - تدريب للإشراف والإدارة وللأعمال المالية، ويختص بتعليم أصول وأنواع القيادات والعلاقات الإنسانية وأساليب الإشراف والتوجيه والأسس العلمية للإدارة.

٥ ـ تدريب تخصصي يهتم بتدريب بعض الأفراد على التخصصات الفنية النادرة مثل تبسيط العمل، فن البيع، العلاقات العمالية، الأمن الصناعي، تقويم العمال، والتناوب بينهم . . . وهكذا. وكلما تقدمت الصناعة كلما زادت الحاجة إلى مثل هذه التخصصات[1] .

---

(١) Gilmer, B.V.H., Industrial Psychology.

الفصل التاسع

منهج الإسلام في التنمية البشرية

المنهج القيمي : -

من أنجح المناهج المستخدمة في التنمية «المنهج القيمي» أي الذي يعتمد في تحقيق التنمية المنشودة على زرع القيم الخلقية والإيجابية في أبناء المجتمع ، وإخراج هذه القيم إلى حيز السلوك الفعلي ، والتراث الإسلامي حافل بالقيم الحافزة على التغير نحو الأفضل والأصلح والأقوم. فهناك القيم التي تساعد على تنمية الفرد وتنمية المجتمع .

- أهداف الإسلام هي أهداف التنمية : -

والمجتمع الإسلامي إنما هو في الحقيقة مجتمع تنمية ، ذلك لأن هذا المجتمع يتفق مع الأهداف البعيدة للتنمية ، وهي تكوين مجتمع السعادة والرفاهة ، فالإسلام يدعو لإيجاد حياة دنيوية وأخروية كريمة[1] .

(١) - د. عبد الهادي الجوهري وآخرون ، دراسات في التنمية الاجتماعية «مدخل إسلامي» مكتبة نهضة الشرق «القاهرة» ١٩٨٢م.

أهمية الدين في معارك التنمية : ـ

لقد أغفل رجال الاقتصاد والاجتماع بيان أثر الدين في معارك التنمية على اعتبار أن علاقة الإنسان بخالقه علاقة روحية لا يمكن قياسها موضوعياً، ولكنهم نسوا أن هذه العلاقة تعبر عن نفسها من خلال علاقة الإنسان بعمله وبزملائه في المجتمع، وتحدد كافة أوجه سلوكه. والحقيقة، كما يراها علماء الأخلاق، أن القانون الخلقي الكامل هو القانون الإلٰهي، وهو الذي يرسم أسلوب المعاملة الإلٰهية والإنسانية معاً[1].

فالدين هو مصدر الحكم والتشريع الذي يشمل كافة أوجه النشاط الأخرى محدداً النهج الذي يسير عليه الفرد والجماعة. ولذلك فإن جهود التنمية، مهما توفر لها من أسباب النجاح، لن تؤتي أكلها إلا إذا خضعت للقيم الخلقية المتمثلة في إحياء الضمير، واتقان العمل، انطلاقاً من الشعور القوي بالواجب في كل ما يقوم به العامل أو الصانع أو الزارع أو التاجر أو المهندس أو الطبيب أو المعلم أو الموظف من عمل. وبدون هذا الواعز الخلقي لا تتحقق التنمية نجاحها المرتقب.

والحقيقة أن هناك بعض المجتمعات التي أخذت بأسباب التنمية، ورغم توفر كافة عناصرها إلا أنها لم تنجح لانعدام الدافع الخلقي الذي يساند العمل التنموي، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ انتشار الرشوة والوساطة والمحسوبية.

٢ ـ انتشار نزعات الطمع والأنانية والإثراء غير المشروع.

٣ ـ الصراع من أجل السلطة.

(١) ـ د. زكي محمد إسماعيل، التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، مجلة كلية العلوم العربية والاجتماعية العدد الرابع ١٤٠٠هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ١٦٥.

٤ - التسيب والانحراف وضعف وسائل المتابعة والتقويم.

ومثل هذه السلبيات تحطم كل جهود التنمية وتهدم أركانها. ومن هنا كانت أهمية التربية الأخلاقية والسياسية في نجاح العمليات التنموية. ومن هذه القيم الأخلاقية العمل وتقديره واحترامه، وتقدير الكسب الحلال، ذلك لأنه يستحيل لمجتمع ما أن ينهض إذا كان أبناؤه يتصفون بالكسل والتراخي، وعدم الإقبال على العمل والإنتاج. ويشترط الإسلام أن يعود نفع العمل لا على العامل وحده، ولكن على غيره أيضاً من أبناء المجتمع، وذلك تمشياً مع مبدأ التعاون.

لقد انتهى ذلك العهد اليوناني الذي كان يحتقر العمل اليدوي، ويعتبره من اختصاص العبيد وحدهم، أما العمل العقلي المجرد فكان من أعمال السادة، وأصبح من الضروري الاهتمام بالحرف والمهن اليدوية والفنية في جميع المجتمعات. والمفروض أن تتغير نظرة المجتمع للعمل اليدوي، واعتباره لا يقل قدراً ولا شرفاً عن العمل الذهني.

«مع اتقان العمل ينبغي أن يتحلى العامل، أياً كان موقعه، بالصبر والنزاهة وطهارة اليد، وعفة القول، وصفاء الضمير، وسلامة القصد، فتلك كلها عوامل هامة في تحقيق الإنتاجية وإثراء خطة التنمية، والسير بها نحو هدفها المقصود»[1].

منهج القرآن:

وينبغي أن تقوم التنمية على أساس من إقناع الإنسان باستخدام لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهي لغة، فوق بلاغتها، قادرة على إقناعه بالسير في طريق الهدى والصلاح والتقوى والورع والإيمان

(١) - المرجع السابق ص ١٦٨.

والعمل الصالح. وليس العمل الصالح إلا ضرباً من ضروب التنمية الشاملة.

ومن سمات العمل التنموي الإسلامي العناية الشاملة بالإنسان منذ نعومة أظفاره إلى نهاية حياته، بل إن عناية الإسلام تسبق ميلاد الطفل، حيث يوصي الإسلام بنكاح المرأة الصالحة ذات الدين. ويتسم هذا العمل بالشمول والانسجام، فالعناية ليست قاصرة على جانب واحد من جوانب شخصية الفرد، ولكنها عناية بجسمه، وقلبه، وعقله، وحسه، ووجدانه وضميره.

ـ التضامن بالمفهوم الإسلامي: ـ

وإلى جانب سبق إسلامنا الحنيف في الدعوة للتضامن قبل المذاهب الغربية، فقد اتسم التضامن الإسلامي بالطابع الإنساني والخلقي والأخوي، بل لقد ربط الإسلام بين العبادة والوفاء بحق المجتمع فيما يمتلك الفرد من ثروة، واعتبر عدم الوفاء بحق المجتمع هذا موجباً للعقاب. ولهذا التكافل مستويات مختلفة فهو بين الفرد وأسرته، ثم بين الفرد وجماعته، ثم بين الفرد والمجتمع، الذي يعتبره الإسلام صاحب المصلحة العليا.

تنمية الإنسان تنمية متكاملة:

فالصيام مثلاً مدرسة شاملة من النواحي الروحية، والفكرية، والنفسية، والاجتماعية، والجسمية، والخلقية **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** (البقرة ١٨٣) وقول رسولنا الكريم في فضل الصيام: «الصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه من أجلي»[١]

(١) ـ رواه البخاري.

وقوله ﷺ «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ، فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه إحد» البخاري جـ ١ ص ٣٢٥ . وقوله ﷺ : «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه» البخاري جـ ١ ص ٣٢٥ . وكان النبي ﷺ أجود ما يكون في رمضان . ويقول النبي ﷺ عن الله تعالى : «كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفسي محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه» البخاري جـ ١ ص ٣٢٦

وللمحافظة على صحة المسلم وقواه الجسمية ، فلم يفرض الصيام طوال الدهر ، بل على المسلم أن يصوم ويفطر ، وأن يتناول سحوره . ولم يمنع الصيام المسلم من أن يستاك ليطهر فمه وأسنانه باستمرار[1] . من ذلك أيضاً إباحة الفطار في حالة تحمل أعباء السفر ، أو المعاناة من المرض ، وترك الصيام للمرأة الحائض والنفساء

ـ التكامل في تربية الإسلام

تمتاز المدرسة الإسلامية في تربية الفرد وإعداده وتنشئته بالنظرة الشمولية والتكاملية ، والاهتمام المتوازن بروح الإنسان ، وعقله ، وجسمه ، وخلقه ، وقدراته . كما تمتاز بالنظر للإنسان على أنه وحدة متكاملة متناسقة من الروح والجسد . فلا انفصال بين قواه الجسدية والخلقية ، بل إن هذه القوى متفاعلة ، ويعتمد بعضها على بعض ، ويؤثر بعضها في البعض ،

---

(١) البخاري ج ١ ص ٣٣٠ .

فالصلاة مثلاً تنمي إيمان المسلم، وتطهر قلبه، وتقربه من خالقه، وفي نفس الوقت هي ممارسة رياضية لجسمه وعضلاته وأطرافه، ويسبقها الوضوء والاغتسال، وفوق قيمتها الروحية فهي تخليص لما قد يوجد بالجسد من العرق والأوساخ والأقذار.

يعلم الإسلام أبناءه البحث واكتساب العلم، ولكن دون الوصول إلى مستوى الغرور، فمعرفة الإنسان محدودة، وهناك أمور تخرج عن دائرة هذه المعرفة. وبهذا يربي الإسلام المسلمين على التواضع، يقول تعالى: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** (الإسراء/ ٨٥).

وفي هذا توجيه لعقل الإنسان لكي يعمل في دائرة إمكاناته، وألا يتيه في البحث فيما لا طاقة له به من أمور الغيب. وبلغة العصر هذا التوجيه «ترشيد» لعمل العقل، واستثمار فيما يفيد، وإبعاده عن متاهات الفلسفة، وغموض ما وراء الطبيعة. وذلك حتى لا يبدد الإنسان طاقته العقلية فيما لا يمكن إدراكه، فاستخدام العقل في الإسلام يخضع للقيم الخلقية.

ويعمل الإسلام على تطهير نفوس المسلمين مما بها من مشاعر الإثم والذنب، نتيجة لما قد يكون قد آتاه الفرد من المعاصي والخطايا، ذلك لأن الشعور بالذنب من المشاعر المؤلمة، والتي تؤدي إلى تكوين العقد النفسية وكراهية الإنسان لنفسه واحتقارها. وعندما تعتمل مثل هذه المشاعر السلبية في داخل الإنسان كالكراهية أو الشعور بالذنب أو الحقد والسخط والغيرة، والحسد، فإنها تبدد طاقته، وتمتص حيويته، ويعجز عن العمل والإنتاج. والإنتاج، كما نعلم صلب التنمية.

ومن حكمة الإسلام، أن جعل باب التوبة مفتوحاً أمام المسلم على مصارعه، ليتوب إلى الله توبة نصوحاً، لقوله تعالى: **﴿فتوبوا إلى بارئكم**

فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾ (البقرة/ ٥٤). وقوله تعالى ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم، ويتوب الله على من يشاء، والله عليم حكيم﴾ (التوبة/ ١٥). ومن آيات التوبة والحض عليها: ﴿ قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ (الأحقاف/ ١٥). وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (التحريم/ ٨). وقوله تعالى: ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ (البقرة/ ١٦٠). فالإسلام يربي أبناءه على الشكر لله تعالى والاعتراف بنعمته، كما يعودهم على الأعمال الصالحة التي ترضي الله ورسوله، كما يربيهم على التواضع، وحب السلم، والمسالمة، والطاعة لله تعالى ولرسوله العظيم: ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون، قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ (الفرقان/ ٦٣ - ٦٤).

كما يربي الإسلام المسلمين على حب الله ﴿ فسوف يأتي بقوم يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة/ ٥٤). وبالتالي حب أخوتهم في الله. والمسلم يطلب من الله تعالى الهداية إلى الطريق المستقيم، ويجيء هذا الطلب في فاتحة الكتاب ﴿ اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ (الفاتحة/ ٧).

ولا شك أن طريق الاستقامة هو الطريق العمل والإنتاج، العمل الذي ينفع الناس جميعاً، والذي يعود خيره على الفرد وعلى المجتمع الذي ينتمي إليه برمته. ولا شك أن الجانب الخلقي يعتبر أقوى الجوانب وأكثرها تأثيراً في نجاح العمل التنموي الذي يتطلب، فيمن يقوم به، الإخلاص، والأمانة، والصدق، والتفاني، والجدية، وتحمل المسؤولية، والتضحية،

والإيثار، والطاعة، والالتزام، والانضباط، والإحساس بالواجب، والنزاهة، والبعد عن الأنانية والطمع والجشع والأثرة. وحب التملك، والتسلط والمباهاة والاستحواذ والفردية . . . إلخ.

فأساس العمل الإنمائي هو التمسك بالقيم الخلقية التي يغرسها الإسلام فينا. والمسلم الحق هو الذي يشعر أن الله تعالى يرقبه في كل أعماله وحركاته وسكناته. ولذلك يشعر بالمسؤولية أمام الله، فلا يبدد، مثلاً، المال العام الذي تخصصه الدولة لمشاريع الإنماء والإنعاش والرفاهة لقوله تعالى: **﴿يعلم السر وأخفى﴾** (طه/ ٧). وقوله تعالى: **﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾** (يونس/ ٦١).

عندما يؤدي الفرد عمله، وهو يرى ربه معه، في كل ما يأتي من أمر أو ينتهي عن نهي، فكأن الفرد لا يتعامل مع مجتمعه، ولكن يتعامل مع ربه، أو بعبارة أوضح يتعامل مع هذا المجتمع والشاهد الله تعالى.

هذا الفرد يتحرج أن يخدع غيره، وهو يعلم أن الله معه، ويمتنع عن ارتكاب جريمة في جنح الظلام، وهو يحس أن عين الله ترقبه.

فإذا جمحت الشهوة في داخل الإنسان، وسقط سقطته، وكان ذلك حيث لا ترقبه عين ولا تناله يد القانون، تحولت نفسه في داخله نفساً لوامة عنيفة، ووخزاً لاذعاً للضمير، وخيالاً مروعاً لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام حاكم المسلمين[1].

ويعد الإسلام الفرد ليكون صالحاً لخلافة الله في الأرض، فيقوم على تعميرها، أي بلغة العصر، تنميتها وتطويرها والارتقاء بها، لأن الله تعالى

---

(١) د. عبد الرحمن عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال. عكاظ. ١٤٠١ هـ ص ٩٦.

جميل ويحب الجمال، ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة/ ٣٠).

ومن السمات الخلقية، والروحية التي يربي الإسلام أبناءه عليها التقوى وحساسية الضمير، وشفافية الشعور، والخشية من الله، عملاً بقوله تعالى: ﴿يا عباد فاتقون﴾ (الزمر/ ١٦). وقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ (الشعراء/ ١٦٣). وقوله تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ (النساء/ ١٣١).

ومن القيم الخلقية الأصيلة التي يغرسها الإسلام في نفس المسلم إشاعة المحبة، والترابط، والتماسك بين أبناء المجتمع. ففريضة الزكاة، التي أوجبها الله تعالى، تطهر القلوب من الشح والبخل، وتطهر الأموال من الخبث، وتشيع معنى التكافل الاجتماعي، والتآخي، والتضامن، فلا يحقد الفقير على الغني، وإنما يشعر الجميع أنهم أبناء أمة واحدة، وأنهم كالجسد الواحد كما في قوله تعالى: ﴿فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ (الأعراف/ ١٥٦). ويؤدي إخراج الزكاة إلى إحساس المسلم بالرضا النفسي، والبعد عن الشقاء، الذي أعد للكافرين، وبذلك يبتعد عن مشاعر الضيق والقلق والتوتر والاضطراب. وتلك المشاعر من معوقات العمل والإنتاج. ومن ثم من معوقات حركة المجتمع نحو التقدم والازدهار، لقوله تعالى: ﴿وسيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكى وما لا حد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾ (الليل/ ١٧ - ٢١).

كذلك فإن الحج ومناسكه، وإقامة شعائره، سبيل إلى تقوى القلوب، لقوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ (الحج/ ٣٢).

ومن وسائل الضبط الاجتماعي، وإقامة العدل، ومنع الفساد في

الأرض، إقامة حدود الله، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وبذلك إذا طبقنا الشريعة الإسلامية، فإننا نقي العمل الاجتماعي والإداري والاقتصادي والتنموي من شرور الفساد والتسيب والانحراف والرشوة والمحسوبية والإهمال والسرقة والاختلاس وما إلى ذلك من الآفات التي تلتهم ثمار العمل التنموي وتجهضه. **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾** (البقرة/ ١٧٩).

ومن القيم الإسلامية الجليلة قيمة العدل، والعدل من الأسس القوية التي تؤدي إلى نجاح مشاريع التنمية، وغيرها من مظاهر الحياة على الأرض **﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** (المائدة/ ٨). كذلك يربي الإسلام جمهور المسلمين على الامتناع عن تعاطي الربا لأن الربا فساد في الأرض، وهلاك للفقراء، وموت للأعمال التجارية الصغيرة، ومن ثم يغل يد المسلم الفقير عن الإسهام في الإنتاج الوطني **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** (آل عمران/ ١٣٠).

كذلك من السمات والخلال الحميدة التي يزرعها الإسلام في أبناء المسلمين حب العمل، والجهاد في سبيل الله، والصبر، والمثابرة، والكفاح والنضال في سبيل الحق، والعمل من أجل تفريج الكروب، وإبعاد النكبات، ورفع الغمة عن الأفراد والجماعات، والعمل على زيادة الرزق الحلال، وهو الغاية المنشودة من كل مشاريع التنمية الحديثة.

ومن ثمار التنمية الناجحة، تقوية المجتمع اقتصادياً، ومن ثم عسكرياً، ليكون قادراً على دفع الشر عنه. **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** (آل عمران/ ٢٠٠). **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾** (الطلاق/ ٢ - ٣).

ومؤدى ذلك أن الخروج من ضيق الدنيا ونكباتها، ومن الفقر وويلاته أو التخلف وتبعاته، ومن مفاتن الدنيا وشهواتها، وأطماعها وظلامها وغرورها ومتاعها، والخروج من ضيق الآخرة، والطريق إلى كل هذا وإلى البصر والبصيرة النيرة، هو تقوى الله، أي الخوف من عذابه وغضبه. والتقوى طريق اليسر والفرج **﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾** (الطلاق ٤). والتقوى سبيل التكفير عن الذنوب والخطايا **﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾** (الطرق ٥).

وتقوى الله تمنع الفرد من الانحراف، والضلال، والفساد، وتحميه من إغراءات الشيطان ووساوسه، ومن جموح الشهوات والهوى. والتقوى سبيل لزيادة معرفة الإنسان، وهي من أسباب إحلال البركة، ونزول الغيث، ومن ثم إنماء الحياة وظهور الزرع والثمار وزيادة الرخاء والازدهار. وتطوير الوجود ومعرفة كنوز الأرض، والاهتداء إلى ما في باطنها من ثروات[1] **﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه . . .﴾** (الجاثية/ ١٣). وقوله تعالى: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾** (الأعراف ٩٦). وقوله: **﴿سخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره﴾** (إبراهيم/ ٣٢). وقوله تعالى: **﴿وسخر لكم الأنهار﴾** (إبراهيم/ ٣٢). وقوله تعالى أيضاً: **﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾** (النحل/ ١٤).

تمتاز التنمية الإسلامية بالنظرة الشمولية المتكاملة، سواء كان هذا التكامل بين الإنسان والمجتمع، أو بين الحاكم والمحكوم، أو بين الإنسان والطبيعة، أو بين الإنسان ونفسه.

وبذلك تؤدي التعاليم الإسلامية السمحة إلى تكوين الشخصية

(١) المرجع السابق ص ١٠٧.

المتكاملة: روحياً وخلقياً واجتماعياً وجسمياً وعلمياً واقتصادياً... إلخ.

وليس هناك أدل من تكريم الإنسان في الإسلام من اعتبار الإنسان خليفة الله في الأرض[1]. ﴿**وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ (البقرة ٣٠).

فالله تعالى يفضل الإنسان على سائر مخلوقاته ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾ (الإسراء/ ٧٠).

وإذا كان الإنسان خليفة الله تعالى على الأرض، فإن «هذا الخليفة» لا بد وأن يكون مكرماً، وأن يكون قوياً، وعادلاً، ومنصفاً، ولا يمكن أن يكون ضعيفاً خواراً أو هزيلاً. فلا بد أن يكون الإنسان قوياً حتى يتمكن من القيام بتلك الرسالة التي أناطه الله بها، ألا وهي العبادة وآداء الفرائض والتكاليف، والدفاع عن شريعة الله وعمارة الكون. ولذلك يحرص الإسلام على تحقيق التوازن والوئام والانسجام في شخصية المسلم. وهو بذلك يختلف عن المذاهب الأخرى التي كانت تقمع الجسد وتكبت الدوافع مما يؤدي إلى الضعف والهزال وعجز الإنسان عن المقاومة كما هو الحال في الرهبنة.

ويختلف إسلامنا الحنيف عن المذاهب المادية أو الشيوعية التي عمدت إلى قمع الروح، وإعلاء شأن المادة، وتلك المذاهب التي تفرق أصحابها في المتعة الجسدية، وبذلك تصل بهم إلى مستوى الحيوانية.

أما الإسلام فيحقق التوازن والاعتدال والتوسط بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وبين النظرة للحياة الدنيا، والآخرة. ﴿**وابتغ فيما آتاك الله**

---

(١) د. عبد الرحمن عميرة، مرجعه السابق ص ٥٣.

الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص/ ٧٧). وإن كانت القيمة العليا للدار الآخرة، دار البقاء.

ولا يحرم الإسلام أبناءه من التمتع بالحلال الطيب من الرزق **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾** (البقرة/ ١٦٨). وقوله تعالى: **﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله﴾** (الأنفال/ ٦٩).

وفي هذا بيان لحرص الإسلام على بناء جسم الإنسان، عن طريق أكل الحلال، حتى لا يأكل حراماً فتؤنبه نفسه اللوامة، ويشعر بالذنب. ولا بد أن يكون حلالاً طيباً حتى لا يكون طعامه فاسداً أو متعفناً أو فجاً غير ناضج، أو ينقل للإنسان الأوبئة والأمراض والجراثيم ولا يحل للمسلم أن يأكل من الغنائم التي يخلفها الأعداء وراءهم من الأطعمة المحرمة كالخمور أو لحم الخنزير أو لحوم لم تذبح وفقاً للشريعة الإسلامية عملاً بقوله تعالى: **﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾** (الأنعام/ ١٢١).

ووفقاً للتصور الإسلامي، فإن الطعام وسيلة، وليس غاية في ذاته، فهو وسيلة لبناء جسم الإنسان وتنميته وتقويته وإمداده بالطاقة والحيوية، وليتمكن من تعمير الكون، والدفاع عن نفسه وعن وطنه وعن شريعته. وإباحة الطعام في الإسلام ليست مطلقة، فللإنسان أن يأكل من الحلال الطيب من الأطعمة، وعليه ألا يأكل أنواعاً أخرى، لأنها تصيب جسده وعقله وضميره ووجدانه بالضعف والاختلال والإسلام حريص كل الحرص على تمتع الإنسان بالصحة الجسمية والعقلية **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون، إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه، إن الله غفور رحيم﴾** (البقرة ١٧٢/ ١٧٣).

ومعروف الآن أن الميتة تعتبر مستودعاً للجراثيم والمكروبات والمواد

الضارة وكذلك الدم. ومعروف أيضاً أن لحم الخنزير يؤدي إلى تكوين دودة خطيرة في جسم الإنسان.

وللإسلام وسائل إيجابية نافعة في المحافظة على صحة الإنسان سواء في تحريم تناول بعض الأطعمة سواء توصل العلم الحديث إلى اكتشاف علة التحريم كلها أو لمْ يتوصل، فإن عقل الإنسان محدود وعلمه أيضاً محدود مصداقاً لقوله تعالى: **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾** (الإسراء/ ٨٥).

ويقدم الإسلام أروع صور «الوعي الصحي» أو «التوعية الصحية» ومن ذلك تحريم إتيان النساء في الحيض والنفاس **﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ﴾** (البقرة/ ٢٢٢). وذلك حتى لا يصاب الرجل بالضعف أو المرض أو الشعور بالتقزز. كذلك فإن المرأة في زمن الحيض تعاني من الاضطرابات النفسية والعصبية. فضلاً عن أن مباشرتها في زمن الحيض أو النفاس لا تأتي بفائدة من حيث إنجاب الأطفال. ومن دواعي حرص الإسلام على استمرار الحياة وعلى قيام الفرد بدوره الإيجابي الفعال في معارك التنمية والإنتاج والتطوير، أنه رفض الرهبنة فلا رهبانية في الإسلام **﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾** (الحديد/ ٢٧).

ويحد الإسلام من جموح الشهوات وإثارتها، حتى لا تؤدي هذه الإثارة، في حالة عدم الإشباع إلى العقد أو الاضطرابات النفسية، ولذلك يدعو الإسلام الفرد للعفة وصون الجسد **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾** (النور/ ٣٠).

ومن المظاهر الإسلامية للاهتمام بجسم الإنسان وشخصيته، الدعوة

إلى التزين والتطبيب لما لهذا من أثر طيب على النفس، وارتفاع الروح المعنوية للمسلم، وإظهار لنعمة الله علينا اهتداء بقوله تعالى: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** (الأعراف/ ٣٢). وقال أيضاً: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** (الأعراف/ ٣١).

ويقضي الإسلام بضرورة ستر عورة الجسد، وحمايته من حرارة الجو وبرودته، ويرفض العري **﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾** (النحل/ ٨١).

ويقضي المنهج الإسلامي في المحافظة على الجسم ونموه، بعدم إرهاقه أو إضعافه بالصوم الطويل، أو الجوع المستمر، ولذلك جعل فريضة الصوم أياماً معدودات فقط، ويشترط لأدائها أن يكون جسم المسلم سليماً، وأن يكون صاحبه مقيماً، وليس مسافراً **﴿فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** (البقرة/ ١٨٥).

وللصوم فوائد طبية جليلة، فهو يريح الجهاز الهضمي في الإنسان، ويخلص جسمه مما به من الدهون والشحوم والسموم والأملاح الزائدة، فضلاً عما فيه من حماية للإنسان من التخمة والسمنة، وهما من أمراض العصر، إذ المعروف أن السمنة الزائدة تؤدي إلى أمراض القلب والدورة الدموية وتصلب الشرايين وضيق الأوعية، وإرهاق القلب[١].

والحقيقة أن للصلاة، ولسائر العبادات، أثرها الطيب في تربية الجسم وتنميته «إذا كانت الصلاة صلة بين العبد وربه ورابطة تربط الأرض بالسماء ومعراج المؤمنين إلى ربهم، والمطية السريعة التي تنقلنا إلى رحاب الله تعالى: فإنها أيضاً عامل من عوامل تربية جسم المؤمن»[٢]. فالمسلم لا يؤدي

---

(١) المرجع السابق ص ٦٤.
(٢) المرجع السابق ص ٦٥.

الصلاة إلا وهو، طاهر من حيث الظاهر والباطن، فالمؤمنون مدعون أن يتطهروا من النجاسات والجنابات بالماء، وأن يتطهروا من الفحش والفواحش بذكر الله تعالى وبالتقوى. فالطهارة، بالمعنى الإسلامي، ليست مجرد إزالة الأوساخ، ولكنها طهارة القلب والجسد معاً، فهي تخلص الإنسان من الأوساخ المادية، ومن الشوائب المعنوية.

والوضوء يخلص الإنسان من الخطايا والذنوب، فإذا قام الفرد إلى الوضوء، وسكب على أعضائه قطرات الماء، ونطق لسانه بذكر الله حييت هذه الأعضاء من جديد، ونشطت واستيقظت، وعادت لها حيويتها بذكر الله تعالى[1].

والصلاة، فضلاً عن أنها عبادة روحية ومناجاة بين العبد وربه، فهي تمرين لأجزاء الجسم بالحركة والتريض، وهي عَامل لإذابة شحمه وورمه بالركوع والسجود والقيام والقعود، ومصفاة يومية لترسب أملاحه وترسباته[2].

وهي تدريب على التعود على النظام، ولذلك كانت الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ (النساء/ ١٠٣). وفيها يدفع الجسم عن نفسه شبح الكسل والتراخي والخمول والتحجر والجمود. ولا يعني بأي حال من الأحوال قولنا إن للصلاة قيمة رياضية وفائدة جسدية إن الأنشطة الأخرى تكفي لتحل محلها كالجندية أو الرياضة، لأن الصلاة لها قيمة روحية، لا يمكن أن يستعاض عنها بأي نشاط آخر، اهتداء بقوله تعالى: ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ (الحج/ ٣٢).

---

(١) المرجع السابق ص ٦٩.

(٢) المرجع السابق ص ٧٠.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بجسم المؤمن وتنميته وتقويته، دعوته إلى تربية الخيل، ورباطها في سبيل الله، وما يتبع ذلك من امتطاء صهواتها، والتدريب على ركوبها وتعلم الفروسية وفنونها وآدابها. وفي ذلك رياضة جسمية وصقل للعضلات وتقوية لبناء الجسم، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾** (الأنفال/ ٦٠). ومن جمال التعبير القرآني أن تأتي كلمة «قوة» على إطلاقها، لتعني القوة المادية والجسدية والعقلية والخلقية والروحية والإيمانية والعسكرية والاقتصادية والنفسية والعلمية وما إلى ذلك...

ومن وسائل محافظة القرآن الكريم على صحة الجسم وسلامته، أن صاحبه لا يعمل إلا في حدود الطاقة، وله أن يأخذ حظه من الراحة **﴿وجعلنا الليل لباساً. وجعلنا النهار معاشاً﴾** (النبأ/١٠ - ١١).

فالإنسان لا يسرف في استخدام جسده حتى لا يعتريه الضعف والوهن والهزال كما لا يسرف في الركون إلى الراحة، حتى لا يعتريه الكسل[1] والخمول.

يحرص المسلم، كل الحرص على أن يكون صحيح الجسم، قوي البنية. ولهذا، فهو يعتدل في طعامه وشرابه، لا يقبل على الطعام إقبال الشره النهم، وإنما يصيب منه ما يقيم به صلبه، ويحفظ عليه صحته وقوته ونشاطه، مستهدياً بقول الله تعالى في محكم كتابه **﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين﴾** (الأعراف ٣١).

وعلى ذلك فعلى المسلم أن يحافظ على قواه الجسمية، وأن يتحاشى العادات السيئة المجهدة والمنهكة، كالسهر، والانهماك الزائد في العمل، وعليه أن يمارس الرياضة، وأن يستفيد من أساليب الوقاية والعلاج التي

(١) المرجع السابق ص ٧٣.

يوفرها له المجتمع، ومن ذلك استخدام السواك لنظافة فمه وأسنانه. وهو مدعو للاستمتاع بنعم الله في الدنيا، على شرط أن يتوخى التوسط والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ (الفرقان/ ٦٧).

الفصل العاشر

التنمية الجسمية في الإطار الإسلامي

ركوب الخيل :

ومن مظاهر تنمية المسلم تربيته على ركوب الخيل والفروسية ، والتدريب على السباق ، وتعوده على تربية الخيل ، فعن رسول الله ﷺ «أنه سابق بالخيل التي قد أضمرت[1] من الحفياء[2] وكان أمدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق وكان ابن عمر فيمن سابق بها» مسلم جـ ١٢ ص ١٤ .

وهنا جواز مسابقة الخيل وتضميرها وتربيتها لأغراض الفروسية لتدريب الخيل ورياضتها وتمرنها وغرسها على الجري وإعدادها للانتفاع بها عند القتال وغيره . لتربية الخيول قيمة اقتصادية كبيرة حتى الآن . وتحظى

---

(١) - أن يقلل علفها مدة وتعرق ويجف عرقها وتجف لحمها وتقوى على الجري .

(٢) - مكان عند المدينة وتبعد عن الحفياء بنحو ٦ أميال .

المملكة العربية السعودية وغيرها من البلاد العربية بنصيب وافر من هذه الثروة في تربية الخيول العربية الأصيلة وما زالت تعنى بها وبسباقها.

واهتم الإسلام بالخيل، وبتدريب المسلم على الفروسية لأنه رأى أن فيها الخير كما في قول النبي ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها[1] الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة» مسلم جـ١٣ ص ١٦. وفي ركوب الخيل تقوية لبدن الإنسان وعضلاته وكل جسمه وتنمية لشعوره بالشجاعة والبسالة.

كما أن لجسم الإنسان عليه حقاً لقول الرسول الكريم لعبدالله بن عمرو بن العاص: «يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: فلا تفعل. صم وافطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً» البخاري جـ٣ ص ٢٦١.

وفي ذلك أبلغ تعبير عن التكامل المطلوب في الشخصية الإسلامية من قوة الجسم، والعقل، والإيمان، وسلامة النفس، وقوة الضمير، وإعطاء كل شيء حقه.

ويؤدي تحريم شرب الخمر وبيعها إلى المحافظة على صحة المسلمين، إذ المعروف علمياً أن إدمان الخمر يؤدي إلى تدهور الصحة وإلى إتلاف الكبد، وإلى نوع من الجنون يطلق عليه اصطلاح «ذهان الكحول» فلقد قال الرسول ﷺ وهو في مكة: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» مسلم جـ ١١ ص ٦.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الفرد استحباب التداوي والإيمان بأن لكل داء دواء، عملاً بقول النبي ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء

(١) ـ الشعر المسترسل على جبهة الخيل.

الداء برىء بإذن الله» مسلم جـ ١٤ ص ١٩١ .

وفي الدعوة لعيادة المريض ومؤاساته ورفع معنوياته يقول النبي ﷺ : «عائد المريض في مخرفة الجنة» مسلم جـ ١٦ ص ١٢٤ . وقوله عن ربه عز وجل : «مرضت فلم تعدني؟ قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده» مسلم جـ ١٦ ص ١٢٥ .

وفي علاج الحمى يقول النبي ﷺ : «الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء» متفق عليه[1] .

والمسلم يعيش حياته ما دامت له عمر وأجل ، على شرط أن تكون حياة صالحة ، فقد نهانا رسولنا ﷺ عن تمني الموت ، لنزول الضرر بنا كما في قوله ﷺ : «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنياً فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» مسلم جـ ١٧ ص ٧ . فإذا كان على المسلم أن يحيا ما دامت الحياة خيراً له ، فعليه أن ينمي نفسه ليحيا قوياً وليعز به الإسلام . وعلى المسلم أن يدعو الله أن يأتيه الخير والحسنات في حياته الدنيوية والأخروية ، وأن يحميه من عذاب النار ، فعن الرسول ﷺ أن أكثر ما كان يدعو به قوله : «اللهم آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» جـ ١٧ ص ١٦ .

ويتربى المسلم على اللياقة الاجتماعية ، وعلى حب الحيوية والنشاط ، فقد نهانا رسول الله ﷺ عن التثاؤب والكسل ، كما في قول رسولنا الكريم : «التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع» مسلم جـ ١٨ ص ١٢٢ .

---

(١) - الإمام النووي ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ ٤ ص ٦٩٦ .

والإسلام حريص كل الحرص على المحافظة على صحة المسلمين، ومظهرهم، وعلى حمايتهم من أمراض الفم والأسنان «لولا أن أشق على المؤمنين وفي حديث زهير على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» مسلم جـ ٣ ص ١٤٣. ومن ذلك الاستنجاء بالماء والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الابط، كما في قول رسولنا الكريم ﷺ: «الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والاستحداد وتقليم الأظافر ونتف الابط وقص الشارب» مسلم جـ ٣ ص ١٤٦.

ومن آداب الشراب الإسلامية نهى رسول الله ﷺ أن يتنفس المرء في الإناء «نهى أن يتنفس في الإناء، أو يمس ذكره بيمينه، وأن يستطيب بيمينه» مسلم جـ ٣ ص ١٦٠.

ومن آداب الطريق تلك الآداب التي تحول دون انتشار العدوى أو التلوث كراهية التبرز في الطريق[1]. ومن ذلك أيضاً أن الرسول ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد وكما في قوله ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه» مسلم جـ ٣ ص ١٨٧. ومن ذلك أيضاً، النهي عن الاغتسال في الماء الراكد «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب. قيل: كيف يفعل يا أبا هريرة؟ قال: يتناوله تناولاً» مسلم جـ ٣ ص ١٨٩. وكذلك وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد[2] حتى لا تصيب العدوى جمهور المسلمين.

وللمحافظة على صحة المسلم ولعدم شعوره بالتقزز من جريان دم الحيض في المرأة فقد حرم الإسلام أن يباشر الرجل زوجته بالجماع في

---

(١) - صحيح مسلم، بشرح النووي، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ جـ ٣ ص ١٦٢. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٢) - المرجع السابق ص ١٩٠

الفرج[1] في أثناء حيضها أو نفاسها.

ومن الآداب الإسلامية تحريم النظر إلى العورات، وذلك حفاظاً على كرامة الإنسان، وعدم خدش حيائه، ولعدم إثارة الشهوات وما قد تؤدي إليه هذه الإثارة من انتشار الفواحش اهتداءً بقول رسولنا ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد» مسلم جـ ٤ ص ٣٠. وفي التراث السيكولوجي الحديث انحراف يعرف باسم «الاستعراض» وفيه يعرض المريض عورته على الناس.

ومن آداب المسلم في الطعام وجوب المضمضة بعد الطعام والشكر لله بعد الأكل ومن هذا القبيل أيضاً تحريم لحم الخنزير، لما له من أضرار على صحة الإنسان، نظراً لقذارته وقذارة ما يتغذى عليه من النفايات، ولما يقال أنه يسبب دودة في جسم الإنسان.

ولقد حرم الإسلام الخمر والميسر للمحافظة على صحة المسلم الجسمية والعقلية، ولتمكين المسلم من آداء أدواره الاجتماعية، ومن بينها الإنتاج والعمل، ذلك لأن الخمر يؤدي إلى تدهور الصحة الجسمية، واضطراب الصحة العقلية، وإلى هدم علاقات الفرد الاجتماعية، وعجزه عن العمل والإنتاج[2] يقول تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** (المائدة/ ٩٠). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى ليلة أسرى به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما ثم أخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله

---

(١) - المرجع السابق ص ٢٠٤.

(٢) - د. عبد الرحمن العيسوي، علم النفس في الحياة المعاصرة، دار المعارف، بالاسكندريه مصر.

الذي هداك للفطرة، ولو أخذت الخمر تموت أمتك» البخاري جـ ٣ ص ٣٢٠. ومعروف علمياً الآن، أن اللبن يعد غذاء كاملاً لما يحتويه من العناصر الغذائية والفيتامينات والأملاح. ومعروف أيضاً أن إدمان الخمور يؤدي إلى تليف الكبد وفقدان الشهية، وذهاب العقل، فضلاً عن الإفلاس المادي وفقدان مكانة الفرد الاجتماعية، وفقدان وظيفته، وابتعاد الناس عنه وانهيار أسرته. ويقال من أشراط الساعة ظهور الجهل، وقلة العلم، وانتشار الزنا، وشرب الخمر، وقلة الرجال، وزيادة عدد النساء[1].

ولا يمكن أن يشرب الخمر المؤمن حالة كونه مؤمناً مصداقاً لحديث نبينا الكريم: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن». البخاري جـ ٣ ص ٣٢١. بل يمتد تحريم الإسلام لكل شراب يسكر، أو يذهب بعقل الإنسان ووعيه وكرامته الإنسانية، ولأنه ينحط به إلى مدارج الحيوان، لقول رسولنا الكريم: «كل شراب أسكر فهو حرام» البخاري جـ ٣ ص ٣٢١. ولقد حرم الإسلام الخمر بكافة أنواعها الخمسة: وهي مصنوعة من العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل، واعتبر الخمر هو ما خامر العقل[2].

وفي شرب اللبن يقول تعالى: ﴿**من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين**﴾ (النحل/ ٦٦).

ومن آداب المائدة الإسلامية أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو في الشراب[3]. وعلى المسلم أن يتنفس في أثناء الشرب ثلاثاً لأنه أروى وأبرأ وأمرأ أي أكثر رياً، أي أبرأ من ألم العطش، أو أسلم من مرض أو أذى.

(١) - صحيح البخاري جـ ٣ ص ٣٢٠.
(٢) - صحيح البخاري جـ ٣ ص ٣٢٢.
(٣) - مسلم جـ ١٣ ص ١٩٨.

ومن آداب الغذاء في الإسلام أكل القثاء[1] بالرطب: فلا خلاف على جواز أكل طعامين معاً في الإسلام ما لم يصل الأمر إلى حد الترف الزائد والإسراف الممقوت.

ولحماية الناس من الجوع كان الإسلام يدعو لادخار التمر في البيت حتى لا يجوع أهل البيت اهتداء بقول نبينا ﷺ: «لا يجوع أهل بيت عندهم تمر» مسلم جـ ١٣ ص ٢٣٠ وقوله ﷺ: «يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله أوجاع أهله قالها ثلاثاً» مسلم جـ ١٣ ص ٢٣٠.

القناعة والزهد والتعفف من القيم الإسلامية الأصيلة لأنها تحد من الإسراف ومن الشعور بالجشع والطمع والأنانية، وفي هذا المقام يقول نبينا ﷺ: «طعام الواحد يكفي لاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية» مسلم جـ ١٤ ص ٢٢. وذلك للمشاركة في طعام الجماعة والمؤاساة فيه، وأنه يكفي وإن كان قليلاً، حيث تحل فيه البركة. وهذا مبدأ تتجلى فيه روح المشاركة الوجدانية والشعور المشترك بين الناس.

فالمؤمن قنوع عفيف مصداقاً لحديث نبينا ﷺ: «الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحد» مسلم جـ ١٤ ص ٢٣. فقد جاء أن النبي ﷺ: «ضاف كافراً فشرب حلاب سبع شاة ثم أسلم من الغد فشرب حلاب شاة ولم يستتم حلاب الثانية»[2].

ولا شك أن امتلاء البطن وكثرة الطعام من العادات السيئة التي تؤدي إلى السمنة وهي من أخطر أمراض هذا العصر. ولذلك نهانا رسولنا الكريم عن كثرة الطعام، كما في قوله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب

(١) ـ القثاء أي الخيار والرطب أي التمر.
(٢) ـ مسلم جـ ١٤ ص ٢٤.

ابن آدم أكلات يقمن بها صلبه، فإذا كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1] رواه الترمذي. وفي هذا أبلغ تعبير عن القناعة والزهد والرغبة فقط في سد الرمق، والابتعاد عن الإسراف وتبديد المال والصحة معاً. ولا يخفى ما لهذه العادات الطيبة من أثر في ازدهار التنمية وترشيد الاستهلاك.

ومن مظاهر الوعي الصحي في الإسلام أن رسولنا الكريم كان يحب الحلواء والعسل، كما كان يحب الدباء[2] وكان يأكل الرطب بالقثاء، وكذلك التمر.

ومما يخفف وطأة المرض على المسلم أن الإسلام يعتبر المرض نوعاً من الكفارة لقول رسولنا الكريم: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» البخاري جـ ٤ ص ٢. وكل ما يصيب المسلم من أذى فهو كفارة لقوله ﷺ: «وما يصيب المسلم من نصب أو وصب ولا هم أو حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» البخاري جـ ٤ ص ٢.

ومن وسائل المحافظة على صحة المسلم فرض الوضوء قبل الصلاة لقوله تعالى: ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ (المائدة/ ٦). فلا تقبل الصلاة بغير طهور «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ» البخاري جـ ١ ص ٣٨.

وفي بيان فضل الوضوء يقول الحديث النبوي الشريف: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» البخاري جـ ١ ص ٣٨.

---

(١) - الإمام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ ٣ ص ٤٨٤.
(٢) - الدباء أي القرع.

وللصـلاة آثـار طيبـة علـى نفسية المسلـم ، وعلـى شعـوره بالإيمـان والتقوى ، وعلى إحساسه بالرضا والسعادة ، وعلى حالته الجسمية والصحية .

يقول ابن عباس : «حدثني أبـو سفيان في حديث هرقـل كان الرسـول عليه الصلاة والسلام يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف» البخاري جـ ١ ص ٧٣ .

الفصل الحادي عشر

التنمية العقلية والفكرية

يرسم الإسلام للمسلمين منهجاً واضحاً جلياً، ويحدد أركانه، ويدعو أصحابه للإيمان به قولاً وفعلاً وفكراً وسلوكاً «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» رواه البخاري جـ ١ ص ١١.

يقول تعالى: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا أولئك هم المتقون. قد أفلح المؤمنون﴾**. (البقرة/ ١٧٧).

تلك خلق القرآن الكريم الذي يحث على الوفاء بالعهود والعقود وعلى الصدق وعلى الصبر وعلى السلوك الحميد. هذه الأخلاق الحميدة هي التي تصلح معها تلك الجهود الخيرة التي تستهدف النماء والتكافل الاجتماعي

والتضامن والإخاء بين أبناء المجتمع المسلم المنشود.

والعمل التنموي الصادق سعي موصول من أجل تحقيق الخير العام، والبعد عن الأذى أو الشر والانتقام، وتبديد الطاقة في الإساءة إلى الناس، ولذلك فما أحرانا أن نستمسك بقول نبينا الكريم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» البخاري جـ ١ ص ١١. وبذلك تكرس الجهود نحو عمل الخير والإصلاح والتطوير والتقدم.

ويحمي الإسلام أصحابه من الردة والتذبذب في الرأي، فعن رسولنا ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» مسلم جـ ١٢ ص ١٦. حماية لعقيدة المسلم من البدع الفاسدة واستمراراً لاستقامة العقيدة ووحدة الفكر.

وفي تنمية العلاقات الاجتماعية الإنسانية، يقول نبينا الكريم في إجابته على سؤال رجل: أي الإسلام خير؟ قال ﷺ: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» البخاري جـ ١ ص ١١. وليس هناك أبلغ من قول رسولنا الكريم في الحث على الإخاء والمودة والمحبة والإيثار والتضحية من أجل إسعاد الغير من هذا الحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» البخاري جـ ١ ص ١٢. فالإسلام يربط إيمان الإنسان بحبه لأخيه، وتمنى الخير والنفع والصلاح والعزة والإخاء.. له كما يتمنى لنفسه تماماً. وتلك قمة الشعور بالإيثار. ذلك الإيثار الذي يعد قيمة خلقية من أعظم القيم التي يؤسس عليها العمل التنموي.

وفوق ما للإيمان من أثر طيب في سلوك الفرد والجماعة، فإن له حلاوة لا يقدرها ولا يعظمها أية حلاوة أخرى. ومن هنا كان الإيمان من أقوى العناصر التي تجعل المؤمن يتمتع بالصحة العقلية والنفسية وراحة البال

واستقرار الضمير والشعور بالرضا والقناعة والزهد. وإذا ما تحرر الإنسان، وخاصة في هذا العصر، من كابوس الأمراض والأزمات النفسية والاضطرابات الذهانية، فإنه يصبح قادراً على الانطلاق، بكل طاقاته، نحو الخير والعمل والعطاء والإنتاج والبناء والتشيد.

والمعروف أن الهم والغم والحزن والنكد وغيرها من الانفعالات السلبية تعوق حركة الإنسان، وتغل يده عن العمل والإنتاج، وتبدد طاقته، ولذلك علينا أن نتأسى في الخلاص منها بدعاء رسولنا الكريم: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال» البخاري جـ ٣ ص ٢٩٧.

وفي فضل رمضان يقول نبينا ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين» مسلم جـ ٧ ص ١٨٧.

ومن قبيل المحافظة على صحة المسلم وعدم إرهاقه، وكذلك عدم إفساد صيامه تحريم الجماع نهاراً في شهر رمضان[١].

والصيام مدرسة إنسانية تربي أبناء المسلمين، فالصيام جنة أي سترة ومانع عن الرفث والآثام ومانع أيضاً من النار[٢]. وفي فضل الصيام يقول الحديث النبوي الشريف: «من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً» مسلم جـ ٨ ص ٣٣.

ومن الأمور التي ترفع من معنويات المريض وتزيل عنه الشرور الرقي، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل قال باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد

---

(١) - مسلم جـ ٧ ص ٢٢٤.

(٢) - مسلم جـ ٨ ص ٢٠.

إذا حسد وشر كل ذي عين» مسلم جـ ١٤ ص ١٦٩ . وعن الرسول ﷺ قوله : «العين حق» مسلم جـ ١٤ ص ١٧٠ . فالرقي بآيات القرآن وبالإذكار سنة . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يرقي الناس ويمسح بيده الكريمة عليهم كما جاء في الحديث النبوي الشريف عن عائشة رضي الله عنها : «إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال : اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً ، فلما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال : اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى قالت : فذهبت انظر فإذا هو قد مضى»[1] مسلم جـ ١٤ ص ١٨٠ .

ومن الأمور التي تحفظ على الإنسان إيمانه ، وتمتعه بالصحة النفسية والعقلية الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وذكر الله العظيم اهتداء بحديث نبينا ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» مسلم جـ ١٧ ص ٢١ . ويحفل هذا الحديث النبوي الشريف بالمبادىء الإسلامية والإنسانية الأصيلة في التكافل الاجتماعي ، والإخاء ، والتعاون ، والتماس العلم وطلبه ، والاجتماع على تدارس القرآن الكريم وقراءته وتدبر معانيه السامية وغير ذلك مما يرسخ قيم الإيمان في نفس المسلم ، وينمي خصاله ، الحميدة .

---

(١) ـ عن عائشة رضي الله عنها .

والمسلم الفقير يشعر بالرضا لأن جزاءه الجنة كما في قول رسولنا ﷺ : «قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء» مسلم جـ ١٧ ص ٥٣ . فالفقير لا يسخط ولا يتبرم ولا يتمرد بل يرضى .

وشتان بين هذا النظام الإسلامي الذي يقوم على أساس إشعار الفقير بالرضا والقناعة والسعادة وانتظار الجزاء الأكبر في الآخرة وبين نظام كالنظام الشيوعي الذي يحرض طبقة العمال على أصحاب الأعمال ويثير فيهم الشعور بالكراهية ويدفعهم للثورة للاستيلاء على الحكم عنوة واغتصاباً .

الفصل الثاني عشر

التنمية العلمية

يدعو الإسلام أبناءه إلى اكتساب العلم والمعرفة والتفقه في الدين، وأولى سبل العلم هي القراءة **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾** (العلق ١ - ٥).

والدين الإسلامي يدعو إلى التفكير، فهو لا يعرف الكهانة، ولا الوساطة بين الخالق والمخلوق، ولذلك الخطاب في الإسلام يتجه إلى العقل. وإذا ذكر العقل في الإسلام فإنما يذكر في مقام التعظيم، والدعوة إلى وجوب العمل به. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث المؤمن على التفكير وتحكيم عقله كقوله تعالى: **﴿إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾** (الجاثية/ ٣ - ٥).

فالإسلام يشجع أبناءه على التفكير في مخلوقات الله، وفي معجزاته العظيمة، لكي يزداد إيمان المسلم رسوخاً، ولكي يستند اعتقاده في الله تعالى ورسوله الكريم على أسس من العقل، إلى جانب الإيمان القلبي. فالإسلام لا يخاف من العقل وأعماله، كما كانت تخاف الأديان السابقة منه، بل إن القرآن يلوم الناس على عدم استخدام العقل ﴿ **إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذي لا يعقلون** ﴾ (الأنفال/ ٢٢). فللعقل دوره في الإسلام في الإيمان، وفي منهج الحياة ونظامها. ومهمة الرسول ﷺ، أن يبلغ، وأن يوضح، وأن ينبه العقل إلى تدبر دلائل الهدى[١].

فرسالة الإسلام توقظ العقل، وتوجهه، وتخاطبه، وتوضح له طريق النظر الصائب، ولكن ذلك لا يعني أن العقل هو الحكم على صحة العقيدة أو بطلانها، ذلك لأنه قد أدرك أن قدرات العقل محدودة، ولكنه ملزم بقبول العقيدة ما دامت قد نقلت إليه عن طريقها الصحيح. إن حرية العقل في الإسلام مكفولة، فله أن يعارض في المفهومات البشرية، وأن يقرع الحجة بالحجة، وأن يتأمل في الأدلة والبراهين والشواهد، وأن يجتهد ويؤول الأحداث البشرية والطبيعية.

يهتم القرآن الكريم، الذي هو دستور المسلمين الخالد، بتربية العقل الإنساني، وتنمية قدراته. ومصدر اهتمام الإسلام بعقل الإنسان أنه مناط التكاليف، وعليه فهم الشريعة وتطبيقها، وإذا اختل العقل وفقد قواه فقد سقطت التكاليف عن صاحبه. بل إن الإسلام قد حرص على أن يطهر العقل من رواسب الماضي من المعتقدات والتصورات التي لم تقم على يقين، وإنما قامت على مجرد الظن والتقليد.

---

(١) - د. عبد الرحمن عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال، عكاظ، ١٤٠١هـ ص ٢٢. جدة - السعودية.

فالإسلام يحرر المسلم من الظن، ومن الانصياع لمجرد التقاليد القديمة، ومن أهواء النفس، كما في قوله تعالى: ﴿ **قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** ﴾ (البقرة/ ١٧٠). وقوله تعالى: ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس** ﴾ (النجم/ ٢٣). ولذلك يصوب القرآن الكريم مفهومات الناس حول الألوهية، والكون، والخلق، والحياة، فيؤكد وحدة الألوهية ﴿ **إنما الله إله واحد** ﴾ (النساء/ ٧٦). وكما في قوله تعالى: ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ (الأنبياء/ ٢٢).

وإذا كانت أساليب التربية الحديثة تعمد إلى استخدام الحوار أو الطريقة الحوارية في شرح الدروس وإقناع الطلاب، فلقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في استخدام هذا المنهج في تربية العقل وتنميته، يقول تعالى: ﴿ **قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين. قال: هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرون؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون.** ﴾ قال: ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون..؟ أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾ (الشعراء ٧١ - ٧٧).

وإلى جانب دعوة الإسلام للفرد للتدبر في صنع الله ومخلوقاته في العالم الخارجي، فإنه يدعوه للتأمل في نفسه، ليتعرف عليها، ويدرك أسرارها، وخصائصها، ليزداد إيماناً بخالقه العظيم ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ (الذاريات/ ٢١). وقوله تعالى: ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ (فصلت/ ٥٣).

والمعرفة بالنفس تتضمن معرفة دوافع الإنسان وحاجاته ووظائف أعضائه والتعرف على جسمه، وخلاياه، كما يتعرف على وظائف الإنسان في التذكر والتعلم والتفكير والإدراك والتخيل والتصور والابتكار والتخطيط وما

إلى ذلك . ﴿ فلينظر الإنسان مما خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . أنه لعلى رجعه لقادر . . ﴾ (الطارق/ ٥ ـ ٨) .

وحين يتأمل الإنسان في نفسه يقف مشدوهاً أمام هذا الخلق العظيم فيزداد إيماناً . ولا شك أن دعوة الإنسان لأعمال فكره إنما هي في النهاية تدريب لعقله ، وتنمية لقواه ، وصقل لقدراته . ولذلك إذا أتبعنا تعاليم إسلامنا الحنيف لأمكننا تكوين العقل النامي المتطور ، والمستنير والقادر على الفهم والاستيعاب والتأمل والتدبر والتخطيط والمتابعة ، وتلك من العمليات التي نحتاج إليها في معاركنا التنموية .

ويجعل الإسلام العلم سبيلاً لخشوع القلوب وخشيتها من الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر/ ٢٨) .

ويدعو الإسلام للتدبر في الكون ، وتؤدي التساؤلات التي ترد في القرآن الكريم إلى إثارة دهشة العقل ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ﴾ (النبأ/ ٦ : ٧)[١] لكي تثيره نحو التفكير والتأمل .

ومن دواعي الفخر والاعتزاز ، أن القرآن الكريم يعرض بعض القضايا على شكل مشكلات تثير ذكاء الإنسان وتفكيره ، وبذلك يكون الإسلام قد سبق واحدة من أشهر الطرق الحديثة في التربية ، والتي تعتمد على تدريس المواد العلمية على شكل «مشكلات» يفكر فيها الطلاب بأنفسهم . فنسأل الطلاب كيف نشأت الأنهار؟ وكيف تكونت المحيطات؟ وكيف يحدث المطر؟ وما هي فائدة الماء؟ وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت؟ ﴾ (الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠) .

---

(١) ـ المرجع السابق ص ٤٠ .

ويدعو القرآن الكريم المسلمين للتأمل في نواميس الطبيعة، ومظاهر الحياة، ويدعوهم للإصلاح والتغيير إلى الأفضل، ويجعل أساس هذا التغيير تغيير النفوس وما تنطوي عليه من مشاعر ورغبات وميول ودوافع وهواجس وأطماع ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ (الرعد/ ١١).

ومن المبادىء الإسلامية الدعوة للعلم وتكريم العلماء. فالإسلام دين يقوم على أساس العلم والإيمان معاً. ومن أعظم أدلة شرف العلم قوله تعالى: ﴿**قل رب زدني علماً**﴾ (طه/ ١١٤). فلم يؤمر الرسول ﷺ بأن يطلب زيادة في المال أو الجاه أو السلطان، وإنما طلب الاستزادة من العلم مما يدل على أنه ليس هناك أكثر قدراً ولا شرفاً من طلب العلم. والمسلم مدعو لطلب العلم ونشره، ولكن ليس أي نوع من العلم، ولكن العلم النافع، وعليه أن يستخدمه في الخير والنفع العام كما في قول الرسول ﷺ: «اللهم انفعني بما علمتني. وعلمني ما ينفعني وزدني علماً، والحمد لله على كل حال» ابن ماجة[١].

وفي تكريم العلماء يقول القرآن الكريم: ﴿**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ الزمر/ ٩ كما يقول تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ (المجادلة/ ١١). ويقول كذلك: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ (فاطر/ ٢٨).

وفي الهدي النبوي الشريف: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[٢] متفق عليه. وقول الرسول ﷺ: «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[٣] متفق عليه.

(١) - الإمام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ ٤ ص ١٧٧.
(٢) - المرجع السابق ص ١٧٧.
(٣) - المرجع السابق ص ١٧٨.

ونشر العلم وهداية الناس من أخص رسالة المسلم الحق، لقول رسولنا الكريم لسيدنا علي رضي الله عنه: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» متفق[1] عليه. وطلب العلم سبيل إلى الجنة كما في قول رسولنا الكريم: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[2] مسلم. وقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» مسلم[3].

وعن رسولنا الكريم قوله: «الدنيا ملعونة ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه، وعالماً ومتعلماً» الترمذي[4]. وقوله ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» الترمذي[5]. والمؤمن تواق إلى الخير على طول المدى، كما في قول نبينا ﷺ: «من يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة» الترمذي[6] وقوله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» الترمذي[7].

فالإسلام يكرم العلم والعلماء، ويدعو لنشره بين الناس، والعلماء هم ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا مالاً ولا جاهاً وإنما ورثوا العلم، ولذلك فإن كتمان العلم وعدم نشره أمر منهي عنه كما في الحديث النبوي

---

(١) - المرجع السابق ص ١٨١.
(٢) - المرجع السابق ص ١٨٢.
(٣) - المرجع السابق ص ١٨٤.
(٤) - المرجع السابق ص ١٨٤.
(٥) - المرجع السابق ص ١٨٥.
(٦) - المرجع السابق ص ١٨٥.
(٧) - المرجع السابق ص ١٨٦.

الشريف: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» الترمذي[1].

وإذا كانت دعاوي التنمية في شتى بلدان العالم تقوم على أساس العلم والمنهج العلمي، فقد دعا إسلامنا الحنيف لاكتساب العلم والانتفاع به ونشره قبل أن تعرف كل مدارس التنمية ومذاهبها الحديثة.

العلم، ولا شك، ركيزة قوية من ركائز التنمية، فلا تنمية في ظل الأساليب البدائية أو العفوية أو الارتجالية. وإسلامنا الحنيف، ولله الحمد والشكر، يدعونا لاكتساب العلم والمعرفة والخبرة، ويدعونا للتفقه في الدين، ويكرم العلم والعلماء، ويدعو لاستعمال العقل والتفكير والمنطق والاستدلال والتأمل والتدبر والتبصر والإدراك والفهم والوعي والتعقل والتصور وما إلى ذلك من العمليات العقلية التي يعتمد عليها العلم الحديث والتخطيط الدقيق.

ففي فضل العلم يقول القرآن الكريم: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ (المجادلة/ ١١). وقوله تعالى على لسان نبيه الكريم: ﴿ قل ربي زدني علماً﴾ (طه/ ١١٤). وينبغي أن يكون العلم قبل القول وقبل العمل لقوله تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله. . ﴾ (محمد/ ١٩). فبدأ بالعلم[2] وذلك حتى لا يقع المرء في الخطأ. «والعلماء هم ورثة الأنبياء، ورّثوا العلم من آخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[3] والعلم طريق لخشية الله تعالى والإيمان بمعجزات الخلق ﴿ إنما يخشى الله من عباده

(١) - المرجع السابق ص ١٩٠.
(٢) - البخاري جـ ١ ص ٢٣.
(٣) - جـ ١ ص ٢٤.

العلماء﴾ (فاطر/ ٢٨). ولقوله تعالى: **﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾** (العنكبوت/ ٤٣) **﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾** (الملك/ ١٠) وقوله: **﴿وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** (الزمر/ ٩). وقول رسولنا الكريم: «**من يرد الله به خيراً يفهمه وإنما العلم بالتعلم**». وقوله أيضاً: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى أمر الله**» البخاري جـ ١ ص ٢٤.

والعلم سبيل للشعور بالسعادة والاغتباط والعزة والثقة بالنفس ويقول رسولنا الكريم ﷺ: «لا حسد إلا . . . الحديث»[1].

فالإسلام لا يدعو المسلمين لاكتساب العلم وحسب، وإنما يأمرهم بنشره بين الناس، ولتعليم أبناء الأمة الإسلامية. فللعلم والتعليم فضل كبير في الإسلام لقوله ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله وتفقه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**» البخاري جـ ١ ص ٢٦.

بل إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويزداد الجهل. فالعلم سبيل تنوير أذهان الناس، وسبيل رقي المجتمع وتقدمه، والجهل من علامات التأخر والتخلف والجمود والضعف.

---

(١) - سبق ورود هذا الحديث الشريف في هذا البحث.

ويختلف العلم الذي يدعو إليه الإسلام عن العلم في مفهوم المجتمعات الغربية، فالعلم الإسلامي هو العلم النافع للناس جميعاً والمسخر لخدمة الإنسانية وتقدمها، ورقي الحضارة، وليس ذلك العلم الذي يستخدم في الخراب، وتدمير مظاهر الحياة وفي التسلط على مصائر الأمم وفي قتل الأبرياء وسفك الدماء.

والمسلم مدعو لطلب العلم ونقله والتثبت من صحته عند النقل مما يطلق عليه اليوم اصطلاح «الأمانة العلمية» وذلك لقول نبينا ﷺ: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار» مسلم جـ ١٨ ص ١٢٩.

ويدعو الإسلام إلى توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم وتبجيلهم وتعظيمهم كما في قوله تعالى: **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾** (الزمر/ ٩). وكما في قول رسولنا الكريم: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم السنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يعقد في بيته على تكرمته إلا بإذنه»[1] رواه مسلم.

ويربي الإسلام أبناءه على حب النظام والدقة فعن رسول الله ﷺ: «أنه كان يؤمر الناس في الصلاة أن يستووا ولا يختلفوا فتختلف قلوبهم»[2].

ومعروف الآن، في ضوء الدراسات النفسية الحديثة، ما لأقران السوء من تأثير سيء على الناس، ولقد سبق رسولنا الكريم في الدعوة إلى اختيار

---

(١) - الإمام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ ٢ ص ٢٠٦.
(٢) - المرجع السابق ص ٢٠٨.

الصديق الصالح كما في قوله ﷺ : «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[1] رواه الترمذي.

ومعروف أيضاً أن الإنسان ينزع إلى تقليد من يخالطهم ويعاشرهم، ولذلك كان من الضروري بمكان توفير القرين الصالح والقدوة الحسنة أمام شبابنا المسلم.

والإسلام دين العلم والعقل والمنطق السديد، ولذلك ينهي أصحابه عن إتيان الكهان، لأنهم كاذبون يتحدثون عن المغيبات، كما يحذر الإسلام من المنجمين، وكذلك العرافين ومن السحر والدجل والشعوذة والاحتيال لقول رسولنا الكريم : «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً» مسلم[2].

وللمحافظة على الصحة لا يحق للمسلم أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، فعليه أن يبتعد عن ذوي الأمراض المعدية، وذلك من باب سد الذريعة لئلا يخالط المصح المريض فيحصل له المرض. وهذه الإرشادات من قبيل «الوعي الصحي» الجيد.

---

(١) ـ المرجع السابق ص ٥١١.
(٢) ـ المرجع السابق ص ٥١٦.

التنمية النفسية

التراث الإسلامي حافل بكل معاني التربية النفسية الرشيدة وجميع التكاليف تؤدي إلى تقوية القوى النفسية في المسلم.

إلى جانب المعنى الاجتماعي والسياسي والإيماني للحج، فإن له أثراً نفسياً عظيماً في التقوى والصلاح والورع والخشوع والتوبة والطهر والطهارة، لقول رسولنا ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» البخاري جـ ١ ص ٢٦٥. هذا فضلاً عما يشعر به المسلم من المساواة والتساوي بينه وبين غيره من المسلمين، سواء كانوا من الأغنياء أو الفقراء. وبذلك تذوب الفوارق بينهم، ويشعرون كأنهم جسد واحد ورجل واحد وكيان واحد.

ومن الأساليب التي تحرر الفرد من مشاعر الإثم والذنب ولوم الذات التوبة والاستغفار والدعاء إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿أدعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ولكل نبي دعوة مستجابة﴾ (غافر/ ٦٠). ويقول الرسول الكريم: «لكل نبي دعوة يدعو بها وأريد أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة» البخاري جـ ٤ ص ٩٨.

وفي الحض على الاستغفار، يقول تعالى: **﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾** (آل عمران/ ١٣٥). وعن الرسول ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» البخاري جـ ٤ ص ٩٩.

وعن الرسول الكريم أنه كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة[١].

وكان الرسول الكريم يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً» البخاري جـ ٤ ص ١٠٠ هذا إلى جانب التكبير والتسبيح عند المنام والتعوذ وقراءة القرآن والدعاء في منتصف الليل، ولها كلها آثار طيبة على نفس المؤمن.

وهناك عملية في علم النفس الحديث يطلق عليها عملية التفريغ الانفعالي أو تصريف الانفعالات وتطهير الذات وواضح أن فكرة التوبة والاستغفار قد سبقت هذه الدعوة الحديثة. فكان عليه الصلاة والسلام يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» البخاري جـ ٤ ص ١٠٢.

(١) - البخاري جـ ٤ ص ٩٩.

وكان يدعو ﷺ بهذا الدعاء عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحكيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش العظيم» البخاري جـ ٤ ص ١٠٥. كما كان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء[1]. كما كان يدعو للصبيان بالبركة ويمسح رؤوسهم، كما كان «يتعوذ من الفتن، ومن غلبة الرجال ومن الجبن، والكسل والبخل، ومن الفقر ومن عذاب القبر ومن الوباء ومن طول العمر»[2].

والمسلم يخاف الله ويخشاه فتفيض عيناه إذا ذكر الله. وعن رسول الله ﷺ أن: «رجلاً ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله: إذا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف، ففعلوا به فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ما حملني إلا مخافتك فغفر له» البخاري جـ ٤ ص ١٢٦.

ومما يبعد عن المسلم شعور الطمع والحسد، والنظر لمن هو أفضل منه قول نبينا الكريم: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه» البخاري جـ ٤ ص ١٢٧.

وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ: «كان يدعو في الصلاة: اللهم أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم قالت: فقال له قائل: ما أكثر ما تستفيد من المغرم يا رسول الله فقال: إن الرجل إذا عزم حدث فكذب ووعد فأخلف» مسلم جـ ٥ ص ٨٧.

ويساعد الإسلام الإنسان على التخلص من حالة الوسوسة والشك، وذلك إذا اهتدى بقول نبينا الكريم: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا

---

(١) - البخاري جـ ٤ ص ١٠٥.

(٢) - البخاري جـ ٤ ص ١٠٨.

خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله» مسلم جـ ٢ ص ١٥٣. والمعروف أن الوسوسة، وفقاً للتراث السيكولوجي الحديث، تعتبر مرضاً من الأمراض النفسية التي تسبب الإزعاج والقلق لصاحبها.

وللوضوء قيمة عظيمة لا في تخليص الجسد مما به من الأوساخ، وحسب وإنما لطهارة نفس المسلم وتحريرها من الشعور بالإثم، وذلك مصداقاً لقول رسولنا الكريم: إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب» مسلم جـ ٣ ص ١٣٣. والمسلم الحق طاهر طهور، مصداقاً لقول رسولنا ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فممقتها أو موبغها» مسلم جـ ٣ ص ١٠٠.

وكل ما يصيب المسلم من أذى فهو كفارة لقوله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب أو وصب ولاهم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» البخاري جـ ٤ ص ٢. ولتهيئة المسلم لقبول تغيرات الزمن وظروف الحياة، يقول رسولنا الكريم: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعد لها مرة، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انخفاضها مرة واحدة، فالمؤمن يكفأ بالبلاء والأنبياء أشد الناس بلاء»[٢].

(١) - البخاري جـ ٣ ص ٣٢٢
(٢) - البخاري جـ ٤ ص ٣

ولقد جعل الإسلام عيادة المريض واجباً لقول رسولنا الكريم: «اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني» البخاري جـ ٤ ص ٣.

وكان الرسول الكريم يدعي للمريض فيقول: «أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً» البخاري جـ ٤ ص ٨.

والمسلم يؤمن بأنه ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء. ومثل هذا الإيمان يعطي المؤمن شعوراً بالثقة في الله تعالى، وفي حصول الشفاء، ويبعد عنه مشاعر اليأس والقنوط والاستسلام للمرض[1]. بل إن المرأة المسلمة كانت تشارك في رعاية المرضى والجرحى في الحروب والقتال، فعن ربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى للمدينة» البخاري جـ ٤ ص ٩. ولقد عرف المسلمون عن رسولهم الكريم العلاج بتناول العسل وبالحجامة وبالنار، ولكنه ﷺ نهى أمته عن الكي[2]. وكان عليه الصلاة والسلام ينصح بالحمم من الشقيقة والصداع، وكان يأمر بحلق الشعر حماية من الأذى أو من انتشار القمل به. وكان يحذر من الحمى ومن الطاعون، فالحمى من «فيح جهنم» وكان ينهي عن التطير والتشاؤم، بينما كان عليه الصلاة والسلام ينصح برقي المريض والدعاء له بالشفاء.

وينهى الإسلام عن الاسترسال في الغضب والثورة النفسية. ولقد أثبت العلم الحديث أن الغضب، وغيره من الانفعالات العنيفة، إذا استمرت لدى الإنسان تؤدي به إلى الإصابة بكثير من الأمراض «النفسجسمية» ومنها قرحة

---

(١) - البخاري جـ ٤ ص ٨.

(٢) - البخاري جـ ٤ ص ٩.

المعدة[1] والاثني عشر والقولون وقرحة الفم والصداع النصفي والربو وضغط الدم والسكر، وبعض أمراض الفم والأسنان وبعض الالتهابات الجلدية وغير ذلك من أمراض العصر، التي تنشأ من الضغوط والأزمات النفسية، بينما تتخذ أعراضها شكلاً جسمياً، ولذلك فإن النبي الكريم ينصح المسلمين بعدم الغضب كما أن القرآن الكريم يدعونا لكظم الغيظ والتحكم في انفعالاتنا. يقول تعالى: ﴿ **والذين يجتنبون الكبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ (الشورى/ ٣٧).

ويقول نبينا الكريم «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» البخاري جـ ٤ ص ٦٨.

وجاء رجل للرسول عليه الصلاة والسلام وقال له: أوصني يا رسول الله؟ فقال له: «لا تغضب فردد مراراً قال: لا تغضب» البخاري جـ ٤ ص ٦٨.

ويهدي الرسول الكريم إلى الابتعاد عن مخالطة أهل السوء ويفضل العزلة عليها. ولأقران السوء أثر بالغ في الوقت الحاضر في إفساد حياة الناس، وخاصة المراهقين والشباب منهم.

ويدعونا الإسلام لمجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء. لقوله ﷺ: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة» مسلم جـ ١٦ ص ١٧٨.

---

(١) ـ د. عبد الرحمن العيسوي، أمراض العصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

وفي الدعوة لمجالسة خيار الناس يقول الحـديث النبـوي الشـريف: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة» البخاري جـ ٢ ص ١١. ولقد حرم الإسلام الخداع والغش في البيع والتعامل. ولكـل هذه التعاليم آثار نفسية طيبـة تنمـي نفس المسلم على أرفع القيم وأجمل الخصـال وتجعلـه قوياً في الحـق سليمـاً متحرراً من كل الأمراض والعلل التي تصيب نفوس الكفار والملحدة.

الفصل الرابع عشر

التنمية الروحية والخلقية

يرسم الإسلام منهجاً عادلاً للتعامل بين الناس، فينهى عن النفاق والفجور في الخصومة والكذب وعدم الوفاء بالعهود والغدر، لقول رسولنا الكريم: «أربع من كن فيه كان منافقاً، أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» البخاري جـ ٢ ص ٦٩.

ولا شك أن العمل التنموي يحتاج إلى الانضباط والمتابعة، وإثابة المحسن على إحسانه، ومعاقبة المهمل أو المسيء على إساءته. وليس هناك أكثر حسماً وتقويماً لسلوك الإنسان من فرض شريعة الله وحدوده وضرب المخالفين لشريعته بيد من حديد لتستقيم الحياة، فالحدود وسيلة ناجحة من وسائل الضبط الاجتماعي، والسلام الاجتماعي والأمان، وتقويم السلوك الفردي والجماعي، ومن ذلك ضرب شارب الخمر والسارق، وقتل الزاني، وعقاب المشركين. ولا شك أن الحدود كفارة. ويدعو الإسلام لتطبيق الحدود على كل من الشريف والوضيع، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا

بالتقوى، بل إنه لا شفاعة في حد من حدود الله. فعندما سرقت المرأة المخزومية، قال الصحابة من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ، فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب قال: يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» البخاري جـ ٤ ص ١٧٣. فتقطع يد السارق، ويرجم الزاني، ويضرب عنق القاتل، هذه هي خلق الإسلام وحدوده الصالحة لكل زمان ومكان، وكم يزدهر العمل التنموي في بلادنا العربية إذا حكمته شريعة الله، وأخلاق الإسلام؟ وكل محدود تقبل توبته وشهادته إذا تاب لقول رسول الله ﷺ: «أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» البخاري جـ ٤ ص ١٧٤. ولمن يترك الفواحش فضل عظيم لقول رسولنا الكريم: «سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها قال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماصنعت يمينه» البخاري جـ ٤ ص ١٧٥.

وينهى الإسلام عن تفشي الرياء، لقول رسولنا الكريم ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك ومن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» مسلم جـ ١٨ ص ١١٥.

والمسلم الحق لا يتكلم الكلمة التي تسبب الضرر لأخيه المسلم، فهو

لا يتكلم قبل أن يتدبر ويفكر فيما يقوله وما يترتب على قوله من أضرار عند السلطان وغيره من الولاة لقول رسولنا الكريم: «إن العبد بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» أو قوله ﷺ: «إن العبد لا يتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» مسلم جـ ١٨ ص ١١٧.

بل إن المسلم مدعو للمحافظة على نفسه، وستر عيوبه، والمحافظة على مظهره اللائق، فلا يجاهر بما ارتكبه من معاصي، ولا يكشف عنها، ولا يتحدث بها استرشاداً بقول رسولنا الكريم: «كل أمتي معافاة إلا المجاهرين وإن من الأجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح قد ستره ربه فيقول يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» مسلم جـ ١٨ ص ١١٩.

والعمل الصالح ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، كما جاء في قول رسولنا الكريم ﷺ: «يتبع الميت ثلاث، أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[1] متفق عليه.

ولا شك أن التنمية تقوم على الأعمال الصالحة والخيرة والجادة، والتي تتصف بالأمانة والصدق. ومن الآفات التي تلتهم ثمار الجهد التنموي الطمع والجشع، ولذلك على رجال التنمية أن يتحلوا بالزهد، وأن يهتدوا بهدى رسولنا الكريم القائل حين جاء رجل وقال له: «يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال: ازهد الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[2] رواه ابن ماجة. وعملاً بقول رسولنا

---

(١) - الإمام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ ٢ ص ٣٩٢.

(٢) - المرجع السابق ص ٤١١.

الكريم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1] رواه مسلم. ويربي الإسلام أبناءه على خشونة العيش، كما في قول رسولنا الكريم حين آتاه رجل وقال له: «يا رسول الله والله إني لأحبك، فقال: »انظر ماذا تقول؟ قال: والله إني لأحبك ثلاث مرات، فقال: إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه»[2] رواه الترمذي حديث حسن. وكما في قوله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه[3]»[4] رواه الترمذي حديث حسن صحيح. وقول الرواة: «نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء؟ فقال مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[5] رواه الترمذي حديث حسن صحيح.

ويربي الإسلام أبناءه على الحياء، فالحياء شعبة من شعب الإيمان، وكان الرسول الكريم «أشد حياء من العذراء في خدرها» البخاري جـ ٤ ص ٦٨. ويرتبط الحياء بالخلق القويم وباللياقة الاجتماعية، ولذلك جاء الحديث الشريف: «إذا لم تستحي فافعل ما شئت». ولكن لا حياء في الدين. وكان عليه الصلاة والسلام يدعو إلى اليسر لا العسر، وإلى التخفيف عن الناس، وإلى الانبساط معهم، تدعيماً للروح الاجتماعية بينهم، ومن هذا القبيل الدعوة لإكرام الضيف. ومع الحياء والكرم، فإن الإسلام يحذر أبناءه أيضاً من الوقوع في الخطأ، فيقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. ولذلك على المسلم أن يأخذ حذره، وأن يحتاط، وأن يخطط، وأن يدبر

---

(١) - المرجع السابق ص ٤٠٦.

(٢) - المرجع السابق ص ٤٢٧.

(٣) - المراد بأفسد لدينه.

(٤) - المرجع السابق ص ٤٢٩.

(٥) - المرجع السابق ص ٤٣٠.

الأمر، ويقلبه قبل أن يشرع في عمل ما، وأن يستفيد من خبرات الماضي وتجاربه.

ومن القيم الخلقية الإسلامية تحريم الغيبة، لقول رسولنا الكريم: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فقد بهته» مسلم جـ ١٦ ص ١٤٢.

والمسلم مدعو للرفق لقول رسولنا ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير» مسلم جـ ١٦ ص ١٤٥ وهو كذلك مدعو للصراحة والوضوح، لقول رسولنا ﷺ: «تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» مسلم جـ ١٦ ص ١٥٧. فالكذاب مذموم الذي يمارس الكذب ذلك الكذب الذي فيه مضرة. ولكن الصدق فضيلة اهتداء بقول الرسول ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وأن البر يهدي إلى الجنة، وأن الكذب يهدي إلى الفجور وأن الفجور يهدي إلى النار» مسلم جـ ١٦ ص ١٦٠.

والمسلم حليم صبور هادىء الطبع، استرشاداً بقول النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» مسلم جـ ١٦ ص ١٦٢. وهو إيجابي فعال في المجتمع، ولذلك يزيل الأذى من الطريق «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس» مسلم جـ ١٦ ص ١٧١.

الفصل الخامس عشر

تنمية روح العمل

ومن القيم الإسلامية الأصيلة حب العمل في ذاته، والرغبة في الأكل من عمل اليد، والبعد عن التعطل، والتطفل على الغير، كما في قوله تعالى: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ [1]. وفي هذا المعنى النبيل يقول الرسول ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم أحبله، ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من خطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» [2]. البخاري جـ ٢ ص ٦.

ومعنى هذا دعوة المسلم للاحتراف ولاكتساب من عرقه وطلب الرزق الحلال والمشقة، والصعود إلى الجبل مثلاً كناية عن خشونة العيش وعدم الترفه. وعن الرسول ﷺ قوله: «كان زكريا عليه السلام نجاراً» [3] مسلم.

---

(١) ـ الجمعة آية/ ١٠.

(٢) ـ الإمام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ص ٤٣٠.

(٣) ـ المرجع السابق ص ٥٤٢.

وقوله أيضاً ﷺ : «كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده»[1] البخاري. وفي الحث على الأكل من عمل اليد أيضاً قوله ﷺ : «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه»[2] البخاري جـ ٢ ص ٦. فالعمل في الإسلام قيمة وواجب ورسالة وهدف وغاية ووسيلة لكسب الرزق الحلال.

يحث الإسلام أبناءه على العمل، والجد والاجتهاد، وكسب الرزق من الحلال الطيب، وعلى ممارسة التجارة والزراعة والصناعة **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾** (البقرة/ ٢٧٥). **﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم﴾** (البقرة/ ٢٨٢). وقوله تعالى: **﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾** (الجمعة/ ١٠).

وينهى الإسلام عن اللهو والعبث والاستهتار ويبث روح الجدية والنشاط والعمل والإنتاج. وقوله تعالى: **﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾** (النساء/ ٢٩). فالعمل في الإسلام يقوم على دعائم الخلق والقناعة وعدم الطمع أو الجشع أو الغش والخداع.

وقول رسولنا الكريم: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أو شك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه» البخاري جـ ٢ ص ٣.

ولقد استفاد الإسلام من كل ما توفر لدى أبنائه من الخبرات والمعارف

---

(١) - المرجع السابق ص ٥٤٢.

(٢) - المرجع السابق ص ٥٤٤.

والمهارات الدنيوية التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج والمحاصيل ووفرتها . فلقد جاء عن النبي ﷺ أنه حين رأى أن إنتاج النخيل قد قل حينما لم يتم تلقيحه ، فقال لأصحاب النخيل أنتم أدرى بشؤون دنياكم مشيراً إلى السماح لهم بممارسة خبراتهم السابقة في تلقيح النخيل والحصول على أكثر وأجود إنتاج ممكن .

ويدعو الإسلام للعمل الصالح والخير والمفيد ، كما يدعو للتحسين والجودة والاتقان والحذق في العمل وجعل لمن يحسن عمله أطيب الجزاء . لقوله تعالى : ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً** ﴾ (الكهف/ ٣٠) . وقوله تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ (التوبة/ ١٠٥) .

ومن وسائل تربية المسلم ومساعدته على النضوج والاستقلال والبلوغ مبلغ الرجال أن سن البلوغ في الإسلام سن مبكرة نسبياً ، فعن نافع بن عمر قال : «عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني» .

قال نافع : «فقدمت على عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ خليفة فحدثته هذا الحديث فقال إن هذا الحد بين الصغير والكبير فكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة ، ومن كان دون ذلك فاجعلوه في العيال» مسلم جـ ١٣ ص ١٢ . فبإتمام الصبي عامه الخامس عشر يصبح مكلفاً ، وإن لم يحتلم ، فتجري عليه الأحكام في القتال ، وفي العبادة ، ويستحق سهم الرجال من الغنيمة .

وينهانا رسولنا الكريم عن الإسراف واستخدام آنية فضية ، أو لبس الذهب والحرير لقوله «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية من

الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة» البخاري جـ ٣ ص ٢٩٨ .

ومن النصائح الطبية والاقتصادية في الإسلام إطفاء المصابيح عند النوم وتغطية الأواني .

الفصل السادس عشر

تدعيم التماسك الاجتماعي

وفي تحقيق الأمن والسلام الاجتماعيين، يقول رسولنا الكريم: «من سل علينا السيف فليس منا» مسلم جـ ٢ ص ١٠٧.

وفي الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة، وذلك قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة، قول رسولنا الكريم: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا» مسلم جـ ٢ ص ١٣٣[1].

ويحافظ الإسلام على كرامة المسلم، فقد حرم ظلمه، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله، لقول رسولنا الكريم: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا

(١) - شرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه» مسلم جـ ١٦ ص ١٢٠ .

ويحقق هذا الهدى الوئام الاجتماعي ، إلى جانب النهي عن الشحناء ، والدعوة إلى الصفح والغفران ، والدعوة للصلح بين الناس ، والقضاء على العداوة ، والخصومة ، والمنازعات والبغض ، مع الدعوة في الحب في الله كما في الحديث النبوي الشريف : «إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» مسلم جـ ١٦ ص ١٢٣ .

وحفاظاً على التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية اللتان هما من ركائز الاستقرار ، ومن ثم من دعائم التنمية ، يحذر الإسلام من الفتن ، يقول تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ (الأنفال/ ٢٥) . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : «اللهم إنا نعوذ بك أن ترجع على أعقابنا أو نفتن» البخاري جـ ٤ ص ٢٢١ . ويقول ﷺ : «سترون بعدي أموراً تنكرونها» البخاري جـ ٤ ص ٢٢١ .

وقوله في الطاعة لولاة الأمور : «من كره من أميره شيئاً فليصبر ، فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» البخاري جـ ٤ ص ٢٢٢ . وقوله ﷺ : «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية» البخاري جـ ٤ ص ٢٢٢ . وكان عليه الصلاة والسلام يحذر من السفلة والسفهاء ، ويخشى على هلكة الأمة منهم .

وعن ظهور الفتن يقول ﷺ : «يتقارب الزمان وينقص العمل ، ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج . . » البخاري جـ ٤ ص ٢٢٣ وقوله في السلام الاجتماعي : «من حمل علينا السلاح فليس منا» البخاري جـ ٤ ص ٢٢٣ .

وقوله ﷺ : «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» البخاري جـ ص ٢٢٤ . كما يحذر الإسلام من الردة .

وفي الدعوة للسلام بين المسلمين ، يقول رسولنا الكريم : «إذا تواجه المسلمان بسيفهما فكلاهما من أهل النار» البخاري جـ ٤ ص ٢٢٥ .

وغني عن البيان أن التنمية تحتاج إلى مثل هذا المناخ الإسلامي القائم على دعائم من الاستقرار والوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي والأمن والسلام والتضامن والتكافل والإخاء والمساواة والعدل[1] . . . وغير ذلك من القيم الأصيلة التي يبني المجتمع الإسلامي على أساسها . والمؤمن يتوخى الصدق ويتحرى الحقيقة ، فلا يكون نهباً للشائعات والدسائس والفتن ، وذلك اهتداء بقوله تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . . . ﴾ (الحجرات/ ٦) .

ويحرص إسلامنا الحنيف على شيوع العدل بين الناس ، وخاصة فيما يتعلق بفض المنازعات بينهم عملاً بقول رسولنا الكريم : «لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان» مسلم جـ ١٢ ص ١٥ .

والمعروف وفقاً لمفاهيم علم النفس الحديث ، أن حالة الغضب تعوق الإنسان عن ممارسة التفكير السليم[2] ، وينطبق هذا على كل ما يخرج الحاكم أو القاضي عن سداد النظر واستقامة الحال كالشبع المفرط والجوع المقلق ، والهم والفرح البالغ ومدافعة الحدث وتعلق القلب بأمر ما ، وذلك خوفاً من وقوع القاضي في الخطأ .

ومن معاني الوحدة وتماسك الأمة الإسلامية قوله تعالى : ﴿ والمؤمنون

---

(١) - البخاري جـ ٤ ص ٢٥٠ .

(٢) - عبد الرحمن العيسوي ، دكتور ، دراسات سيكولوجية ، دار المعارف مصر ، ١٩٨٢ .

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. . .﴾ (التوبة ٧١) وفي حث المسلم على الإيجابية والأمر بالمعروف قول رسولنا الكريم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم. ومثل هذا الموقف الإيجابي القاضي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يخلص المجتمع من الأمراض والآفات الاجتماعية، كما يخلص الفرد من الشعور بالذنب ومن ارتكاب المعاصي والخطايا، الأمر الذي يؤدي لصلاح الفرد والجماعة معاً.

والمعروف أن انتشار المنكر قد يجعل النفس البشرية تعتاده وتتقبله وتمارسه وبذلك يمرض المجتمع كله ويصيبه الفساد والانحلال. ولا شك أن أفضل وسيلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي توفر القدوة الحسنة الفعلية التي يقتدي بها. فلا ينبغي أن يقول الداعي ما لم يفعل. ورسالة المسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توضح دور رجال الوعظ والإرشاد في حركة التنمية المباركة، التي تستهدف الارتقاء بالمجتمع وعلو شأنه وقوته وتدعيمه وقدرته على الصمود في وجه التحديات العديدة.

وتحقيقاً لحسن الجوار وتدعيم مشاعر الأخوة يقول نبينا الكريم: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه» مسلم جـ ٢ ص ١٧. وقوله: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» مسلم جـ ٢ ص ١٧. ومعنى ذلك أنه لا يسبب له غائلة أو داهية أو فتك.

وفي إكرام الضيف، يقول الحديث النبوي الشريف: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» مسلم جـ ٢ ص ١٨.

ويدعو إسلامنا الحنيف للتساند والتراحم والتعاطف والتعضيد، كما

في قول رسولنا ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» مسلم جـ ١٦ ص ١٣٩ . وقوله ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» مسلم جـ ١٦ ص ١٤٠ . وفي هذا أبلغ معاني التماسك والمشاركة الوجدانية، فالمسلمون رجل واحد وقلب واحد ومصلحة واحدة . ومن المبادىء الإسلامية السامية العفو والتواضع والتصدق على الناس والإحسان إليهم، لقوله ﷺ : «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه» مسلم جـ ١٦ ص ١٤١ .

ويعيش أفراد الإسلام في ظل نظام قوي من التكافل والتماسك والتضامن الاجتماعي حيث يرعى الأغنياء الفقراء، والأقوياء الضعفاء، وحيث يحمي النظام الإسلامي الأرامل والمساكين واليتامى، كما في قول رسولنا الكريم : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر» مسلم جـ ١٨ ص ١١٢ . فالشخص الذي يسعى لإعالة الأرملة والمسكين له أجر عظيم عند الله تعالى .

ويدعو الإسلام للمشاركة الوجدانية والتعاطف بين المسلمين لقول رسولنا الكريم : «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم» البخاري جـ ٢ ص ٧٤ .

وتحقيقاً «للسلام الاجتماعي» يحض الإسلام على الصلح بين الناس على أساس من العدل وإصلاح ذات البين ونبذ الانقسام والشقاق . لقول النبي ﷺ : «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة» البخاري جـ ٢ ص ١١٤ .

ويقول الرسول الكريم في حجة الوداع : «ألا أن الله حرم عليكم

دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت قالوا: نعم. قال: اللهم أشهد ثلاثاً. ويلكم أو ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» البخاري جـ ٣ ص ٨٤.

ويوصي رسول الله ﷺ بعيادة المرضى، فعن رسول الله ﷺ: «إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري فقال رسول الله ﷺ: يا أخا الأنصار كيف أخي سعد بن عبادة فقال: صالح فقال رسول الله ﷺ من يعوده منكم فقام فقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في تلك السباخ حتى جئناه فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه» مسلم جـ ٦ ص ٢٢٦.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «عطس عند النبي ﷺ رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقال الذي لم يشمته: عطس فلان فشمته وعطست أنا فلم تشمتني قال: إن هذا حمد الله وأنك لم تحمد الله» مسلم جـ ١٨ ص ١٢٠.

ويحض الإسلام على صلاة الجماعة لما لها من تحقيق الألفة والترابط والتماسك بين المسلمين والشعور الجماعي «صلاة أحدكم في جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعاً وعشرين درجة، وذلك بأنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع بها درجة أو حطت عنه بها خطيئة والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاة الذي يصلي فيه اللهم صلي عليه، اللهم ارحمه ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه» البخاري جـ ٢ ص ١٤.

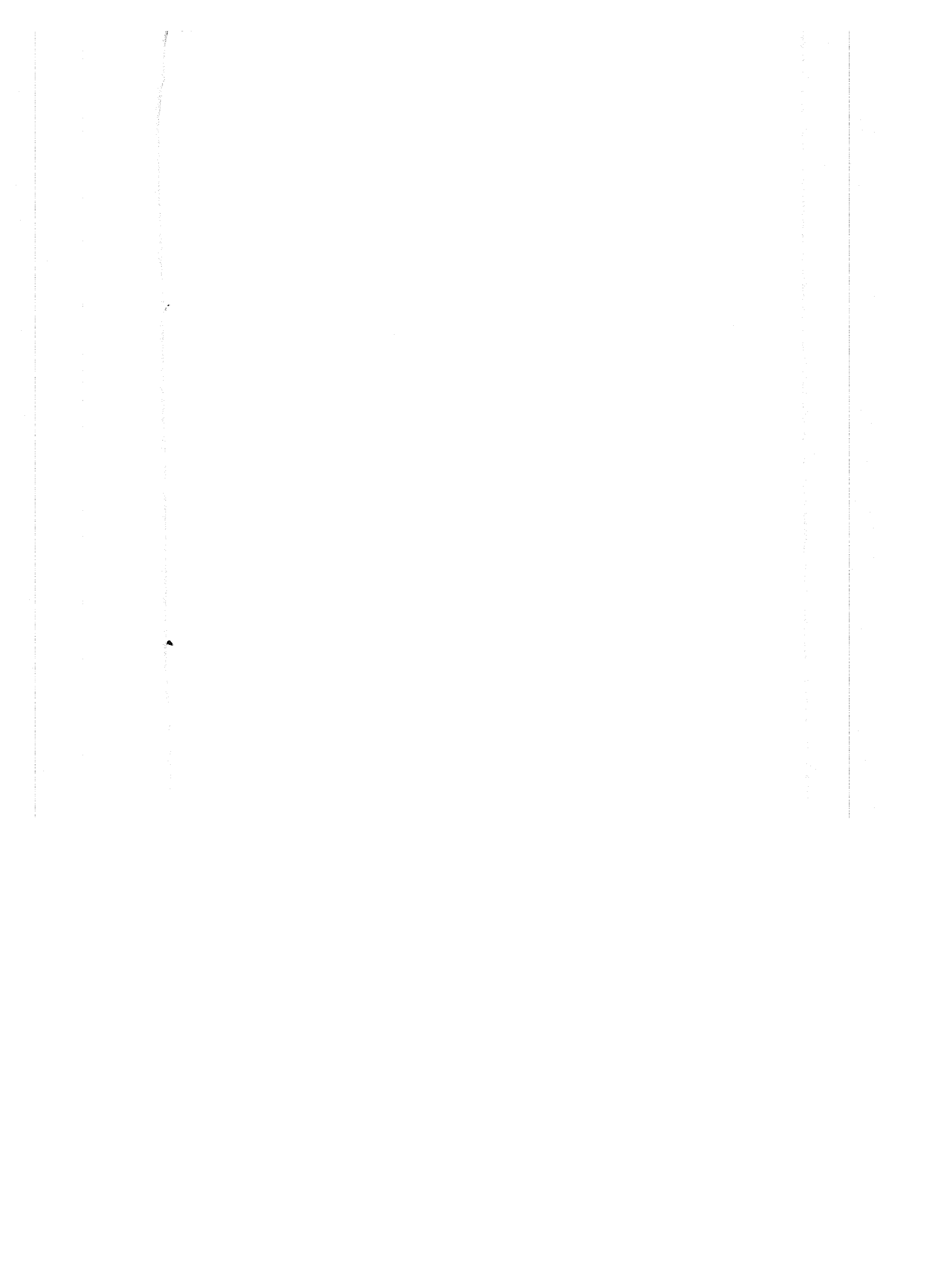
وللزكاة أثر طيب في تحقيق التنمية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (البقرة/ ٤٣).

أتى إعرابي للنبي ﷺ فقال: «دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟

قال: تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا» البخاري جـ ١ ص ٢٤٣.

ويوصي النبي بالجار، فعن أبي ذر أن النبي ﷺ: «أوصاني إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف» مسلم جـ ١٦ ص ١٧٧. ومن ذلك أيضاً قوله: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» مسلم جـ ١٦ ص ١٧٧. ومن أحبه الله أحبه الناس. والمرء على دين خليله.

هذه المبادىء، وغيرها، تدعم مشاعر الوحدة والاتحاد والتماسك والتضامن بين ابناء المجتمع الإسلامي.



الفصل السابع عشر

تنمية الوعي الاقتصادي والبشري

يدعونا نبينا الكريم إلى السهولة والسماحة في الشراء والبيع، وإلى العفاف في الطلب لقوله ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» البخاري جـ ٢ ص ٧.

فللبيع والشراء والتجارة أخلاقيات في الإسلام، لا بد للمسلم من الالتزام بها. ومن ذلك ما يحض عليه الإسلام من إنظار الموسر للمعسر، والالتزام بالصدق والأمانة، وعدم الغش أو الخداع، وتحريم الربا، وتجارة الخمر أو تداوله.

ومن أخلاقيات البيع الوفاء بالكيل، والصدق والأمانة، وعدم الغش وعدم بيع المسلم على بيع أخيه لقول رسولنا الكريم: «لا يبيع بعضكم على بيع أخيه» البخاري جـ ٢ ص ١٦. ولقوله ﷺ: «أيبيع حاضر لباد ولا تناجشوا ولا يبيع الرجل على بيع أخيه» البخاري جـ ٢ ص ١٦.

ومـن القيم الإسـلامية ذات الأثـر العميق في الحياة الاقتصـادية والاجتماعية الوفاء بالعهد[1].

ويميل المسلـم إلى طلـب الخير والنمـاء ممـن الله تعالـى بالدعـاء للاستسقاء وغيره من أبواب الرزق «فقد خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى وحول رداءه حين استقبل القبلة» مسلـم جـ ٦ ص ١٨٨. «فعـن أنس بن مالك أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا، قال فرفع رسول الله ﷺ ثم قال: اللهم أغثنا. . .» مسلم جـ ٦ ص ١٩١.

وللمحافظة على الثروة الزراعية وحاصلاتها فإن الرسول الكريم كان يعتبر أن في النخلة بركة»[2].

وتقوم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، في الإسلام، على أسـاس من الأمانة وعدم الغش، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: أفلا جعلته فوق الطعام يراه الناس؟ من غش فليس مني» مسلم جـ ٢ ص ١٠٩.

ومن أصول البيع والشـراء في الإسـلام عدم الخيانـة أو الخـداع أو الغش. فقد ذكر رجل لرسول الله ﷺ: «أنه يخدع في البيوع. فقال رسول الله ﷺ من بايعت فقل لا خلابة (أي لا خيانة ولا خديعة) فكان إذا بايع يقول لا خيانة» مسلم جـ ٣ ص ١٧٦. ومن ذلك أيضاً النهي عن بيع الثمار قبل بدو

(١) - مسلم جـ ١٢ ص ١٤٤.
(٢) - البخاري جـ ٣ ص ٣٠٢.

صلاحها، نهى البائع والمبتاع[1]. وذلك حتى تزداد القيمة الاقتصادية للمحصول ويتم نضوجه وصلاحيته للاستعمال وتزداد وفرته.

ويهمل الكثيرون الآن هذه النصيحة فيجمعون ثمارهم قبل أن تنضج حتى تباع قبل ظهور المحصول في الأسواق، وذلك لبيعها بأسعار مرتفعة جداً. أو يذبحون صغار الحيوانات قبل أن يزداد وزنها وتنضج لحومها أو يذبحون إناث الحيوانات التي ينبغي أن تربى كي تنسل فتزداد الثروة الحيوانية. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ: «نهى عن بيع النخل حتى يزهو وعن السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة نهي البائع والمشتري» مسلم جـ ١ ص ١٧٩.

ومن القيم الاقتصادية النافعة في إسلامنا الحنيف: «فمن كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها فليمنحها أخاه المسلم، ولا يؤاجرها إياه» مسلم جـ ١٠ ص ١٩٦. وفي ذلك نهى عن ترك الأرض بيضاء دون الاستفادة منها واستثمارها. وشتان بين هذا النصح الجميل وبين هجرة الفلاحين لأراضيهم للعمل بالمصانع بالمدن في الوقت الحاضر.

ومن التفسيرات الإسلامية في المساقاة والمزارعة، قول رسول الله ﷺ: «أنه عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع» مسلم جـ ١ ص ٢٠٨ ويشجع الإسلام المسلمين على الاهتمام بالزراعة والغرس، كما في قول رسولنا ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه[2] أحد له صدقة» مسلم جـ ١٠ ص ٢١٣. وقوله ﷺ: «لا

(١) - مسلم جـ ١ ص ١٧٨.
(٢) - أي ينقصه ويأخذ منه.

يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة» مسلم جـ ١٠ ص ٢١٤ .

بذلك يكون لإسلامنا الحنيف فضل السبق على دعوات اليوم وشعاراته «بأسبوع الشجرة» «والثورة الخضراء» ومشاريع «الأمن الغذائي» «واستصلاح الصحاري» وما إليها . فالإسلام يهتم بالزراعة قبل هذه الدعوات جميعاً .

ومن الآفات التي تصيب الاقتصاد وتسبب انتشار الإفلاس انتشار الربا ولذلك حرمه إسلامنا الحنيف[1] .

والمسلم مدعو في عمله وفي علاقاته أن يأخذ الحلال، وأن يترك الشبهات اهتداء بقول نبينا الكريم : «إن الحلال بين وإن الحرام بين و بينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وأن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب» مسلم جـ ٢٧ ص ١١ .

ومن القيم الإسلامية الرائدة في المجال الاقتصادي تحريم الاحتكار في الأقوات لقول رسولنا الكريم ﷺ : «من احتكر فهو خاطىء فقيل لسعيد فإنك تحتكر قال سعيد إن معمراً الذي كان يحدث هذا الحديث كان يحتكر» مسلم جـ ١١ص ٤٣ .

فشراء الطعام في وقت الغلاء للتجارة ولا يبيعهخ صاحبه في الحال، بل يدخره ليغلوا ثمنه جرام. والمعروف حديثاً، أن الاحتكار من العيوب الأساسية في النظام الرأسمالي حيث تحتكر الشركات الكبرى السلع والمنتجات، ثم بعد ذلك

---

(١) ـ مسلم جـ ١١ ص ٨.

تتحكم في أسعارها ويؤدي هذا النظام الرأسمالي إلى إفلاس الشركات الصغرى التي لا تقوى على منافسة الشركات الكبرى التي تتعمد خفض الأسعار بشكل يقل عن تكلفة السلع فيشتري الناس منها ويتركون الشركات الصغيرة، فتفلس وتغلق أبوابها، وبعد ذلك تضاعف الشركة الكبرى من أسعارها دون أي منافس[1].

ومن القيم الاقتصادية العادلة في الإسلام تحريم اغتصاب الأرض وغيرها من الممتلكات الخاصة، لقول رسولنا الكريم: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين» مسلم جـ ١١ ص ٤٨. فصيانة الملكية الخاصة وتأمينها تشجعان الفرد على بذل الجهد لاستثمار ثروته وتنميتها والحرص عليها والعمل على ازدهارها، الأمر الذي ينعكس، ولا شك، على اقتصاد الدولة ككل.

ويسود المجتمع الإسلامي والأسرة روح الود والمساواة، ومن ذلك كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة فعن النعمان بن بشير أنه قال إن أباه أتى به رسول الله ﷺ: «فقال إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا فقال: لا. فقال: رسول الله ﷺ فأرجعه» مسلم جـ ١١ ص ٦٥.

وينهى الإسلام عن التبذير وإضاعة المال اهتداء بقول رسولنا الكريم ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» مسلم جـ ١٢ ص ١٠. وفي ذلك نهى عن الفرقة والانقسام، وعن ترديد الإشاعات. ولقد حرم الإسلام «عقوق

---

(١) ـ د. عبد الرحمن العيسوي، علم النفس والإنتاج، دار النهضة العربية، بيروت.

الأمهات ووأد البنات والتمسك بعهد الله وإتباع كتابه العزيز والالتزام بحدوده والتأدب بآدابه»[1].

وتقوم الحياة الاقتصادية في الإسلام على أساس تحريم الربا.

ومن دواعي الأمن والوقاية من حوادث الحريق، وفي نفس الوقت من باب ترشيد الاستهلاك يقول الحديث النبوي الشريف: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون» متفق عليه. وقوله: «إن هذه النار عدوكم فإذا نمتم فاطفئوها» متفق عليه.

وينهانا رسولنا عن الإسراف واستخدام آنية فضية أو لبس الذهب والحرير لقوله: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الأخرة» البخاري جـ ٣ ص ٢٩٨.

فالإسلام يشجع على التنمية الاقتصادية واستزراع الأراضي والعناية بالنخيل والدواب ويحدد النظم والمثل التي تكفل العمل التجاري النجاح والتقدم والنماء.

---

(١) ـ مسلم جـ ١٢ ص ١٠.

الفصل الثامن عشر

تنمية التماسك الأسري

للحفاظ على طهارة المجتمع ونموه البشري، يدعو الإسلام للزواج ويرغب فيه كما في قوله تعالى: ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾ (النساء/ ٣). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء الرسول ﷺ فقال: أنتم الذي قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» البخاري جـ ٣ ص ٢٣٧.

ولذلك يدعو الرسول الكريم الشباب للزواج والإشباع الحلال وتكوين الأسرة وممارسة الحياة الطبيعية: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» البخاري

جـ ٣ ص ٢٣٨ . فالصوم عصمة من الخطأ. ولقد نهى الرسول الكريم عن الاستخصاء حتى يعيش الإنسان حياته الطبيعية.

ولعل في إباحة الإسلام نكاح الأربع فرصة لتزويد المجتمع بما يلزمه من الأيدي العاملة والقوى البشرية التي تتولى الذود عن الوطن والعمل على زيادة إنتاجه ورخائه. فضلاً عما يحققه هذا النظام من حماية النساء وإعالتهن وحتى لا تتعرض، المرأة المسلمة للتعنس وخاصة عندما يزيد عدد النساء عن عدد الرجال.

يقيم الإسلام مجتمعاً طاهراً نظيفاً خالياً من الفسق والزنا والفساد، ولذلك يشجع على الزواج وتكوين الأسرة الصالحة التي تعد نواة قوية في بناء المجتمع الصالح فالرسول ﷺ يدعو الشباب للزواج: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه وجاء» مسلم جـ ٩ ص ١٧٢ . فمن استطاع إعداد المنزل الصالح للزوجية فليتزوج، والصوم يقطع الشهوة «وجاء» وبذلك يشجع الإسلام الشباب على الإشباع الحلال لشهواتهم وتكوين الأسر الصالحة.

ولا شك أنه من العادات السلبية التي تمتص فائض التنمية، عادة الإسراف، ولقد نهانا الإسلام عن الإسراف كما هو الحال الآن في ارتفاع المهور، وقد نسي الناس أن الرسول اكتفى بخاتم من حديد، يقول ﷺ: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقصد فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال. يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها؟ فقال: فهل عندك من شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله. فقال: اذهب إلى أهلك فانظر

هل تجد شيئاً. فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: انظر ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع. فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري فلها نصفه. فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدعي فلما جاء. قال: ماذا معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا «عدها» فقال: تقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم قال: اذهب فقد ملكتها لما معك من القرآن» مسلم جـ ٩ ص ٢١١. وشتان بين هذا الخلق وهذا الهدي النبوي وما يشاهد الآن من مغالاة باهظة في المهور التي يطلبها أهل الفتاة وما يحاط به الزواج من مظاهر الإسراف والبذخ.

وإذا كان الإسلام قد أباح تعدد الزوجات إلا أنه اشترط ذلك بقدرة الزوج على أن يعدل بينهن.

ويحرص الإسلام على تحقيق الوئام الأسري والانسجام بين الجنسين فينبه إلى طريقة التعامل مع المرأة، ويوضح طبيعتها، وخصائصها كما يقول الحديث النبوي الشريف: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها» مسلم جـ ١٠ ص ٥٧. فلا بد من ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر معهن، على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن وكراهة طلاقهن[1]، والرضا بحالتهن هذه. وشتان بين هذا النصح وتلك الوصية الإنسانية القائمة على أساس الفهم الحقيقي للطبيعة البشرية، وعلى أساس التسامح، وبين ما يثار الآن، في بعض المجتمعات الإسلامية، من الصراع

---

(١) - مسلم جـ ١٠ ص ٥٧.

المحتدم بين الرجل والمرأة على المكاسب والمزايا والسيطرة والتملك والتحرر وامتلاك منزل الزوجية في حالة الطلاق، والمنافسة في الوظائف، وفي الإدارة والسيطرة على الرجل. وهذه النزعات من شرور المدنية الحديثة، ومن الخطر الأخذ بها على علاتها. وفي كثير من الأحيان تقف قوى معادية للمجتمع الإسلامي وراء إذكاء جذوة الصراع بين الجنسين في المجتمع لينال الضعف والهلاك من ذلك القوى الاستعمارية والصهيونية.

ويوصي النبي ﷺ بالنساء خيراً: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» مسلم جـ ١ ص ٥٨. وهذه نظرة موضوعية متعادلة لحسنات المرأة وسلبياتها، ودعوة كريمة للتعايش السلمي بينهما.

وفي الدعوة إلى صلة الرحم قوله ﷺ: «من سره أن يبسط له رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه» البخاري جـ ٢ ص ٦. وفي ذلك توكيد لمعاني الوحدة الاجتماعية والتماسك الاجتماعي، والتضامن الأسري، ذلك التضامن الذي يشعر الفرد بالأمان والاستقرار والترابط والسكينة.

ويحرص الإسلام على تدعيم أركان الأسرة المسلمة، وفي هذا الصدد يقول الحديث النبوي الشريف: «الكبائر الشرك بالله، والعقوق بالوالدين، وقتل النفس، وقول الزور» مسلم جـ ٢ ص ٨٢.

ولدعوة الإسلام للإنفاق على العيال «والمملوك» أثرها الطيب في التماسك الأسري، وحسن التنشئة الاجتماعية والجسمية للأولاد... إلخ.

فعلى المسلم أن يوسع على عياله في الإنفاق اهتداء بقول نبينا الكريم: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله. وقال أبو قلابة وبدأ بالعيال ثم قال أبو قلابة وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم» مسلم جـ ٧ ص ٨٢.

وقوله في الحث على الإنفاق أيضاً: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته» مسلم جـ ٧ ص ٨٢. فنفقات الصغير من رضاع وملبس وحضانة وغيره على والده إذا لم يكن للصغير مال. ومدة الرضاعة أقصاها سنتان. أما الحضانة فمدتها تتراوح بين سبع سنوات وإحدى عشرة سنة على اختلاف المذاهب.

وفي فضل الإحسان إلى البنات يقول النبي ﷺ: «من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» مسلم جـ ١٦ ص ١٧٩.

ولتقدير قيمة تغذية الطفل في الإسلام وإرضاعه أن المرضعة تعتبر كأمه تماماً. وأنه ما يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب[1].

ولعدم ضياع الأنساب وانتشار اللقطاء في المجتمع، فإن الإسلام يرى «أن الولد للفراش وللعاهر الحجر» مسلم جـ ١٠ ص ٣٧.

ويحرص الإسلام على تنشئة الأطفال تنشئة صالحة سوية، ويمتد هذا الحرص إلى توجيه النصح للمسلم بأن يتوخى الدين والصفات الجميدة فيمن يقبل على الزواج منها ذلك لأن المرأة الصالحة تنبت نبتاً صالحاً. فضلاً عما لها من أثر طيب في سعادة الزوج والأسرة كلها، بل صلاح المجتمع كله: فالأم مدرسة، وتملك سمات المرأة التي تصلح للزواج: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين ترتب يداك» مسلم جـ ١٠ ص ٥١. فليس هناك أجمل من خلق الدين، لأن الدين عاصم من الذلل، وفيه كل القيم التي تحفظ على الإنسان إيمانه وسعادته وتقواه.

ويوصي الإسلام بالنساء خيراً لما في ذلك من انتشار الوئام والانسجام بين شطري المجتمع أي الرجل والمرأة كما في قول رسولنا الكريم: «من

(١) - مسلم جـ ١٠ ص ٢٢.

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً» البخاري جـ ٣ ص ٢٥٧ .

ويحرص الإسلام على تنشئة المسلم على السمات الإيجابية ، وتحمل المسؤولية نحو أبنائه وأهله كما في قوله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ (التحريم/ ٦) .

فالمسلم ليس مسؤولاً عن نفسه ، وحسب ، وإنما هو مسؤول أيضاً عن أهله وعشيرته وأبنائه ونسائه ، وذلك اهتداء بقول رسولنا الكريم : «كلكم راع وكلكم مسؤول ، فالإمام راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ، والعبد راع على مال سيده ، وهو مسؤول ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول» البخاري جـ ٣ ص ٣٥٧ ويعاني الشباب في الوقت الحاضر من فقدان الشعور بتحمل المسؤولية واللامبالاة والاستهتار .

وينمي الإسلام حس المرأة وشعورها الديني والخلقي ، ويلزمها بآداب رفيعة في التعامل مع زوجها ضماناً لحسن العلاقات الزوجية وانتظام الحياة الأسرية . فهي لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها ، وهي ملزمة بطاعته ، في غير معصية الله ، لقول النبي ﷺ : «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح» البخاري جـ ٣ ص ٢٦٠ . وليس لها أن تأذن بدخول أحد بيتها إلا بإذن زوجها . ويحذر الرسول الكريم النساء من أن معظم سكان النار منهن . ويرسم الإسلام حدود العلاقات بين الزوجين على أساس من التراحم والسكينة والعدل ، فلكل حقوقه وواجباته .

الفصل التاسع عشر

الإدارة التنموية في الإطار الإسلامي

الطاعة والالتزام والانضباط من ركائز العمل التنموي، ويربي الإسلام أبناءه على وجوب طاعة ولاة الأمور لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ (النساء/ ٥٩) وقول الرسول الكريم: «اسمعوا واطيعوا وإن تأمّر عليكم حبشي كأن رأسه زبيبة» رواه البخاري. وقوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني» البخاري. ولكن لا طاعة لأحد في معصية الله تعالى[1]. فالطاعة في الإسلام طاعة واعية وليست طاعة عمياء. وقوله ﷺ: «من أهان السلطان أهانه الله» الترمذي. بل على المسلم أن يدعو لولاة الأمور بالخير والصلاح والرشد والسداد والتوفيق والعصمة من الشر والذلل أو الوقوع في الخطأ، ذلك لأن إصلاح الأمة في إصلاحهم، وعليه أن ينصح لهم لقول رسولنا ﷺ: «الدين

(١) - أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات المدينة المدينة المنورة دار الفكر، ١٣٩٢هـ الطبعة الثانية.

النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين، وعامتهم» رواه مسلم. بل إنه مطالب بطاعتهم حتى وإن فسدوا هم لقول رسولنا ﷺ: «اسمعوا واطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم»[1] مسلم. فالمسلم الحق مدعو للتعاون مع ولاة الأمور وعدم الخروج عليهم أو محاربتهم وعرقلة جهودهم الخيرة.

ولنا نحن المسلمون، أن نتأسى، في كافة جوانب حياتنا، بخلق رسولنا الكريم الذي كان أحسن الناس خلقاً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال أفاً قط ولا قال لي لشيء لِم فعلت كذا وهلاً فعلت كذا» مسلم جـ ١٥ ص ٦٩. وكان عليه الصلاة والسلام عطوفاً رحيماً على الصبيان، وكان قريباً من الناس متواضعاً معهم، فعن أنس رضي الله عنه: «أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت يا رسول الله إن لي إليك حاجة فقال يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها» مسلم جـ ١٥ ص ٨٢. وهذه الخلق الحميدة من أحسن ما ينبغي أن يتحلى به الحكام ورجال الإدارة والقائمين على أمور الناس في عهدنا هذا، فعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل» مسلم جـ ١٥ ص ٨٢.

ويعلمنا رسولنا ﷺ أن هناك فروقاً فردية بين الناس وأنهم ليسوا جميعاً نسخة واحدة أو صورة واحدة، وإنما هناك فروقاً قائمة بينهم مصداقاً لقوله ﷺ: «تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» مسلم جـ ١٦ ص ٧٨. ومبدأ مراعاة الفروق الفردية من المبادىء

---

(١) - المرجع السابق ص ٧٧.

الهامة التي تدعي التربية الحديثة ابتكارها، ولكن لإسلامنا الحنيف فضل السبق فيه كما في غيره.

ومن القيم الإسلامية النافعة في الإدارة العادلة، تلك الإدارة الصالحة لإدارة الأعمال التنموية العدل والنهي عن إدخال المشقة على الناس كما في الحديث النبوي الشريف: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» مسلم جـ ١٢ ص ٢١١.

فالعدل أساس الملك وهو أيضاً أساس التنمية والرخاء والازدهار. ومن ذلك أيضاً تحريم إعطاء الهدايا للحكام فهي حرام وغلول[1] ومعناها خيانة الوالي في ولايته وأمانته فقد استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد يقال له ابن اللتبية قال عمرو وابن أبي عمر على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي اهدي لي. قال فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال: ما بال عامل أبعثه فيقول. هذا لكم وهذا اهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدي إليه أم لا والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة يتعر[2] ثم رفع يديه حتى رأينا عقرتي أبطية[3] ثم قال: اللهم هل بلغت مرتين» مسلم جـ ١٢ ص ٢١٨.

وينهى الإسلام عن الظلم ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخيص فيه الأبصار...** ﴾ (إبراهيم/ ٤٢). وقوله تعالى: ﴿ **ألا لعنه الله على الظالمين** ﴾ (هود/ ١٨). وينهى نبينا الكريم عن

---

(١) - خيانة.
(٢) - أي تصيح.
(٣) - هي البياص ليس بالناصع

الظلم، ويحث على الإخاء بين المسلمين «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» البخاري جـ ٢ ص ٦٦.

والمعروف، وفقاً لمفاهيم علم النفس الحديث، أن حالة الغضب تعوق الإنسان عن ممارسة التفكير السليم، وينطبق هذا على كل ما يخرج الحاكم أو القاضي عن سداد النظر واستقامة الحال كالشبع المفرط والجوع المقلق والهم والفرح البالغ ومدافعة الحدث وتعلق القلب بأمر ما، وذلك خوفاً من وقوع القاضي في الخطأ.

وإذا كانت الإدارة الصالحة للتنمية هي التي تقوم على أساس من العدل والمساواة وتكافؤ الفرص والشورى وتدعيم العلاقات الإنسانية والتعاون، فلقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في الدعوة إلى عدم تعذيب الناس أو الحيوانات.

فعن الرسول ﷺ: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، ألا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من حشائش الأرض» متفق[1] عليه. ولقد نهى الرسول عن خصاء البهائم، وعن حبس البهائم حتى الموت أو رمي البهيم بشيء حتى يموت مثل هذه المعاني عرفها الإسلام قبل جمعيات الرفق بالحيوان وما إليها.

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قوله: «كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: اعلم أبا مسعود، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود

---

(١) - الإمام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ ٤ ص ٤٥٠.

أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام، وقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً» وفي رواية «فسقط السوط من يدي من هيبته»[1] مسلم. وأن الله يعذب الذين يعذبون الناس. ولعل هذه المعاني السامية توقر في أذهان رجال الإدارة من الطغاة والمتسلطين والظلمة الذين يبطشون بالناس الضعفاء ويعذبونهم وينكلون بهم ويذيقونهم شتى ألوان العذاب سواء بالقتل أو الضرب أو التشريد والسجن أو الاضطهاد في العمل وما إلى ذلك من مظاهر الظلم التي توجد في بعض المجالات الإدارية أو أكل حقوقهم المالية.

ولعل في تحذير رسولنا الكريم من أن أغلب سكان النار من النساء يستقر في أذهان دعاة التحضر الزائف ممن يدعون لاشتغال النساء مع الرجال والاختلاط المريب، ولعل ما نشاهده من فسوق في الحالات التي تعمل فيها المرأة «سكرتيرة» للرجل مثلاً وما يؤدي إليه مثل هذا العمل من الخلوة بينهما خير دليل على تجنب تشغيل المرأة في مثل هذه الوظائف التي تؤدي إلى الفتنة وشيوع الفساد.

(١) - المرجع السابق ص ٤٥٤.

الفصل العشرون

تنمية سمات شخصية المسلم ككل

للعمل الدائم فضيلة في الإسلام لقول رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله مادووم عليه وإن قل» مسلم جـ ٦ ص ٧٠.

ولذكر الله آثار طيبة على نفسية المؤمن ، وتحريره من العقد والأزمات ، كما في قول نبينا ﷺ : «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليلاً طويلاً فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عنه عقدتان فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» مسلم جـ ٦ ص ٦٦.

ومن شيم المسلم التواضع في اللباس وفي الفراش وغيرهما ، فقد نهانا الإسلام عن التختم بالذهب ، وعن لبس الذهب وعن ارتداء الثياب المعصفر، فقد روي عن النبي ﷺ أنه ارتدى ثوباً غليظاً ، ونهيه عما زاد على الحاجة من الفراش واللباس ، لقوله ﷺ : «فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان» مسلم جـ ١٤ ص ٥٩.

وتوكيداً للترهد. وإظهاراً للتخشع، فقد نهانا رسول الله ﷺ عن التشبع بما لم يعط. فعن عائشة رضي الله عنها: «أن امرأة قالت يا رسول الله أقول إن زوجي أعطاني ما لم يعطني، فقال رسول الله ﷺ: المتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور» مسلم جـ ١٤ ص ١١٠. حتى لا يتظاهر المسلم بما ليس عنده ويتزين بالباطل. وما أكثر ما تنتشر هذه العادة في الوقت الحاضر، وخاصة بين النساء في بعض المجتمعات الإسلامية التي لا تلزم المرأة بارتداء الحجاب الإسلامي، ففي بعض الجامعات التي يسود فيها الاختلاط بين الجنسين من الطلاب تباهي الطالبات بارتداء أفخر الثياب حتى وإن استدان أهلهن من أجل رغبة البنت في الظهور بمظهر فوق طاقتها المادية.

«يؤمن المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم مكلف قادر علم بالمعروف ورآه متروكاً أو علم بالمنكر ورآه مرتكباً، وقدر على الأمر أو التغيير بيده أو لسانه»[1].

ولقوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران/ ١٠٤).

وقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران/ ١١٠).

وعلى المسلم أن يدعو غيره إلى الخير والصلاح والإحسان، وفي هذا الصدد يقول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام

---

(١) - أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، كتاب عقائد ومعاملات وأخلاق وعبادات، المدينة المنو[illegible] د[illegible] لفكر. ١٩٩٢، الطبعة الثانية. ص ٦٦.

سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء» مسلم جـ ٦٦ ص ٢٢٦ . وقوله ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» مسلم جـ ١٦ ص ٢٢٧ .

فليذكر ذلك دعاة الفساد والانحلال والتحرر الزائد والتفرنج والإباحية في أيامنا هذه ، وليتذكر هذا من يحاربون تطبيق شريعة الإسلام في بلاد المسلمين .

ومن علامات التربية الإسلامية وجوب طاعة الأمراء في غير معصية اهتداء بقول الله تعالى: ﴿ **اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ (النساء/ ٥٩) . فالطاعة واجبة لله وللولاة وللأمراء . ففي الحث على السمع والطاعة انضباط لسير الأحوال في المجتمع واستقرارها[١] .

ويربي الإسلام المسلمين على حب الجهاد والاستشهاد مما يكسبهم قوة يرهبون بها أعداءهم وأعداء الله .

والمسلم الحق إنسان حذر، يستفيد من التجارب ومما يمر به من خبرات ومواقف فلا يقع في الخطأ مرة تلو الأخرى كما في هدي رسولنا الكريم ﷺ : «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» متفق[٢] عليه .

وحج البيت حجاً مبروراً يغرس كثيراً من القيم في نفس المسلم ، فعن الرسول الكريم قوله حيث سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله . قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله . قيل: ثم ماذا؟ قال:

---

(١) ـ مسلم جـ ١٢ ص ٢٢٢ .

(٢) ـ الإمام النووي ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ ٤ ص ٦٧٣ .

حج مبرور» البخاري جـ ١ ص ٢٦٥ .

فالحج يعتبر أكبر مؤتمر في العالم يجتمع فيه ملايين المسلمين من كافة أرجاء العالم ، ويشعرون بالعزة والاعتزاز والفخر من الانتماء إلى أمة عظيمة وكبيرة ، كانت وما زالت خير أمة أخرجت للناس جميعاً . كما يشعرون بقوة الانتماء للإسلام فيقوي الشعور بالتحالف والتعاون والتآخي والتضامن بينهم .

والمسلم لا يدعو لنفسه فقط، و إنما يدعو لإخوانه من المسلمين بظهر الغيب اهتداء بقول رسولنا الكريم ﷺ : «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بالمثل» مسلم جـ ١٧ ص ٤٩. فالمسلم يدعو بالخير والصلاح لأخيه المسلم في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص .

ويحث الإسلام على الرجولة والشهامة والجدية ، ولذلك لعن النبي ﷺ : «المنخثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال أخرجوهم من بيوتكم» البخاري جـ ٤ ص ١٨١ .

وبعد ، هذه رحلة عابرة وسريعة في ثنايا تراثنا الإسلامي الأصيل نلمس فيها فضل السبق في الدعوات الصالحة في تنشئة المسلم تنشئة قوية وتنمية قواه الروحية والجسمية والعقلية والفكرية والأخلاقية وقدراته على العمل والإنتاج وعلى الجهاد والكفاح والنضال من أجل الدفاع عن كلمة الله وعن الحق وعن كل القيم الإنسانية الرفيعة .

---

(١) - مسلم جـ ١٧ ص ٤٩ .

المـراجـع

١ - أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، المدينة المنورة، دار الفكرة، ١٣٩٢هـ الطبعة الثانية.

٢ - د. أحمد عزت راجح، علم النفس الصناعي، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية.

٣ - د. أسامة عبد الرحمن، البيوقراطية النفطية ومعضلة التنمية، مدخل إلى دراسات إدارة التنمية في دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٤٠٢هـ، الكويت.

٤ - د. جابر عبد الحميد، ود. يوسف الشيخ، علم النفس الصناعي، دار النهضة العربية، القاهرة.

٥ - د. حسن صعب، تحديث العقل العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م.

٦ - د. زاهية قدورة، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٤م.

٧ - د. زغلول راغب محمد النجار، أزمة التعليم المعاصر، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٠هـ.

٨ - د. زكي محمد إسماعيل، التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، مجلة كلية العلوم العربية، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٩ - د. شمس الدين الوكيل، دور الشباب في الحياة السياسية، جامعة بيروت العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

١٠ - صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، الجزء الأول، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة عشر، ١٩٨٢م.

١١ - صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٢ - صحيح مسلم، بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٣ - د. عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الفسيولوجي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

١٤ - د. عبد الرحمن العيسوي، دراسات سيكولوجية، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م.

١٥ - د. عبد الرحمن العيسوي، أمراض العصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

١٦ - د. عبد الرحمن العيسوي، علم النفس والإنسان، دار المعارف بمصر.

١٨ - د. عبد الرحمن العيسوي، علم النفس والإنتاج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

١٩ - د. عبد الرحمن العيسوي، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٢٠ - د. عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

٢١ - د. عبد الرحمن عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال، عكاظ، جدة، السعودية، ١٤٠١هـ.

٢٢ - د. عبد الهادي الجوهري، وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، «مدخل إسلامي»، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٣ - عبدالله عبد الدائم، التربية التجريبية والبحث التربوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٢٤ - د. عبد العزيز عبدالله الجلال، تربية اليسر وتخلف التنمية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٥هـ.

٢٥ - عبد الوهاب أحمد عبد الواسع، التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره واستشراق مستقبله، الطبعة الثانية، جدة، ١٤٠٣هـ. تهامة.

٢٦ - قانون تنظيم الجامعات المصرية رقم ٤٩ سنة ١٩٧٢م.

٢٧ - د. قسطنطين زريق، الطالب ومسؤولياته الوطنية، في الطالب الجامعي في لبنان ومشكلاته، رابطة الأساتذة الجامعيين في لبنان ١٩٦٩م.

٢٨ - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الإمام، مختار الصحاح، دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٢٩ - د. محمد زكي شافعي، دور الجامعات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، جامعة بيروت العربية، لبنان، بيروت، ١٩٧٠م.

٣٠ - د. محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، ١٤٠٣هـ.

٣١ - محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.

٣١ - د. محمد عثمان نجاتي، علم النفس الصناعي.

٣٢ - د. محمد مرسي حمد، الجامعات العربية والمجتمع العربي المعاصر،

مجلة اتحاد الجامعات العربية، نوفمبر، ١٩٧٢م.

٣٣ - منير البعلبكي، المورد، قاموس إنجليزي، عربي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.

٣٤ - يحيى بن شرف الدين النووي، مختصر كتاب رياض الصالحين، دار القلم، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

1. Barger, R. Seabarne, A., The Psychology of learning, Pelican Books 1966.
2. Gamer, R.E, The Developing Nations, Allyn and Bacon, London, 1982.
3. Gilmer, B.V., Industrial Psychology.
4. Hapson, B. and Hayes J. The theary and Practice of Vacational guidance, Pergamon Press oxford, 1963.
5. Haury, T. Distance Education at university level, The experience of Beirute Arab University.
6. Hepner, H.W., Psychology Applied to life and Work, 1966.
7. M.C. Intash, D.M. Educational guidance and the Pool of ability, University of London Press, 1959.
8. Krech, D. and others, Theory-and problems of social psychology, McGraw-Hill- New York, 1948.
9. Lele Mma, The Design of rural Development, The Johns Hopkins University press, London.

فهرس